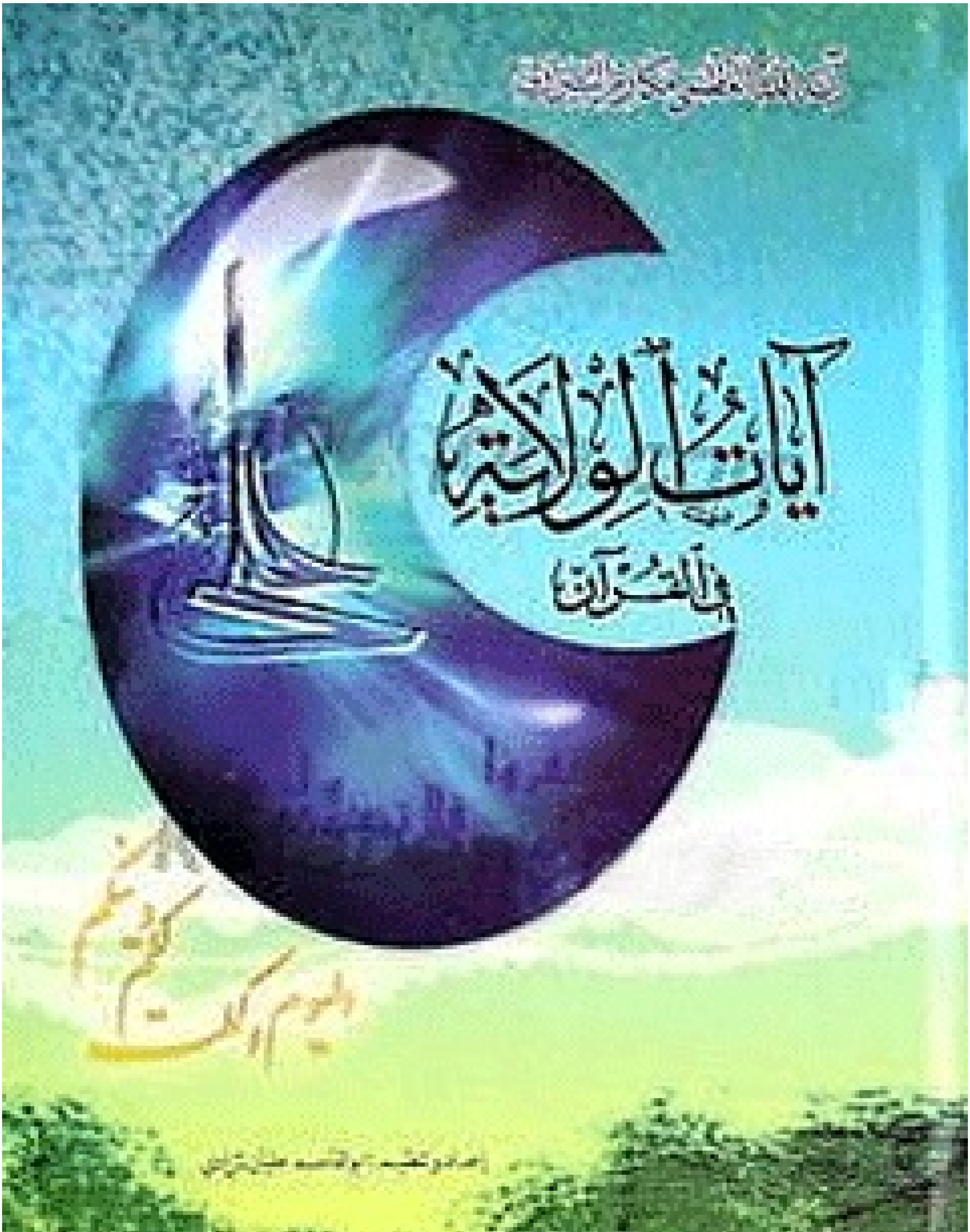

آيات الولاية
في القرآن

بسم الله الرحمن الرحیم

آیات الولایۀ فی القرآن

کاتب:

آیت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

نشرت فی الطباعۀ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

آیات الولایة فی القرآن

اشارة

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵ عنوان و نام پدیدآور : آیات الولایه فی القرآن/ مکارم الشیرازی؛ اعداد و تنظیم ابوالقاسم علیان‌نژادی مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی‌بن ابی طالب (ع)، ۱۳۸۳. مشخصات ظاهری : ص ۳۷۶ شابک : ۹۶۴-۸۱۳۹-۳۲-۶۳۰۰۰۰ ریال : وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : عنوان اصلی: آیات ولایت درقرآن. موضوع : ولایت -- جنبه‌های قرآنی موضوع : علی‌بن ابی‌طالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت، ۴۰ق. -- اثبات خلافت موضوع : امامت -- جنبه‌های قرآنی شناسه افزوده : علیان‌نژادی، بوالقاسم، ۱۳۴۳ - گردآورنده شناسه افزوده : مدرسه الامام علی‌بن ابی‌طالب (ع) رده بندی کنگره : BP۱۰۴/و۸م۴۳ ۷۰۴۳ ۱۳۸۳ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵۹ شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۱۳۲۹۰

المقدّمة

اشارة

المقدّمة سُمّی عام ۱۳۷۹ ه. ش فی الجمهوریة الإسلامیة بعام أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام وذلک لأنه تضمّن عید الغدیر فی بدایته وفی نهایته فتحقق فیه عید الغدیر مرتین «۱». ولهذا کان من المناسب جدّاً أن یتحرک المفکّرون وعشّاق هذا الإمام الهمام علی مستوی تعریف الناس بفضائله وأحادیثه وأخلاقه وسیرته وسائر شؤونه والقیام بدور فاعل فی هذا المشروع الحضاری الإسلامی. ومن هذا المنطلق وطبقاً للمعتاد فی شهر رمضان من کلّ عام شرع سماحة آیة اللّه العظمی مکارم الشیرازی مدّظلّه بالقاء محاضراته بعد صلاة الظهر والعصر بما یخصّ الأبحاث التفسیریة المتعلقة بولایة أمیرالمؤمنین علیه السلام لأن شهر رمضان هو شهر القرآن وهو الشهر الذی استشهد فیه الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام فکان البحث تفسیراً للقرآن من جهة، ودراسة متعمقة لمسألة الولایة والإمامة فی دائرة المفاهیم القرآنیة من جهة اخری. نأمل أن یشرق نور القرآن فی قلوبنا أکثر وأکثر ببرکة القرآن الکریم ومفسّره الأوّل أمیرالمؤمنین علیه السلام ویساهم فی ترشید مسارنا فی خطّ الرسالة والإیمان وهدایة الامّة الإسلامیة فی حرکتها الحضاریة الصاعدة. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۶

الکتاب الحاضر

الکتاب الحاضر وهکذا تمّ بحمد اللّه تدوین تلک البحوث الجذّابة والشیّقة والعمیقة المحتوی. وبعد إخراج المنابع والمصادر وإجراء بعض الاصلاح والتهذیب المتعلّق بتحویل الخطاب الکلامی إلی خطاب کتابی تمّ طبع الکتاب وإخراجه بالشکل المطلوب.

ملاحظات

ملاحظات ۱- لعلّ البعض یتصور أنه مع وجود الجزء التاسع من نفحات القرآن الذی یتحدّث عن مفهوم الولایة والإمامة فی القرآن الکریم، وکذلک ما ورد فی التفسیر الأمثل ذیل الآیات المتعلّقة بمسألة الإمامة فما الداعی لتألیف کتاب آخر یتناول هذه المسألة بالذات؟ ولکن الحقیقة أن الأبحاث المطروحة فی هذا الکتاب أوسع وأشمل ممّا ورد فی ذینک الکتابین، والأهم من ذلک البعد العملی والتطبیقی للآیات الکریمة الواردة فی هذا الکتاب ممّا یمنحه قدرة علی معالجة مساحات واسعة من اهتمامات المجتمع الإسلامی المعاصر، مضافاً إلی المواضیع الجدیدة التی تناولها هذا الکتاب لم تذکر فی الکتابین السابقین، ولهذا وجدنا أن من

الضروری نشر هذه البحوث القیّمة للقرّاء الأعزاء. ۲- إن القرآن الکریم یتمیّز بطراوة وحیویة علی مدی الدهور والأعصار حیث یفیض علی قارئیه فی کلّ عصر وزمان مطالب جدیدة، وعلیه لا ینبغی القناعة والإکتفاء بما أورده المفسّرون من مفاهیم سامیة فی تفسیر آیاته الکریمة، بل علینا مواصلة البحث والتنقیب فی معادنه الثمینة مع الإسترفاد من تفاسیر الأعاظم وما ترکه لنا العلماء من جهود فکریة فی هذا السبیل وکذلک الإستفادة من العلوم والمعارف الجدیدة فی عملیة استخراج المفاهیم القرآنیة الکامنة واستجلاء مضمونها الحضاری. ۳- تمّ تقسیم آیات الولایة والإمامة فی هذا الکتاب إلی ثلاثة أقسام وبحثها فی ثلاثة فصول: الفصل الأوّل: آیات الخلافة والولایة علی المسلمین. الفصل الثانی: آیات فضائل أهل البیت علیهم السلام. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۷ الفصل الثالث: آیات الفضائل الخاصّة بأمیرالمؤمنین علیه السلام. وأخیراً أتقدم بالشکر الجزیل إلی جمیع الاخوة الذین أعانونی علی انجاز هذه المهمة ولا سیّما أبنائی الأعزاء الذین تکفّلوا مهمة مطابقة الکتاب، وأرجو أن نتحرک جمیعاً فی خطّ الرسالة والصراط المستقیم بالاستنارة من الأنوار الإلهیة للقرآن الکریم من أجل تحویل ولایة أمیرالمؤمنین علیه السلام إلی واقع حیّ یشمل کلّ تطلعات الإنسان ویعیش أجواء العنایة الربانیة فی آفاقها الواسعة. رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ قم- الحوزة العلمیة أبو القاسم علیان نژادی ربیع الثانی ۱۴۲۲ آیات الولایة فی القرآن، ص: ۹

الفصل الأول آیات الخلافة والولایة علی المسلمین

آیة التبلیغ

اشارة

آیة التبلیغ ۱ [سورة المائدة (۵): آیة ۶۷] إِنَّ الْأَبْرارَ یَشْرَبُونَ مِنْ کَأْسٍ کانَ مِزاجُها کافُوراً (۵) «سورة المائدة/ الآیة ۶۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآیة الشریفة المشهورة التی تُعرف بآیة التبلیغ تتحدث عن أهم مسألة وقضیة فی العالم الإسلامی بعد مسألة النبوّة، و تخاطب النبی الأکرم فی أواخر عمره الشریف بإصرار بالغ أن یتحدث للناس بصراحة تامة عن مسألة الخلافة والخلیفة الذی یلیه، ویبیّن للناس تکلیفهم الشرعی، وقد ذکر علماء السنة والشیعة مطالب مختلفة فی تفسیر هذه الآیة کما سیأتی.

الشرح والتفسیر: إنتخاب الخلیفة مرحلة نهائیة للرسالة

اشارة

الشرح والتفسیر: إنتخاب الخلیفة مرحلة نهائیة للرسالة إنّ القرآن الکریم یخاطب النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله فی آیاته الشریفة بعناوین مختلفة منها: «یا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ» «۱». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۲ «یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ» «۱». «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ» «۲». «یا أَیُّهَا الرَّسُولُ» «۳». فالخطاب الأول والثانی یشیران إلی حالة خاصة من حالات الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله الظاهریة، ولکن الخطاب الثالث والرابع یشیران إلی الشأن المعنوی والمقام الإلهی لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله حیث ورد هذا النحو من الخطاب: «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ» مرات عدیدة فی القرآن الکریم. ولکن خطاب: «یا أَیُّهَا الرَّسُولُ» لم یرد فی القرآن سوی فی آیتین أحدهما الآیة محل البحث، والاخری الآیة ۴۱ من سورة المائدة والتی تنسجم فی مضمونها مع هذه الآیة الشریفة وهذا یدلّ علی أهمّیة الموضوع الذی یتضمنه هذا الخطاب الإلهی للرسول الأکرم صلی الله علیه و آله حیث یقول بعده: «بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ ...» وهذه المهمّة التی امر النبی

بإبلاغها لم تكن سوى تعيين الخليفة من بعده. «وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ ...» إنّ هذه المهمّة إلى درجة من الأهمّية بحيث إنّه لو لم يؤدّها للناس فكأنّه لم يؤدّ الرسالة الإلهية بشكل عام حيث تبقى أتعاب ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالة ناقصة. ومن الواضح أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان يبلّغ جميع ما نزل عليه من الوحى للناس ويبيّن تعاليم الشريعة المقدسة ولكن هذا التعبير الذى يُفهم من سياق الآية يوحى للمسلمين بأهمية الموضوع الذى تضمنته الآية الشريفة. «وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ...» فبما أنّ هذه المهمّة حساسة جدّاً وفى غاية الأهمّية فمن الطبيعى أن تحوطها الأخطار ومن المتوقع أن تكون هناك ردود فعل شديدة من قبل المنافقين ومن فى قلوبهم مرض سواءً كان بصورة علنية أم بصورة سرّية، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳ ولذلك فانّ اللَّه سبحانه وتعالى قد وعد نبيّه الكريم صلى الله عليه و آله بأن يحفظه من هذه الأخطار المحتملة. «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» فعلى الرغم من أنّ اللَّه تعالى يمنّ على جميع الناس بالهداية إلى الحق إلّاأنّ الأشخاص الذين يصرّون العناد والإصرار على عقائدهم الزائفة وأفكارهم الباطلة لا يستحقون الهداية وسوف لا ينالون نعمة الهداية من اللَّه تعالى. ومع قليل من التدبر فى مضمون وأجواء الآية محل البحث تتجلى هذه الحقيقة المهمة، وهى أنّ الآية الشريفة تتحرك نحو الإخبار عن موضوع مهم جدّاً، لأنّها تتضمّن فى سياقها تأكيدات كثيرة لم يسبق لها مثيل: ۱- تبدأ الآية الشريفة بخطاب «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ» وكما تقدم أنّ هذا الخطاب يدل على الأهمّية الفائقة لمضمون هذا النص الشريف بحيث استلزم أن يقع الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله مورداً للخطاب الإلهى مباشرة. ۲- كلمة «بَلِّغْ» إشارة اخرى إلى خصوصية المضمون الذى تحمله الآية الشريفة لأنه: أوّلًا: أنّ هذه الكلمة لم ترد فى القرآن الكريم سوى فى هذه الآية الشريفة. ثانياً: كما يقول الراغب فى كتابه «مفردات القرآن» إنّ هذه الكلمة فى الواقع فيها تأكيد أشدّ من كلمة «أَبْلِغْ» لأنّه بالرغم من أنّ هذه الكلمة أيضاً لم ترد إلّامرّة واحدة فى القرآن الكريم «۱»، إلّاأنّ كلمة «بَلِّغْ» مضافاً إلى مفهوم التوكيد فيها تتضمّن التكرار أيضاً، أى أنّ هذا الموضوع إلى درجة من الأهمّية بحيث يجب إبلاغه إلى الناس دفعات وبصورة مكررة «۲». ثالثاً: جملة «وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ» شاهد ثالث على الخصوصية المهمّة فى هذه الآية، فانّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله يُؤمر فى هذه الآية بإبلاغ رسالة خاصة تمثّل أساس ومحور الرسالة والنبوّة، لأنّه لو لم يبلّغ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله هذه الرسالة الخاصة فكأنّما لم يبلّغ الرسالة كلّها. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴ رابعاً: ومن العلامات الاخرى على عظمة وأهمية مضمون هذه الآية الكريمة هو ما ورد فيها من ضمانات إلهية لحفظ الرسول الأكرم من الأخطار المحدقة به. إنّ مضمون المأمورية التى كلّف بها النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى هذه الآية الشريفة إلى درجة من الأهمّية بحيث يخشى على النّبى من الخطر على حياته من جراء ردود الفعل المختلفة التى ستثيرها هذه المهمّة الرسالية، ولكن اللَّه تعالى يعِد نبيّه الكريم بحفظه من جميع الأخطار وردود الفعل المحتملة. فما هو الموضوع المهم الذى تضمنته هذه الآية الشريفة؟ ما هى المأمورية المهمّة للنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى تستلزم ضمانات إلهية صريحة بحفظ النّبى من الخطر؟ ما هو المطلب المهم الذى يجب أن يبلّغه النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله للناس بحيث يساوى جميع الرسالة الإلهية؟ ماذا أراد اللَّه سبحانه وتعالى من النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله بحيث هدده من جهة ووعده بحفظ حياته من جهة اخرى؟ والخلاصة ما هو موضوع هذه الآية الشريفة الذى ورد بكل هذه التأكيدات الشديدة؟ ومن أجل استجلاء الجواب الصحيح على هذه الأسئلة هناك طريقان: الأوّل: هو التفكر والتأمل والتدبر فى مضمون الآية نفسها بقطع النظر عن ما ورد من طرق الفريقين من السنة والشيعة من الروايات الشريفة فى تفسير هذه الآية ومع قطع النظر عن كلمات المفسّرين والمؤرّخين. والآخر: هو أن نقوم بتفسير هذه الآية الشريفة مع ما ورد حولها من روايات وأحاديث فى شأن نزولها.

الطريق الأوّل: تفسير الآية بغض النظر عن الشواهد الأخرى

اشارة

الطريق الأوّل: تفسير الآيـة بغض النظر عن الشواهـد الأخرى إنّ التدبّر والتعمق والدقة فى الآية الشريفة نفسها وبدون الإستعانة بامور أخرى بإمكانه أن يجيب على جميع الأسئلة الواردة أعلاه بشرط الإبتعاد عن التعصّب فى تحكيم عقولنا لاستجلاء الحقيقة، لأنّه: آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٥ أوّلًا: أنّ الآيـة مورد البحث هى الآية (٦٧) من سورة المائـدة وكما نعلم فإنّ سورة المائـدة هى آخر سورة «١» نزلت على النّبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله أو من أواخر السور التى جاء بها الوحى إلى الرسول الكريم صـلى الله عليه و آله، أى أنّ هذه الآية نزلت فى السنة العاشرة من البعثة وهى آخر سنة من عمر النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله وبعد ثلاثة وعشرين سنة من تبليغ الرسالـة الإلهيـة. والسؤال هو: مـا هو الموضوع المهم الـذى لم يبلّغه الرسول الأـكرم صـلى الله عليه و آله إلى الناس بعـد ثلاثـة و عشرين سنة من عمر النبوّة والرسالة؟ هـل أنّ هـذا الموضوع المهم يتعلق بالصـلاة، فى حين أنّ المسلمين كـانوا يصلّون قبل ذلك بعشرين سنة؟ هل يتعلق بالصيام فى حين أنّ حكم الصوم قد وجب بعد الهجرة وقد مضى على تشريعه ثلاثة عشر سنة؟ هل يتعلق بأمر تشريع الجهاد ونحن نعلم أنّ الجهاد قد شُرّع فى السنة الثانية للهجرة؟ هل يتعلق بالحج؟ الجواب: كلّا، إنّ الانصاف يدعونا إلى إنكار أن يكون هذا الموضوع يتعلق بواحدة من هذه الامور فلابدّ من التأمل فى هذه الحقيقة، ونتسائل: ما هى المسألة المهمّة التى بقيت بعد ثلاثة وعشرين سنة من أتعاب الرسالة بدون تبليغ؟ ثانياً: ويستفاد من أجواء الآية الشريفة أنّ هذه المأمورية للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى درجة من الأهمّية والخطورة بحيث تعادل الرسالة والنبوّة نفسها، وأمّا الإحتمالات التى ذكرها العلماء فى تفسير واكتشاف مضمون هـذه المأموريـة كما تقـدم آنفاً فانّها رغم أهمّيتها ولكنّها لا تعادل بثقلها الرسالة نفسها، فيجب أن نتفكّر فى ماهيّة هذا الأمر المهم الـذى يعادل الرسالـة والنبوّة الـذى لم يؤدّه النبى لحد الآن. ثالثاً: الخصوصيـة الأخرى لهذه المأمورية الإلهية هى أنّ بعض الناس سيتحركون من آيات الولايـة فى القرآن، ص: ١٦ موقع الرفض والإعتراض ويكون اعتراضـهم إلى درجـة من الشـدّة والجدّيـة بحيث أنّهم مستعدون لقتل النبى والقضاء عليه ونحن نعلم أنّ المسلمين لم يعترضوا على تشريعات سابقـة من قبيل الصـلاة والصوم والحج والجهاد وأمثال ذلك. إذن هذه المأمورية تتضـمن مسألة سياسية بحيث تدفع بالبعض إلى الإعتراض والإستنكار والتحرك نحو القضاء على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لمنعه من إمتثال هذا التكليف الإلهى. وعندما نأخذ بنظر الإعتبار جميع هذه الأبعاد المذكورة فى أجواء الآية الشريفة ونتدبّر فى هذا الموضوع من موقع الانصاف والحياد التام ونسعى لفهم الحقيقة بعيداً عن التعصّب والعناد لا نصل إلّاإلى مسألـة الولايـة والخلافـة بعـد النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله والتى قام النبى بتبليغ هـذه الرسالة فى غدير خم بصورة رسمية. أجـل! إنّ الموضوع الـذى لم يبلّغه النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله للمسـلمين إلى آخر عمره الشـريف بصورة رسـمية والـذى يعادل الرسالـة والنبوّة والذى تمادى الكثير من الناس لمنع الرسول الأعظم صـلى الله عليه و آله من أداء هذه المهمّة والذى وعد اللّه عزّ وجلّ نبيّه الكريم بأن يحفظه من الأخطار التى تكتنف أداء هـذه الرسالة هى المسألة المصـيرية والمهمّة فى دائرة الخلافة، لأنّه بالرغم من أنّ النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله قد ذكر للناس مسألة ولاية الإمام على فى السابق إلّاأنّه لم يبلّغها لجميع المسلمين بصورة رسمية لحد الآن، ولهـذا السـبب فانّه عنـدما كان عائداً من حجة الوداع قام بتبليغ هذه المأمورية الإلهية الكبيرة فى صـحراء غدير خم بأفضل صورة حيث أعلن لجميع المسلمين عن نصبه للإمام على عليه السلام خليفة على المسلمين، وبتبليغ هذه المأمورية كمُلت رسالته.

تطبيق العلامات الثلاث على مسألة الولاية

تطبيق العلامات الثلاث على مسألـة الولايـة إنّ مسألـة خلافـة أمير المؤمنين صـلى الله عليه و آله تنطبق عليها العلائم الثلاث الواردة فى آيـة التبليغ تمامـاً لأنّها: آيات الولايـة فى القرآن، ص: ١٧ أوّلًا: إنّ الرسول الأكرم كما مرّ آنفاً لم يعلن عن مسألـة الخلافـة بعـده طيلة عمره المبارك بشكل صـريح ورسـمى وبتلك الأبعاد الواسعة، وهـذه هى المسألة المهمة التى بقيت على عاتقه فى الأيّام الأخيرة من عمره الشـريف. ثانيـاً: إنه ليس من بين القضايـا والامـور الإسـلامية مسألـة تعـادل فى أهميتها وشأنها مسألـة النبوة سوى مسألـة الخلافة

والولایـة التی تعتبر اسـتمراراً لمسار النبوة، ومقام الإمامة یرادف مقام النبوة حیث یتکفل الإمام بأداء الوظائف والمسؤولیات التی کانت علی عاتق النبی. ثالثاً: منـذ زمان طرح مسألـة الإمامـة لأمیرالمؤمنین بـدأت ردود الفعل والمخالفات المتعـددة تبرز علی السـطح بل قد ظهرت فی غدیر خم أیضاً حیث جاء شخص إلی النبی الأکرم معترضاً علیه وقال: «اللّهم إن کان هذا من عندک فأنزل علینا حجارة من السـماء» فنزلت علیه حجارة فأهلکته. وهکـذا هلک هـذا الشـخص کما سـیأتی تفصـیل القصـة لاحقاً. وإذا ضـممنا الآیة ۴۱ من سورة المائـدة إلی هـذه الآیـة یتضـح المطلب بصورة جیدة. والنتیجة هی أنّ الآیة الشـریفة محل البحث مع غض النظر عن الروایات والأقوال وآراء المفسّرین وما أورده المؤرخون فی کتبهم تدلّ علی خلافة وولایة الإمام علی علیه السلام. سؤال: قد یقال المراد بالمسألة المهمة فی هذه الآیة هو إشارة إلی الخطر الکامن فی عدوّین کبیرین للإسـلام والمسـلمین وهما: الیهود والنصاری الّذین کانوا یتحرکون دوماً من موقع العداء للإسـلام ومنع تقدّم المسلمین ومع هذا کیف تکون هذه الآیة مرتبطة بشأن الولایة والخلافة؟ الجواب: إنّ من کانت له أدنی مطالعـة ومعرفـة بتاریخ الإسـلام یعلم جیداً أنّ مشـکلة الیهود والنصاری تم حلّها فی السـنة العاشـرة للهجرة حیث تم إخراج قبائل الیهود من بنی قریظـة وبنی النظیر وبنی قینقـاع ویهود خیبر وسـائر قبائـل الیهود والنصـاری من الجزیرة العربیـة حیث أسـلم الکثیر منهم واجبر الباقی علی الهجرة إلی مناطق اخری، وعلی هـذا آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۸ الأساس فطبقاً لما ورد فی الآیة ۴۱ من سورة المائـدة أن خوف النبیّ صـلی الله علیه و آله لم یکن من خارج دائرة المسـلمین بل کان خوفه یتمثل فی الأفراد الذین دخلوا الإسـلام. وعلی هـذا الأساس فإنّ تفسـیر الآیـة بالیهود والنصاری لا یکون منسـجماً مع أجواء الآیة، وکذلک سائر التفاسـیر الاخری التی أوردها البعض سوی القول بأن المقصود هو خلافة أمیرالمؤمنین علیه السـلام، وعلیه فإنّ الآیة الشـریفة محل البحث تمثّل جواباً قاطعاً ومسـتدلّاً ومتیناً علی جمیع الأشخاص الذین أنکروا إمامة وخلافة الإمام علی بن أبی طالب بعد رسول اللّه.

الطریق الثانی: تفسیر آیة التبلیغ فی دائرة الروایات

الطریق الثـانی: تفسـیر آیـة التبلیغ فی دائرة الروایات الطریق الثانی لتفسـیر الآیـة الشـریفة یتم بالاسـتعانة بالأحادیث والروایات الشـریفة الواردة فی شأن نزول هـذه الآیـة وکـذلک نظریات وآراء المفسّـرین وعلماء الإسـلام والمؤرخین الـذین دوّنوا هـذه الحادثة ... هناک العدیـد من المحـدّثین فی صدر الإسـلام ذهبوا إلی أن الآیة أعلاه نزلت فی شأن أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب ومن هؤلاء: ۱- «ابن عباس» الراوی والمفسّر المعروف کاتب الوحی الذی هو مورد قبول الشیعة وأهل السنّة. ۲- «جابر بن عبداللّه الأنصاری» وهو الشخصیة المعروفة والمقبولة لدی جمیع الطوائف الإسـلامیة. ۳- «أبو سـعید الخـدری» الذی یعدّ من کبار صـحابة النبی ویتمتع باحترام بالغ. ۴- «عبداللّه بن مسعود» وهو أحد کتّاب الوحی وأحد المفسّرین المعروفین. ۵- «أبو هریرة» الراوی المعروف والمقبول لدی أهل السنّة. ۶ و ۷- «حذیفـة» و «البراء ابن عازب» صـحابیان من مشاهیر صـحابة النبی، وهناک جمع آخر من الصـحابة والعلماء الذین یذعنون بهذه الحقیقة وهی أنّ الآیة الشـریفة محل البحث نزلت فی ولایة الإمام علی. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۹ والجدیر بالذکر أنّ الروایات الواردة فی هذه الاسـناد والتی أشرنا إلی بعض رواتها آنفاً وردت من طرق مختلفة، فمثلًا الروایة أعلاه وردت بأحد عشر طریقاً عن ابن عبّاس وجابر بن عبـداللّه الأنصاری. ومن بین المفسّـرین من أهل السـنّة جماعـة ذکروا الروایة المتعلّقة بولایة أمیرالمؤمنین علیه السـلام ومـن بینهم «السـیوطی» فی «الـدرّ المنثـور»/ الجزء الثـانی/ الصـفحة: ۲۹۸، و «أبـوالحسن الواحـدی النیشـابوری» فی «أسـباب النزول»/ الصفحة: ۱۵۰، و «الشیخ محمّد عبده» فی «تفسیر المنار»/ الجزء السادس/ الصفحة: ۱۲۰، و «الفخر الرازی» فی «التفسیر الکبیر»، وغیرها من التفاسـیر الاـخری. وهنـا نورد مقطعاً من کلام الفخر الرازی الـذی أورده فی تفسـیره کنموذج منها: یعتبر الفخر الرازی من أساطین المفسّـرین وعلماء الإسـلام بین أهل السـنّة ویعتبر تفسیره متین ومفصّل ویحکی عن کثرة علمه واطّلاعه علی الامور «بالرغم من تعصبه الشدیـد الـذی اسـدل علی فکره حجاباً فی بعض الأحیـان» فـإنّه بعـد اسـتعراض تسـعة احتمالاـت فی تفسـیر الآیـة أعلاه یـذکر ولایة أمیرالمؤمنین فی الاحتمال العاشـر ویقول: نزلت الآیة فی فضل علی بن أبی طالب ولمّا نزلت هذه الآیة أخذ بیده وقال: من کنت مولاه

فعلی مولاه اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، فلقیه عمر فقال: هنیئاً لک یابن أبی طالب! أصبحت مولای ومولی کلّ مؤمن ومؤمنة ... «۱» وطبقاً لما ورد فی کتاب شواهد التنزیل یقول زیاد بن منذر: کنت عند أبی جعفر محمّد بن علی (الباقر) علیه السلام وهو یحدّث الناس إذ قام إلیه رجل من أهل البصرة یقال له: عثمان الأعشی– کان یروی عن الحسن البصری– فقال له: یا ابن رسول اللّٰه جعلنی اللّٰه فداک إن الحسن یخبرنا أنّ هذه الآیة نزلت بسبب رجل ولا یخبرنا من الرجل. فقال: لو أراد أن یخبر به لأخبر به ولکنه یخاف (من حکومة بنی امیة مضافاً إلی أنه آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۰ لم تکن له علاقة جیدة مع الإمام علی علیه السلام) ... إلی أن قال: فلما ضمن اللّٰه [له] بالعصمة وخوّفه أخذ بید علی بن أبی طالب ثمّ قال: یا أیّها الناس من کنت مولاه فعلی مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه ... «۱». والملاحظة الملفتة هنا هی أنّ الحاکم الحسکانی مؤلف کتاب شواهد التنزیل الذی أورد الروایة أعلاه هو من أهل السنّة، کما ذکر هذه الروایة جمع آخر من أهل السنّة. والنتیجة هی أن الأحادیث والروایات وأقوال الصحابة والروایات وآراء المفسّرین والعلماء کلّها تحکی أنّ آیة التبلیغ نزلت فی موضوع ولایة أمیرالمؤمنین الإمام علی علیه السلام.

توصیتان فی آیة التبلیغ

توصیتان فی آیة التبلیغ وبإمکاننا أن نستوحی ملاحظتان أو توصیتان من أجواء الآیة الشریفة: ۱– أنّه بالرغم من أنّ المخاطب فی هذه الآیة الشریفة هو رسول اللّٰه بشخصه إلّاأنّ وظیفة تبلیغ مسألة الولایة والإمامة والإجابة علی علامات الإستفهام والشبهات التی تثار حولها لا تختص بالرسول الأکرم صلی الله علیه و آله بلا شک، بل هی وظیفة جمیع العلماء وأهل النظر علی طول التاریخ. ۲– الاخری فی هذه الآیة الشریفة هی أنّ المؤمنین الواقعیین هم الأشخاص الذین یتحرکون فی خط الطاعة للّٰه تعالی من موقع التسلیم والاذعان للحقّ لا من موقع التعصّب والعناد والمیول الفئویة والطائفیة والحزبیة بحیث یسلّمون أحیاناً ویخالفون أحیاناً اخری. وأساساً فإنّ السرّ فی وصول نبی الإسلام لتلک المقامات العالیة والمنازل المعنویة الرفیعة تکمن فی عبودیته وتسلیمه المحض للّٰه تعالی وهو ما نشهد به فی کلّ صلاة قبل الشهادة برسالته ونقول: «اشهد أن محمّداً عبده ورسوله». ونحن إذا أردنا نیل تلک المرتبة السامیة من القرب الإلهی وأردنا أن نعیش الإیمان آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۱ الحقیقی والواقعی وتطبیق إدعائنا فی الإستنان بسنّة النبی الأکرم صلی الله علیه و آله فیجب أن نسلّم لأمره علی کلّ حال حتّی لو کان علی خلاف رغباتنا ومزاجنا ومیولنا العاطفیة. ولغرض تکمیل هذا البحث نستعرض خلاصة لقصّة الغدیر کما وردت فی تفسیر «نفحات القرآن» ....

واقعة الغدیر

واقعة الغدیر أدرکنا من البحث الآنف بشکل إجمالی أن هذه الآیة وعلی ضوء الشواهد التی لا تحصی قد نزلت بحقّ علی علیه السلام، وانّ الروایات التی نُقلت فی الکتب المعروفة لأهل السنّة– فضلًا عن کتب الشیعة– أکثر من أن یستطیع أحدٌ انکارها. وبالاضافة إلی الروایات أعلاه، فلدینا روایات اخری تفید بصریح القول: إنّ هذه الآیة وردت أثناء واقعة الغدیر وخطبة النبی صلی الله علیه و آله فی التعریف بعلی علیه السلام علی أنه الوصی والولی، وعددها یربو علی الروایات السابقة، حتّی أنّ المحقّق الکبیر العلّامة «الأمینی» ینقل فی کتاب الغدیر، حدیث الغدیر عن ۱۱۰ من صحابة رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله بالاسناد والوثائق الحیة، وکذلک عن ۸۴ من التابعین و ۳۶۰ من مشاهیر علماء المسلمین ومؤلفیهم. إنّ کلّ من یلقی نظرةً علی مجموعة هذه الأسانید والوثائق یدرک بأنّ حدیث الغدیر من أکثر الروایات الإسلامیة جزماً، ومصداقاً واضحاً للحدیث المتواتر ومن یشک فی تواتره، فعلیه أن لا یؤمن بأیّ حدیث متواتر. وحیث إنّ الولوج فی هذا البحث بنحوٍ واسعٍ یخرجنا عن اسلوب کتابة تفسیر موضوعی، فنکتفی بهذا القدر بشأن اسناد الروایة وشأن نزول هذه الآیة، ونتطرق إلی مضمون الروایة، ونحیل الذین یریدون المزید من المطالعة حول اسناد الروایة إلی الکتب التالیة: ۱– کتاب الغدیر، ج ۱. ۲– إحقاق الحقّ، تألیف العلّامة الکبیر القاضی «نوراللّٰه الشوشتری» مع شرح مفصلٍ لآیة اللّٰه النجفی، ج ۲ و ۳

و ۱۴ و ۲۰. آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۲۲ ۳- المراجعات للمرحوم السیّد «شرف الدین العاملی». ۴- عبقات الأنوار للعالم الکبیر «میرحامـد الحسینی الهنـدی» (من الأفضل مراجعة خلاصة العبقات، ج ۷ و ۸ و ۹). ۵- دلائـل الصـدق، تألیف العالم الکبیر المرحوم «المظفر»، ج ۲.

مضمون روایات الغدیر

مضـمون روایات الغـدیر وهنا نأتی بقصّـ ة الغـدیر بشـکل مختصـر کما یسـتفاد من مجموع الروایات أعلاه، (وطبقاً فإن هـذه الواقعة قد وردت فی بعض الرویات بشـکل مفصّل ومطوّل، وفی بعضـها بشـکل مختصرٍ وقصیر، وفی بعضها اشیر إلی جانبٍ من هذه القصة وفی البعض إلی جانب آخر، ومنها جمیعاً یسـتفاد ما یلی): فی السـنّة الأخیرة من حیاة النبی صـلی الله علیه و آله أقیمت مراسم حجـة الوداع بکلّ جلال بمشارکة النبی صـلی الله علیه و آله، وکانت الأفئدة تمتلیٔ بالمعنویات ولـم تزل اللذة المعنویة لهذه العبادة العظیمة ینعکس إشـعاعها فی النفوس. وکان أصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله الذین کان عددهم کثیراً للغایة لا تسعهم أنفسهم نتیجة لادراکهم هذا الفیض والسعادة العظیمة «۱». ولم یکن أهل المدینة وحدهم الذین یرافقون رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی هذا السفر، بل کان المسـلمون من مختلف بقاع الجزیرة العربیة برفقته صـلی الله علیه و آله لنیل هذا الفخر التاریخی العظیم. وکانت شـمس الحجاز تضفی علی الجبال والأودیة حرارة لا تطاق، إلّاأن حلاوة هذا السـفر المعنوی النادر کانت تیسّـر کلّ شـیء، وقد اقترب الظهر، وأخذت منطقة الجحفـة، وصـحراء «غدیر خم» الجافة الرمضاء تبدو للعیان. وهذا المکان یعدّ مفرق طرق لأهل الحجاز حیث یتشـعب إلی أربعة طرق، فطریق یتجه إلی الشـمال نحو المدینة، وطریق إلی الشـرق نحو العراق، وطریق إلی الغرب نحو مصـر، وطریق آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۳ إلی الجنوب نحو الیمن، وهنا یجب أن تُطرح آخر المستجدات فی هذا السـفر، ویتفرق المسـلمون بعد استلامهم لآخر حکم، وهو فی واقع الأـمر کان خط النهایـة فی الواجبات الناجحـة للنبی صـلی الله علیه و آله. کان ذلک فی یوم الخمیس من السـنة العاشـرة للهجرة، وقـد مضت عشـرة أیّام علی عید الأضـحی، وفجأة صدر الأمر من الرسول صـلی الله علیه و آله إلی الذین معه بالتوقف، ونادی المسـلمون بأعلی أصواتهم أصـحابَهم الذین تقدّموا الرکب بالتوقف والعودة، وأمهلوا المتأخرین حتّی یصـلوا، وزالت الشـمس وصدح صوت مؤذن رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله بالأذان: اللَّه أکبر، داعیاً الناس إلی صـلاة الظهر، وسـرعان ما اسـتعد الناس للصـلاة، إلّاأن حرارة الجـو کـانت إلی الحـدّ الـذی اجبر البعض علی أن یغطی أرجله بقسم من ازاره ویسـتر رأسه بـالقسم الآـخر، وإلّـا فـإن حصـی الصـحراء وأشـعة الشـمس سـتحرق أرجلهم ورؤوسـهم. فلا خیمة فی الصـحراء، ولا خضرة، ولا نبات، ولا شجرة، سوی بعض الأشجار البریة الجرداء التی تقاوم حرارة الصـحراء، والتی لاذ بها البعض، ووضـعوا قطعة من القماش علی أحداها وجعلوها ظلّا لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله، إلّاأن الریاح اللاهبة تهب تحتها وتلفها بحرارة الشـمس المحرقة. وانتهت صـلاة الظهر، وعزم المسلمون علی اللجوء إلی خیـامهم الصـغیرة التی کانوا یحملونها معهم، بیـد أن النبی صـلی الله علیه و آله أوعز لهم بالاسـتعداد لسـماع بلاغ إلهی جدیـد یُوضَّح ضمن خطبـة مفصـلة، ولم یکن بمقدور البعیدین عن رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله رؤیة وجهه الملکوتی وسط زحام الناس، لذا فقد صنعوا له منبراً من أربعـة من أحداج الإبل، فارتقاهُ النبی صـلی الله علیه و آله، وفی البدایة حمد اللَّه وأثنی علیه واسـتعاذ به، ثمّ خاطب النـاس قائلًـا: أیّها الناس: یوشک أن ادعی فاجیب. أنا مسؤول، وأنتم مسؤولون. فکیف تشـهدون بحقّی؟ فصاح الناس: نشـهد أنک قد بلّغت ونصـحت وجهدت فجزاک اللَّه خیراً، ثمّ قال: ألسـتم تشهدون أن لا إله إلّااللَّه، وأنّی رسول اللَّه إلیکم، وأن البعث حقّ، وأن اللَّه یبعث آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۲۴ من فی القبور؟! فقالوا: نشـهد بذلک، قال: اللّهمّ اشـهد، ثمّ قال: أیّها الناس أتسـمعونی؟ قالوا: نعم، ثمّ عمّ السـکوت الصحراء فلم یُسمع إلّاصوت الریح، فقال صلی الله علیه و آله: فانظروا ماذا صنعتم بالثقلین من بعدی؟ فقال رجل من بین القوم: ما هذا الثقلان یا رسول اللَّه؟! قال صـلی الله علیه و آله: أما الثقل الأکبر فهو کتاب اللَّه حبل ممدود من اللَّه إلیکم، طرفه بیـد اللَّه والطرف الآخر بأیـدیکم، فلا تدعوه، وأما الثقل الأصـغر فهم عترتی وقد أخبرنی اللطیف الخبیر أنهما لن یفترقا حتّی یردا علیّ

الحوض، فلاـ تتقـدموهما فتهلکوا ولاـ تتأخروا عنهما فتهلکوا. ونظر الناس إلی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله وهو یلتفت حوله، وکأنه یبحث عن أحد، ولما وقعت عیناه علی علی علیه السلام التفت إلیه وأخذ بیده ورفعها حتّی بان بیاض أبطیهما، وشاهدهما جمیع القوم، وعرفـوا أنه ذلـک الفـارس المقـدام، وهنـا ارتفع صوت النـبی صـلی الله علیه و آله، وقـال: أَیُّهَا النّـاسُ مَنْ أَوْلَی النّـاسِ بِـالمُؤمِنینَ مِنْ أَنْفُسِـهِمْ؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، فقال النبی صـلی الله علیه و آله: اللَّه مولای، وأنا مولی المؤمنین وأولی منهم بأنفسـهم، ثمّ قال: فَمَنْ کُنْتُ مَوْلاـهُ فَعَلِیٌّ مَوْلاـهُ، وکرر هـذا الکلاـم ثلاث مرّات، وکما قال أرباب الحـدیث: انه کرره أربعاً، ثمّ رفع رأسه نحو السـماء، وقال: اللّهمّ والِ مَنْ والاه وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَأَحِبّ مَنْ أَحَبَّهُ وَابْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَه وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرِ الْحَقّ مَعَهُ حَیْثُ دارَ. ثمّ قال صـلی الله علیه و آله: أَلا فَلْیُبَلّغ الشّاهِدُ الْغائِبَ. هنا انتهت خطبة الرسول صلی الله علیه و آله وکان العرق یتصبب من النبی صلی الله علیه و آله والجمیع، ومـازال الناس لم یتفرقوا من ذلک المکان حتّی نزل علیه الوحی وقرأ هـذه الآیـة علی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله: «الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی»، فقـال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله: اللَّهُ أَکْبَرْ، اللَّهُ أَکْبَرْ عَلَی اکْمـالِ الـدِّیْنِ وَاتْمـامِ النِّعْمَـهُ وَرِضَـی الرَّبُّ بِرِسَـالَتِی وَالْوِلایَـهِْ لِعَلِیٍّ مِنْ بَعْـدی. آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۲۵ فی هـذه الأثنـاء عم النـاس النشاط والحرکـة، وأخـذوا یهنئون علیّاً علیه السـلام بهـذا المقـام، وکـان من الـذین هنئوه، أبو بکر وعمر حیث نطقـا بهـذه العبـارة أمام أعین الحاضـرین: بَخٍّ بَخٍّ لَکَ یَابْنَ أَبی طالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَیْتَ مَوْلایَ وَمَوْلا کُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤمِنَهٍْ. أثناء ذلک قال ابن عبّاس: «واللَّه إنه عهد سیبقی فی أعناقهم»، واستاذن النبی صـلی الله علیه و آله الشـاعر المعروف «حسـان بن ثابت» لینشـد شـعراً بهـذه المناسـبة، ثمّ اسـتهل قصـیدته المعروفـة: یُنـادِیْهِمْ یَوْمَ الْغَـدیر نَبِیُّهُمْ بِخُمٍّ وَاسْـمِعْ بِالرَّسُولِ مُنادِیا فَقالَ فَمَنْ مَوْلاکُمْ وَنَبِیِّکُمْ؟ فَقالُوا وَلَمْ یَبْـدُوا هُناکَ التَّعامِیا: الهُکَ مَوْلانا وَانْتَ نَبِیُّنا وَلَمْ تَلْقِ مِنّا فِی الْوَلایَهِْ عاصِـیا فَقالَ لَهُ قُمْ یا عَلَیٌّ فَانَّنی رَضـیتُکَ مِنْ بَعْـدی اماماً وَهادِیا فَمَنْ کُنْتُ مَوْلاهُ فَهـذا وَلِیُّهُ فَکُونُوا لَهُ اتْباعَ صِدْقٍ مُوالِیا هُناکَ دَعا اللّهُمَّ وَالِ وَلِیَّهُ وَکُنْ لِلَّذی عادا عَلِیّاً مُعادِیا «۱»

توضیحات

۱- معنی الولایة والمولی فی حدیث الغدیر

۱- معنی الولایة والمولی فی حدیث الغدیر لقد اطّلعنا بشـکل إجمالی علی حدیث الغدیر المتواتر، والعبارة المشـهورة التی جاءت عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی جمیع الکتب وهی: «مَنْ کُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِیٌّ مَوْلاهُ» توضح الکثیر من الحقائق وإن أصرّ کثیرٌ من کتّاب أهل السـنّة علی تفسـیر کلمة «المولی» هنا بمعنی «الصدیق والمحبّ والناصـر»، لأنّ هذا أحد المعانی المعروفة ل «المولی». ونحن نسلّم بـأنّ إحـدی معـانی «المـولی» الصـدیق والمحب والناصر، إلّـاأنّ ثمـة قرائن عدیـدة تثبت أنّ المـولی فی الحـدیث أعلاـه تعنی «الولی والمشـرف والقائد» وهی کما یلی بإیجاز: آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۶ ۱- إن قضـیة محبة علی علیه السلام مع جمیع المؤمنین لم تکن أمراً خفیـاً وسـریّاً ومعقّـداً، بحیث یحتـاج إلی هـذا التأکیـد والإیضـاح، وبحاجـة إلی إیقاف ذلک الرکب العظیم وسط الصـحراء القاحلـة الساخنـة وإلقاء خطبة علیهم لأخذ الاقرار بالولایة له من ذلک الجمع. فالقرآن یقول بصـراحة: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» «۱». وفی موضع آخر یقول: «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ» «۲». والخلاصة: إنّ الاخوة الإسلامیة ومودة المسلمین مع بعضهم من أکثر المسائل الإسـلامیة بداهة، حیث کانت موجودة منذ انطلاقة الإسـلام، وطالما أکد علیها النبیُّ صـلی الله علیه و آله مراراً، بالاضافة إلی عدم کونها مسألة تحتاج إلی بیان بهذا الاسـلوب الحاد فی الآیة، وأن یشـعر النبی صـلی الله علیه و آله بالخطر من البوح بها (تأملوا جیداً). ۲- إن عبـارة «أَلَسْتُ أوْلی بِکُمْ مِنْ أَنْفُسِـکُمْ» الواردة فی الکثیر من الروایـات لا تتناسب أبـداً مع بیان مودّة عادیـة، بل انه یرید القول بأن تلک الأولویة والتصـرف الذی لی تجاهکم وأننی إمامکم وقائدکم، فإنه ثابت لعلی علیه السلام وأی تفسیر لهذه العبارة غیر ما قیل فهو بعید عن الإنصاف والواقعیة، لا سیّما مع الأخذ بنظر الإعتبار جملة «أَنَا أوْلی بِکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ». ۳- التهانی التی قدمها الناس

لعلی علیه السلام فی هذه الواقعة التاریخیة، لا سیّما التهانی التی قدمها أبوبکر وعمر، إذ إنها تبرهن علی أن القضیة لم تکن سوی تعیین الخلافة التی یستحق التبریک والتهانی، فالاعلان عن المودة الثابتة لجمیع المسلمین بشکل عام لا یحتاج إلی تهنئة. وجاء فی مسند الإمام أحمد أن عمراً، قال لعلی بعد خطبة النبی صلی الله علیه و آله: هنیئاً لک یا ابن أبی طالب أصبحت وأمسیت مولی کلّ مؤمن ومؤمنة «۳». ونقرأ فی العبارة التی ذکرها الفخر الرازی فی ذیل الآیة: «یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ» آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۷ أن عمراً قال: «هَنیئاً لَکَ یَابْنَ أبی طالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَیْتَ مَوْلَی کُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤمِنَةٍ». وبهذا فإن عمراً یعدُ علیاً مولاه ومولی المؤمنین جمیعاً. وفی تاریخ بغداد جاءت الروایة بهذا الشکل: بَخٍّ بَخٍّ لَکَ یَا ابْنَ أبی طالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلایَ وَمَوْلی کُلِّ مُسْلِمٍ «۱». وجاء فی «فیض القدیر»، و «الصواعق»، أن أبا بکرٍ وعمراً بارکا لعلی بالقول: «أَمْسَیْتَ یَابْنَ أبی طالِبٍ مَوْلا کُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤمِنَةٍ» «۲». ومن نافلة القول إن المودة العادیة بین المؤمنین لیست لها مثل هذه المراسیم، وهذا لا ینسجم إلّامع الولایة التی تعنی الخلافة. ۴- إن الشعر الذی نقلناه آنفاً عن «حسان بن ثابت» بذلک المضمون والمحتوی الرفیع، وتلک العبارات الصریحة والجلیة شاهد آخر علی هذا الادعاء، وتشیر إلی هذه القضیة بما فیه الکفایة (راجعوا تلک الأبیات مرّة اخری).

۲- سورة المعارج تؤید حدیث الغدیر

۲- سورة المعارج تؤید حدیث الغدیر روی کثیرٌ من المفسّرین ورواة الحدیث فی ذیل الآیات الاولی من سورة المعارج: «سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ* لِلْکافِرینَ لَیْسَ لَهُ دافِعٌ* مِنَ اللَّهِ ذی الْمَعارِجِ» أنّ شأن النزول فی هذه الآیات هو ما یلی: إن النبی صلی الله علیه و آله عیّن علیاً خلیفة یوم غدیر خم وقال بحقّة: «مَنْ کُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِیٌّ مَوْلَاه»، فما لبث أن انتشر الخبر، فجاء «النعمان بن الحارث الفهری»- (وکان من المنافقین) «۳»- إلی النبی صلی الله علیه و آله وقال: لقد أمرتنا أن نشهد ان لا إله إلّااللّه وأنک محمّد رسول اللّه، فشهدنا، ثمّ آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۸ أمرتنا بالجهاد والحجّ والصلاه والزکاة فقبلنا، فلم ترض بکلّ ذلک، حتّی أقمت هذا الفتی «مشیراً إلی علیّ علیه السلام خلیفة لک، وقلت: مَنْ کنتُ مولاه فعلیٌّ مولاه فهل هذا منک أم من اللّه»؟ قال النبی صلی الله علیه و آله «واللّه الذی لا معبود سواه انه من اللّه»، فالتفت إلیه «النعمان بن الحارث»، وقال: «إلهی إن کان هذا حقّاً منک فأنزل علینا حجارة من السماء»! وفجأةً نزلت حجارة من السماء علی رأسه وقتلته، فنزلت آیة «سأل سائل بعذاب واقع». ما ورد أعلاه هو ما ذکره صاحب «مجمع البیان» عن أبی القاسم الحسکانی «۱» وقد نقل هذا المضمون الکثیر من مفسّری أهل السنّة ورواة الأحادیث مع شیء من الإختلاف، مثل: القرطبی فی تفسیرِه المعروف «۲»، والآلوسی فی تفسیر روح المعانی «۳»، وأبو إسحاق الثعلبی فی تفسیره «۴». وینقل العلّامة الأمینی هذه الروایة فی کتاب الغدیر عن ثلاثین من علماء السنّة (مع ذکر المصدر ونص العبارة)، منها: «السیرة الحلبیة»، «فرائد السمطین» للحموینی، «درر السمطین» للشیخ محمّد الزرندی، و «السراج المنیر» لشمس الدین الشافعی، «شرح الجامع الصغیر» للسیوطی، و «تفسیر غریب القرآن» للحافظ أبوعبید الهروی، و «تفسیر شفاء الصدور» لأبی بکر النقاش الموصلی، وکتب اخری. وقد أورد بعض المفسّرین أو المحدّثین الذین یُقرّون بفضائل علی علیه السلام علی مضض اشکالات مختلفة علی شأن النزول هذا، أهمها الإشکالات الأربعة التالیة التی أوردها صاحب تفسیر المنار وآخرون بعد ذکرهم للروایة أعلاه. الإشکال الأوّل: إن سورة المعارج مکیة، ولا تتناسب مع واقعة غدیر خم. والجواب: إن کون السورة مکیة لا یعتبر دلیلًا علی أن جمیع آیاتها نزلت فی مکّة، آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۹ فلدینا العدید من سور القرآن الکریم التی تدعی بالمکیة وکتبت فی جمیع المصاحف علی أنها مکیة، بید أن عدداً من آیاتها نزلت فی المدینة، وکذا العکس، فعلی سبیل المثال: إن سورة العنکبوت من السور المکیة، والحال أن آیاتها العشر الاولی نزلت فی المدینة، علی ضوء قول الطبری فی تفسیره المعروف، والقرطبی فی تفسیره وآخرین من العلماء «۱». أو سورة الکهف المعروفة بأنها مکیة بینما نزلت آیاتها السبع الاولی فی المدینة استناداً لتفسیر «القرطبی»، و «الاتقان» للسیوطی، وتفاسیر عدیدة «۲». وهکذا فهنالک سورٌ عُدت بأنها مدنیة بینما نزلت آیات منها فی مکّة، مثل سورة «المجادلة» فهی مدنیة کما هو معروف، إلّاأن الآیات العشر الاولی منها نزلت فی

مكّة، طبقاً لتصريح بعض المفسّرين «۳». وموجز الكلام أنه توجد حالات كثيرة بأن تذكر سورة على أنها مكية أو مدنية، ويكتب عليها فى التفاسير والمصاحف هذا الاسم إلّاأن جانباً من آياتها قد نزل فى موضع آخر. وعليه فلا مانع أبداً من أن تكون سورة المعارج هكذا أيضاً. الإشكال الثانى: جاء فى الحديث أن الحارث بن النعمان جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله فى الإبطح، ومعلوم أن الأبطح اسم لوادى فى مكّة، وهذا لا يتلائم مع نزول الآية بعد واقعة الغدير بين مكّة والمدينة. الجواب: أوّلًا إن عبارة الإبطح وردت فى بعض الروايات فقط لا ـ فى جميعها. وثانياً: إن «الإبطح والبطحاء» تعنى الأرض الرملية التى يجرى فيها السيل، وهنالك مناطق فى المدينة وغيرها يطلق عليها اسم الأبطح أو البطحاء أيضاً، واللطيف انه قد اشير إليها مراراً فى الشعر العربى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰ منها الشعر المعروف الذى انشده «شهاب الدين» المشهور ب «حيص بيص» «۱» فى رثائه لأهل البيت عليهم السلام، عن لسانهم فى مخاطبة قاتليهم: مَلَكْنا فَكانَ الْعَفْوُ مِنّا سَجِيَّةً فَلَمّا مَلَكْتُمْ سالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ وَحَلَّلْتُمُ قَتْلَ الاسارى وَطالَما غَدَوْنا عَنِ الاسْرى نَعْفُوا وَنصْفَحُ «۲» ومن الواضح أن مقاتل أهل البيت عليهم السلام كانت على الأغلب فى العراق وكربلاء والكوفة والمدينة، وما اريق دمٌ فى ابطح مكّة أبداً، نعم إن بعض أهل البيت عليهم السلام استشهدوا فى واقعة «فخ» التى تبعد عن مكّة ما يقرب من فرسخين، والحال أنّ الابطح يجاور مكّة. وشاعرٌ آخر يرثى الإمام الحسين عليه السلام سيّد الشهداء قائلًا: وَتَانٌ نَفْسى لَلرَّبُوعِ وَقَدْ غَدا بَيْتَ النَّبِىِّ مُقَطَّعُ الاطْنابِ بَيْتُ لِآلِ المُصْطَفى فِى كَرْبَلا ضَرَبُوهُ بَيْنَ أَباطِحٍ وَرَوابى «۳» وثمة أشعار اخرى كثيرة ورد فيها تعبير «الابطح» أو «الاباطح» لا تعنى منطقة خاصة فى مكّة. وملخّص الكلام، صحيح أن أحد معانى الابطح هو بقعة فى مكّة، إلّاأنّ معنى ومفهوم ومصداق الابطح لا ينحصر بتلك البقعة.

٣- كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها

٣- كيفية ارتباط هذه الآية بما قبلها وبعدها إن بعض المفسّرين ومن أجل مجانبة الحقيقة الكامنة فى هذه الآية توسّل بمبرر آخر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱ وهو: إن سياق الآيات السابقة واللاحقة بشأن أهل الكتاب لا تنسجم مع قضية الولاية والخلافة والإمامة، ولا تتناسب هذه الاثنينية فى الخطاب مع بلاغة وفصاحة القرآن «۱». الجواب: إن كافة المطّلعين على كيفية جمع آيات القرآن يعرفون أن آيات القرآن نزلت تدريجياً وبمناسباتٍ مختلفة، من هنا فكثيراً ما تتحدث سورةٌ ما حول قضايا مختلفة، فجانبٌ منها يتحدث عن الغزوة الفلانية، والجانب الآخر حول الحكم والتشريع الإسلامى الفلانى، وجانبٌ يخاطب المنافقين، وآخر يخاطب المؤمنين، فمثلًا لو طالعنا سورة النور لوجدناها تحتوى على جوانب متعددة، كلٌّ منها ناظرٌ إلى موضوعٍ، بدءاً من التوحيد والمعاد ومروراً بتنفيذ حدّ الزنا وقصة «الافك»، والقضايا المتعلّقة بالمنافقين، والحجاب وغيرها، (وكذلك سائر السور الطوال إلى حدٍ ما) بالرغم من وجود ارتباط عام بين مجموعة أجزاء السورة. والسرّ وراء هذا التنوع فى المحتوى ما قيل من أن القرآن نزل تدريجياً وحسب المتطلبات والضرورات وفى مختلف الأحداث، وليس على هيئة كتاب كلاسيكى أبداً بحيث يتابع موضوعاً معداً سلفاً، على هذا الأساس لا مانع على الاطلاق من أن تنزل مقاطع من سورة المائدة بشأن أهل الكتاب، ومقاطع منها فى واقعة الغدير، بالطبع فمن وجهة النظر العامة انهما يرتبطان معاً إذ انّ تعيين خليفة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله يترك أثره على قضايا أهل الكتاب أيضاً، لأنه سيؤدى إلى يأسهم من انهيار الإسلام برحيل النبى صلى الله عليه و آله «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳

آية إكمال الدين ۲

اشارة

آية إكمال الدين ۲ [سورة المائدة (۵): آية ۳] إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ (۵) «سورة المائدة/ الآية ۳»

أبعاد البحث

أبعاد البحث تتحدّث هذه الآية الشريفة عن يوم عظيم جداً لدى المسلمين حيث يمثل نقطة عطف فى تاريخ الإسلام، وهو اليوم الذى عاش فيه أعداء الدين اليأس الكامل، وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة الإلهية ورضى اللّه تعالى، فأى يوم هو هذا اليوم المبارك؟ فيما يلى نجيب على هذا السؤال:

الشرح والتفسير: يوم إكمال الدين والنعمة

الشرح والتفسير: يوم إكمال الدين والنعمة «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ» فبالرغم من أنّ أعداء الإسلام والكفّار المعاندين لم يتوانوا فى التصدى للدعوة السماوية منذ بدايتها وإلى آخر أيّام حياة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبوسائل مختلفة، وفى كلّ مرّة كانوا يهزمون ويولّون الأدبار ولكنهم مع ذلك لم يفقدوا الأمل فى الإنتصار على الإسلام والمسلمين، ولكن عند نزول هذه الآية الشريفة ندرك جيداً وقوع حادثة مهمة بحيث إنّ هؤلاء الأعداء لم ينهزموا فقط بل فقدوا أملهم بالنصر نهائياً. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴ وعلى هذا الأساس فإنّ هؤلاء الكفّار والمشركين قد تملّكتهم حالة من اليأس المطبق فى تحقيق النصر على هذه الدعوة الجديدة. «فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ» فمع هذا النصر الكبير الذى حصل لكم فى هذا اليوم فلا ينبغى لكم بعد ذلك أن تعيشوا حالة الخوف والخشية من الأعداء لأنهم سوف لا يشكلون خطراً عليكم إطلاقاً بل عليكم أن تتحركوا فى امتثال أوامر اللّه سبحانه وتعالى من موقع الخشية للّه والتقوى لأنّ الخطر الأساس فى هذه المرحلة يتمثل فى الأهواء والشهوات والإبتعاد عن خط الطاعة والتقوى والمسؤولية. «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى» ففى هذا اليوم العظيم والمهم أكمل اللّه لكم دينكم وأتم نعمته عليكم. «وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» إنّ عظمة هذا اليوم وأهمية هذه الحادثة إلى درجة بحيث إنّ اللّه عزّوجلّ رضى لكم الدين الإسلامى إلى الأبد.

أىّ يوم هو ذلك اليوم؟

اشارة

أىّ يوم هو ذلك اليوم؟ إن اليوم الذى تتحدث عنه الآية الشريفة له خصائص مهمة أربع: ۱- إن هذا اليوم هو اليوم الذى شعر فيه الكفّار والمشركون باليأس الكامل. ۲- اليوم الذى أكمل اللّه لكم الدين. ۳- اليوم الذى أتم اللّه تعالى نعمته على جميع المسلمين. ۴- اليوم الذى رضى به اللّه تعالى أن يكون الإسلام ديناً خالداً لجميع الناس فأىّ يوم هذا اليوم المبارك الذى يتمتع بهذه الخصوصيات الأربعة؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكننا اختيار طريقين: الطريق الأوّل: التأمل والتدبّر فى مضمون الآية الشريفة نفسها ومطالعة ما يمكن استيحاؤه من أجواءها بغض النظر عن الروايات والأحاديث الشريفة الواردة فى تفسير هذه الآية وبغضّ النظر كذلك عن آراء المفسّرين وعلماء الإسلام وسائر العلائم والقرائن الاخرى التى تحيط بهذه الآية الشريفة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵ الطريق الثانى: تفسير الآية الشريفة بالاستعانة بالروايات الواردة بشأن النزول وكذلك آراء ونظريات المفسّرين وعلماء الإسلام.

الطريق الأوّل: تفسير الآية بدون الاستعانة بالقرائن الخارجية

اشارة

الطريق الأوّل: تفسير الآية بدون الاستعانة بالقرائن الخارجية نتساءل مع أيّ حادثة من الحوادث التاريخية في زمن النزول يمكن تطبيق هذه الآية الشريفة؟ وفى مقام هذا الجواب على هذا السؤال فالفخر الرازى له رأيان والمرحوم الطبرسى ذكر رأياً ثالثاً، ونحن بالتوكل على اللَّه تعالى وبالإستعانة بالعقل والمنطق والإبتعاد عن التعصّب ولغة الأحساسات والإبتعاد عن كلّ ما يخلّ بوحدة المسلمين نبحث هذه الآراء والنظريات الثلاث بدقّة: النظرية الاولى: وهى أحدى النظريات التى ذكرها الفخرالرازى فى تفسيره للآية الشريفة، وهى أنّ كلمة «اليوم» الواردة فى هذه الآية لم ترد بمعناها الحقيقى بل وردت بالمعنى المجازى، أى أنّ كلمة «اليوم» هنا تعنى «المرحلة» أو البرهة من الزمان لا مقطع خاص منه بما يحكى عن ليلة ونهار واحد. وطبقاً لهذه النظرية فإنّ اليوم هنا لا يقصد به يوم معين أو حادثة خاصّة بل يشير إلى بداية مرحلة تحكى عن عظمة الإسلام ويأس الأعداء والكفّار من تحقيق النصر على هذه الدعوة السماوية، لا سيّما وأن هذا الإستعمال المجازى لكلمة «اليوم» هو استعمال متداول بين الناس كما يقال مثلًا «كنت بالأمس شاباً واليوم أصبحت شيخاً» أى أننى كنت فى مرحلة سابقة من عمرى شاباً وفى هذا الزمان أصبحت شيخاً، فلا تعنى كلمة اليوم أو الأمس يوماً معيناً من الأيّام الزمانية. ولكن الجواب على هذه النظرية واضح لأنّ المعنى المجازى يحتاج إلى قرينة لصرف الإستعمال عن المعنى الحقيقى، فما هى هذه القرينة الواضحة التى استند عليها الفخرالرازى للقول بالمعنى المجازى؟ النظرية الثانية: أن المراد بكلمة اليوم فى الآية الشريفة هو المعنى الحقيقى، أى هو يوم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۶ خاصّ ومعين وهو «يوم عرفة» الثامن من شهر ذى القعدة، فى حجّة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة. ولكن هذه النظرية بدورها لا تتضمن إقناعاً كافياً لأنّ يوم عرفة فى السنة العاشرة للهجرة لا يختلف عن أيّام عرفة الاخرى فى السنة التاسعة والثامنة للهجرة، ولولم تحدث فى هذا اليوم حادثة خاصة فكيف ذكرته الآية الشريفة بلغة التعظيم والتبجيل؟ والخلاصة هى أنّ هذه النظرية غير مقبولة وغيرمنطقية وبالتالى فإنّ كلا النظريتين للفخرالرازى لا تعيننا فى استجلاء مضمون الآية الشريفة واكتشاف السر المستودع فيها. النظرية الثالثة: وهى التى ذكرها الطبرسى الذى يعد من أساطين المفسّرين لدى الشيعة، فإنّه بعد أن نقل القولين السابقين للفخرالرازى وردّهما ذكر تفسير أهل البيت فى مورد هذه الآية الشريفة الذى هو تفسير جميع مفسّرى الشيعة وعلمائهم. يرى أصحاب هذه النظرية أن المراد ب «اليوم» فى هذه الآية الكريمة الذى تحقق فيه يأس الكفّار واستوجب رضى اللَّه تعالى وكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة هو اليوم الحادى عشر من شهر ذى الحجّة من السنة العاشرة للهجرة أى يوم عيد الغدير، وهو اليوم الذى نصّب فيه رسول اللَّه الإمام علىّ خليفة له على المسلمين وأعلن فيه خلافته وولايته بصورة رسمية. سؤال: هل هذه النظرية تتطابق مع مضمون الآية الشريفة؟ الجواب: إذا نظرنا بعين الإنصاف إلى هذه الآية الشريفة وابتعدنا عن المسبوقات الفكرية والرواسب التراثية لرأينا الآية الشريفة تنطبق تماماً على واقعة الغدير لأنها: أوّلًا: لأنّ أعداء الإسلام بعد أن فشلوا فى جميع مؤامراتهم وانهزموا فى حروبهم ضد الإسلام والمسلمين وفشلت خططهم فى بثّ التفرقة والإختلاف فى صفوف المسلمين فإنّهم لم يبق لهم سوى شيء واحد يحيى أملهم فى الإنتصار والتغلب على هذا الدين الجديد، وهو أن النبى الأكرم بعد رحيله من هذه الدنيا وخاصّة مع أخذ بالنظر الإعتبار أنّه لم يكن له ولد يخلفه فى أمر الدعوة واستمرارية الرسالة ولم يعيّن لحد الآن خليفة له من بعده فيمكنهم والحال هذه أن يسددوا ضربة قاصمة للإسلام والدعوة السماوية بعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۷ ولكنّهم عندما شاهدوا أنّ النبى الأكرم قد جمع المسلمين فى صحراء غدير خم فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجّة فى السنة العاشرة للهجرة واختار خليفة له على المسلمين وهو أعلمهم وأقدرهم فى تدبير امور المجتمع الإسلامى فإنّ أملهم هذا قد تبدلّ إلى يأس كامل، وتبخرت حينذاك طموحاتهم وتمنياتهم وأغلقت فيه النافذة الوحيدة للأمل لديهم فيأسوا من هزيمة الإسلام إلى الأبد. ثانياً: مع انتخاب الإمام على عليه السلام خليفة ووصياً للرسول فإنّ النبوة لن تنقطع بل استمرت فى سيرها التكاملى لأن الإمامة هى تكميل للنبوة وبالتالى فالإمامة هى السبب فى كمال الدين، وعلى هذا الأساس فإن اللَّه تعالى قد أكمل دينه بنصبه الإمام على خليفة على المسلمين وهو الشخصية المتميزة من بين المسلمين بالعلم والقدرة والتقوى والفضيلة بما لا يدانيه أحد بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. ثالثاً: إن النعم الإلهية قد تمت على المسلمين بنصب الإمام على خليفة وإماماً بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. رابعاً: إنّ الإسلام بلا شك

سوف لا يكون ديناً عالمياً وشمولياً وخاتم الأديان بدون عنصر الإمامة، لأن الدين الذى يعتبر نفسه خاتم الأديان يجب أن يتضمن أجابات كافية على حاجات الناس المتكثرة والمتوالية فى جميع الأزمان، وهذا المعنى لا يتسنى من دون إمام معصوم فى كلّ زمان من الأزمنة. والنتيجة هى أن تفسير الآية الشريفة بواقعة الغدير هو التفسير الوحيد والمقبول من جميع الجهات.

المراد من إكمال الدين

المراد من إكمال الدين وقد ذكر المفسّرون فى تفسير هذا المقطع من الآية الشريفة «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...» ثلاث نظريات: ١- إن المراد من «الدين» هو القوانين، أى أن ذلك اليوم كملت فيه قوانين الإسلام فلا يوجد فى الإسلام خلأ قانونى وفراغ تشريعى بعد الآن. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۸ ولكنّ الجواب على هذه النظرية يمكن أن يثير سؤال وهو: ما هذا القانون المهم أو الحادثة المهمة التى وقعت فى ذلك اليوم وأدّت إلى تكميل القوانين الإلهية والتشريعات السماوية؟ وفى الجواب على هذا السؤال يكمن مضمون الآية الشريفة ومدلولها. ٢- ذهب البعض إلى أن المقصود من كلمة «الدين» فى الآية أعلاه هو «الحجّ» أى أنّ اللّه تعالى قد أكمل حجّ المسلمين فى ذلك اليوم العظيم. ولكن هل أنّ الدين يستعمل بمعنى الحجّ واقعاً، أو أنّ الدين هو مجموعة العقائد والأعمال والعبادات التى يشكل الحجّ أحدها؟ من الواضح أن احتمال الثانى هو الصحيح، وعليه فإن تفسير الدين بمعنى الحجّ هو تفسير غير مقبول ولا ـ يقوم على دليل متين. ٣- إنّ تحقق مضمون الآية الشريفة فى إكمال الدين وإتمام النعمة فى هذا اليوم بأنّ اللّه تعالى نصر فيه المسلمين على أعدائهم وخلّصهم من شرّ هؤلاء الأعداء. ولكن هل يصحّ هذا الكلام؟ فمن هم الأعداء الذين غلبوا وشعروا باليأس؟ فبالنسبة إلى المشركين فقد استسلموا ودخلوا فى الإسلام فى السنة الثامنة للهجرة عند فتح مكة، وبالنسبة إلى يهود المدينة وخيبر وقبائل بنى النظير وبنى قينقاع وبنى قريظة فإنّهم قد هزموا فى سنوات سابقة فى معركة خيبر والأحزاب فتركوا الجزيرة العربية وخرجوا إلى خارج الحكومة الإسلامية، وأمّا بالنسبة إلى النصارى فقد أمضوا معاهدة الصلح مع المسلمين، وعليه فإن جميع أعداء الإسلام قد استسلموا قبل السنة العاشرة للهجرة. نعم، بقى خطر المنافقين الذين يمثّلون أخطر أعداء الإسلام حيث لا زال خطرهم ماثلًا أمام المسلمين، ولكن كيف يمكن القول بأنهم قد انهزموا وأصابهم اليأس؟ هنا نجد أن هذا السؤال بقى بلا جواب مقنع كما هو حال السؤال المطروح فى النظرية الاولى والذى لم يتقدم أصحاب هذه النظرية بالجواب على هذا السؤال. أما تفسير علماء الشيعة فكما تقدّم آنفاً فإنّه يجيب على جميع الأسئلة ويلقى ضوءاً خاصّاً على مفهوم الآية وأجواءها. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۹ أجل! فإنّ واقعة غدير خم ومسألة الولاية وخلافة أميرالمؤمنين تعتبر أفضل تفسير بل هى التفسير الصحيح لهذه الآية الشريفة، لأنّ مع وقوع هذه الحادثة المهمة فإنّ آمال المنافقين وأعداء الإسلام قد تبددت وتبدلت إلى يأس.

اعتراف جذّاب من الفخر الرازى

اعتراف جذّاب من الفخر الرازى يقول الفخر الرازى المفسّر السنّى المعروف: «قال أصحاب الآثار انّه لمّا نزلت هذه الآية على النبىّ صلى الله عليه و آله لم يعمر بعد نزولها إلّا أحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً ولم يحصل فى الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ «۱» ولا تبديل البتّة «۲»». وعلى وفق مقولة الفخر الرازى هذه فإنّ الآية الشريفة قد نزلت قبل رحلة النبى صلى الله عليه و آله بواحد وثمانين يوماً أو أثنين وثمانين يوماً، وعلى هذا الأساس فيمكن حدس وقت نزول الآية الشريفة، ولإيضاح هذا المطلب يلزمنا التعرف على زمن رحلة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فإنّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۰ أهل السنّة يرون أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد ولد فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأوّل واتفق أنّ وفاته كان فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأوّل أيضاً. وبالطبع فإنّ بعض الشيعة أيّد

هـذا الرأى ومنهم الكلينى الـذى يرى أن تاريخ وفاة النبى صـلى الله عليه و آله كان فى اليوم الثانى عشـر من ربيع الأوّل بالرغم من أنّه يرى أن ولادة رسول اللّه صـلى الله عليه و آله كانت فى اليوم السابع عشـر من ربيع الأوّل طبقاً لما هو المشهور من علماء الشيعة، وعلى هـذا الأساس لابـدّ من الرجوع واحداً وثمانين يوماً أو أثنين وثمانين يوماً من الثانى عشـر من ربيع الأوّل، ومع الإلتفات إلى أن الأشـهر القمرية لا تكون ثلاثين يوماً على التوالى فى ثلاثة أشهر وكذلك لا تكون تسعة وعشرين يوماً على ثلاثة أشهر متوالية ينبغى أن يكون هناك شـهران كاملان وبينهما شـهر واحد منه تسـعة وعشـرين يوماً، أو بالعكس بأن يكون هناك شـهران لتسـعة وعشـرين يوماً وشهر واحد لثلاثين يوماً. فلو أخذنا بنظر الإعتبار شـهر محرم وصـفر وفرضنا أنّ كلّ واحد منهما تسعة وعشرين يوماً، فالمجموع يكون ثمانية وخمسـين يوماً، ومع إضافة أثنى عشـر يوماً من شـهر ربيع الأوّل يكون المجموع سـبعين يوماً، وبالالتفات إلى أن شـهر ذى الحجّة لابدّ وأن يكون ثلاثين يوماً فلو توغلنا فيه اثنى عشـر يوماً ليكون المجموع اثنين وثمانين يوماً يصادف هـذا اليوم هو يوم عيـد الغدير الثامن عشـر من ذى الحجّـة، وعلى هـذا الأساس وطبقاً لنظريـة علماء السنّة فإنّ الآية الشـريفة أعلاه تتعلّق بيوم الغدير لا بيوم عرفة. وإذا كان المعيار هو واحداً وثمانين يوماً فإنّه يتفق مع اليوم الذى يتلو يوم الغدير لا يوم عرفة حيث تفصله مع يوم عرفة فاصلة كبيرة. وإذا أخذنا شهر محرم وصـفر لكلّ واحد منهما ثلاثون يوماً وشهر ذى الحجّة تسعة وعشرين يوماً فطبقاً لعدد اثنين وثمانين يوماً يكون اليوم التاسع عشر من ذى الحجّة هو المراد وطبقاً لواحد وثمانين يوماً فإنّ يوم عشرين ذى الحجّة يكون هو زمان الآية الشريفة، أى أن الآية الشريفة نزلت بعد يوم واحد أو يومين بعد واقعة الغدير ونصب الإمام على عليه السـلام خليفة على المسلمين وناظرة إلى هذه الحادثة التاريخية المهمـة ولا ترتبط إطلاقاً بيوم عرفـة. والنتيجـة هى أنّ القرائن المختلفـة التى تحف بهـذه الآيـة الشـريفة تشير إلى أن هـذه الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۱ تتعلّق بواقعـة الغدير وأنها نزلت فى شأن خلافة أميرالمؤمنين الإمام علىّ عليه السـلام. سؤال: إنّ بداية الآية الثالثـة من سورة المائـدة تتحدّث عن اللحوم المحرمة «۱»، وفى آخرها تتحدّث عن الاضـطرار والضـرورة وأحكامها «۲»، وفيما بينهما تتحـدّث الآيـة عن ولايـة وإمامـة أميرالمؤمنين، فأىّ تناسب وانسـجام بين مسألـة الولايـة والإمامة وخلافة النبى صـلى الله عليه و آله مع مسألـة اللحوم المحرمـة وحكم الاضـطرار والضـرورة؟ ألا يكون هذا شاهداً على أن العبارة مورد البحث فى هذه الآية لا يرتبط بمسألة الولايـة بـل يشير إلى مطلب آخر؟ الجواب: إنّ آيـات القرآن الكريم لم ترد بصورة كتـاب منظم كمـا هو الحـال فى الكتب المتعارفة الكلاسـيكية بل نزلت متفرقـة وعلى فترات مختلفـة وقد تكون آيات سورة واحدة قد نزلت فى أوقات متباينة وكان النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله يوصـى بكتابـة كلّ آيـة فى سورة معيّنة، وعلى هذا الأساس فيمكن أن يكون صدر الآية مورد البحث الذى يتحدّث عن الأسـئلة التى كان المسـلمون يسألون النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله عنها وعن اللحوم المحرمـة قـد نزل قبل واقعة الغدير، وبعد مدّة حـدثت واقعـة الغـدير ونزلت الآيـة محل البحث وذكرها كتّاب الوحى بعـد آيـة تحريم اللحوم، ثمّ حـدثت مسألة الاضـطرار أو حدث مصـداق من مصاديقها وحكم هذا الاضـطرار، لذلك نجد أن ذيل الآية الشـريفة يتضـمن هذا الحكم الشـرعى وقد كتبه كتّاب الوحى بعـد الحـديث عن واقعـة الغـدير المـذكور فى وسط الآية، وبملاحظة النكتة أعلاه فليس بالضـرورة أن يكون هناك إنسـجاماً معيناً فى سياق الآية الشريفة. ومع الإلتفات إلى هذه الملاحظة سوف تنحل كثير من الشبهات والإشكالات المتعلّقة بآيات القرآن الكريم. سؤال آخر: رأينا فيما سبق أن الآية الثالثة من سورة المائدة هى آخر الآيات التى نزلت على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ومع نزول هذه الآيـة يكون الـدين قد كمل وتكون الشـريعة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۲ الإسـلامية بمجموع مقرراتها وقوانيها قـد نزلت بصورة كاملـة على النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله، فإذا كان كذلك إذن فلماذا ورد بعد هذه الآية مورد البحث وفى ذيلها حكم الاضـطرار والضـرورة؟ أى إذا كانت آيـة إكمال الـدين هى آخر آيـة وتخبرنا عن إكمال الـدين والشـريعة، إذن فماذا يعنى هـذا القانون الجديد الذى نزل بعدها؟ الجواب: يمكن الإجابة عن هذا الإشـكال بصورتين: الجواب الأوّل: إنّ مسألة الاضطرار فى زمان القحط والذى ورد فى هذه الآية الشـريفة لا يورد حكماً جديداً بل هو حكم تأكيدى لما سبق من الأحكام الشرعية، لأنّ هذا الحكم قد ورد قبل ذلك فى ثلاث آيات من القرآن الكريم: الف) نقرأ فى آيـة ۱۴۵ من سورة الأنعام وهى سورة مكيـة قوله تعالى: «قُلْ لا أَجِدُ فِی ما أُوحِیَ إِلَیَّ

مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». فكما تلاحظون أنّ هذه الآية الشريفة قد نزلت فى مكّة قبل هجرة النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة وتبين حكم الاضطرار أيضاً. ب) نقرأ فى الآية ۱۱۵ من سورة النحل التى نزل قسم منها فى مكّة المكرّمة وقسم منها فى المدينة قوله تعالى: «إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». ففى هذه الآية الشريفة التى نزلت قبل الآية مورد البحث قد ذكر فيها حكم الاضطرار. ج) ونقرأ فى الآية ۱۷۳ من سورة البقرة والتى نزلت فى أوائل هجرة النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة الحكم الشرعى للاضطرار أيضاً وهى تشبه إلى حدّ كبير الآية التى ذكرناها آنفاً مع تفاوت يسير ولذلك فلا نكررها. النتيجة: هى أن الحكم الشرعى للاضطرار قد ورد فى القرآن الكريم قبل هذه الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۳ مورد البحث فى ثلاث موارد اخرى «۱»، وعليه فإنّ الحكم الشرعى فى الآية المذكورة لا يعدّ حكماً جديداً ولا يتنافى مع آية إكمال الدين حيث لم ينزل أىّ قانون جديد بعد هذه الآية على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. الجواب الثانى: إن آيات القرآن الكريم لم تجمع على حسب ترتيب نزولها بل طبقاً للأمر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وعلى سبيل المثال فالآية ۶۷ من سورة المائدة تقول: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...» ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت قبل الآية مورد البحث «الآية الثالثة من سورة المائدة». ولكنّها عند تدوينها قد كتبت بعد تلك الآية، وعليه فلا مانع أن يكون حكم الاضطرار قد نزل قبل آية إكمال الدين ولكن فى حال تدوينها قد كتبت بعد الآية الشريفة.

الطريق الثانى: تفسير الآية فى ضوء الروايات الشريفة

الطريق الثانى: تفسير الآية فى ضوء الروايات الشريفة إن الأحاديث والروايات الشريفة الواردة فى شأن نزول هذه الآية الشريفة كثيرة، وقد ذكر العلّامة الأمينى فى كتابه القيّم «الغدير» «۲» هذه الروايات مع الأبحاث المتعلّقة بها بصورة واسعة، فقد أورد حديث الغدير فى هذا الكتاب من مائة وعشرة راوٍ من أصحاب النبى مضافاً إلى ذلك فقد نقله من ثمانين شخصاً من التابعين «۳»، وقد ذكر العلّامة الخبير الأحاديث آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۴ المتعلّقة بهذه الحادثة التاريخية من ثلاث مئة وستين من المصادر الروائية والتاريخية لدى المسلمين وبعضها من مصادر أهل السنّة والبعض الآخر من مصادر الشيعة، ولكنّ الملاحظة المهمة هنا هى أنّ جميع هذه الروايات التى تتحدّث عن واقعة الغدير العظيمة لا ترتبط ببحثنا هذا بل الروايات التى تتحدّث عن نزول هذه الآية الشريفة هى التى ترتبط ببحثنا، ولحسن الحظّ أنّ عدد هذه الروايات ليس بالقليل فقد ذكر المحقّق العلّامة الأمينى فى كتابه المذكور ستة عشر رواية فى هذا المجال «۱»، ونحن نشير إلى بعضها فيما يلى: ۱- ما أورده السيوطى وهو من علماء أهل السنّة وكان يعيش فى مصر ويعدّ من كبار علماء أهل السنّة، فقد ذكر هذه الرواية فى كتابه: «يقول أبو سعيد الخدرى: لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله عَلِيّاً عليه السلام يَوْمَ غَديرِ خُمٍّ فَنادَى لَهُ بِالوِلَايَةِ، هَبَطَ جَبْرَئيلُ بِهذِهِ الآيَةِ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...» «۲»». وطبقاً لهذه الرواية الواردة فى كتب أهل السنّة يكون المراد من كلمة «اليوم» فى الآية الشريفة هو يوم الغدير، والآية مورد البحث تتحدّث عن ولاية وخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام. ۲- وقد أورد هذا العالم السنّى رواية اخرى عن أبى هريرة الراوى المقبول لدى أهل السنّة. «يقول أبو هريرة: لَمّا كان يَوْمَ غَديرِ خُمٍّ وَهُوَ يَوْمُ ثَماني عَشَرَ مِنْ ذى الْحَجَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، فَانْزَلَ اللَّهُ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ ...» «۳»». وهذه الرواية أيضاً تدلّ بوضوح على المطلوب. ۳- وروى الخطيب البغدادى وهو أحد علماء أهل السنّة فى القرن الخامس «۴» الهجرى فى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۵ كتابه المعروف «تاريخ بغداد» نقلًا عن أبى هريرة حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله «مَنْ صامَ يَوْمَ ثَمانَ عَشَرَةَ مِنْ ذى الْحَجَّةِ كُتِبَ لَهُ صِيامُ سِتّينَ شَهْراً» «۱» وَهُوَ يَوْمُ غَديرِ خُمٍّ لَمّا أَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبى طالِب فَقَالَ: «أَلَسْتُ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ» قَالُوا: بَلى يا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ صلى الله عليه و آله: «مَنْ كُنْتُ مَولاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ خَطّاب «۲»: بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَابْنَ أَبى طالِبٍ أَصْبَحْتَ مَوْلاىَ وَمَوْلاى كُلِّ مُؤْمِنٍ

وَمُؤْمِنَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكَمْ دِينَكَمْ ...». «۳» ۴- وذكر الحاكم الحسكانى وهو من علماء القرن الخامس ومن علماء أهل السنّة روايات صريحة فى هذا المجال فى كتابه، ولكننا نصرف النظر عن ذكرها هنا طلباً للاختصار «۴». ۵- وذكر أبوحافظ النعيم الاصفهانى فى كتابه «مانزل من القرآن فى علىّ» عن الصحابى المعروف أبى سعيد الخدرى أنّ النبى الأكرم نصب فى يوم غدير خم على بن أبى طالب وصياً وخليفة له وقبل أن يتفرّق الناس فى غدير خم نزلت الآية الشريفة «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ ...» وهنا قال: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلى اكْمالِ الدّينِ واتْمامِ النِّعْمَةِ وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسالَتى وَ بِالْوِلايَةِ لِعَلِيٍّ عليه السلام مِنْ بَعْدى، ثُمَّ قال: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعِلِيٌّ مَوْلاهُ، اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عادَاهُ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ «۵». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۶ والنتيجة هى أن الروايات التى وردت فى هذا المجال توحى بصورة جليّة أنّ آية إكمال الدين نزلت فى واقعة الغدير وتدلّ بوضوح على إمامة وخلافة الإمام علىّ عليه السلام.

كلام الآلوسى العجيب

كلام الآلوسى العجيب وعلى رغم القرائن والشواهد البيّنة فى هذه الآية الشريفة «والتى سبق ذكرها» والروايات المتعددة الواردة فى مصادر الشيعة والسنّة فإنّ بعض المحدّثين وبسبب التعصّب والعناد قد فسّروا الآية الشريفة وفقاً لميولهم النفسانية وخرجوا عن منهج البحث المنطقى، ومن هؤلاء «الآلوسى» المفسّر السنّى المعروف وكاتب تفسير «روح المعانى» الكبير فقد ذكر فى تفسير الآية ۶۷ من سورة المائدة عن واقعة الغدير وقال: «فقد اعتنى بحديث الغدير أبوجعفر بن جرير الطبرى فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه وألفاظه وصاغ الغث والسمين والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة الكثير من المحدّثين، فإنهم يوردون ما وقع لهم فى الباب من غير تمييز بين الصحيح والضعيف، وكذلك الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أورد أحاديث كثيرة فى هذه الخطبة (ولكننا نقبل من الأحاديث التى ذكرها إلّاما كان لا يتحدث عن خلافة على)» «۱». وهذا الكلام يثير العجب والحيرة لدى كلّ إنسان منصف. فهل يمكننا الإعراض عن كتاب بأجمعه بسبب وجود بعض الأحاديث الضعيفة وغير معتبرة فيه؟ ألا توجد روايات ضعيفة وأحاديث غير معتبرة فى المصادر الحديثية لأهل السنّة؟ هل يصحّ أن ترفض جميع هذه المصادر بهذه الذريعة الواهية؟ الإنصاف أن هذا الكلام هو كلام مضحك ولكن ما هو أسوأ منه هو كلامه عن روايات ابن عساكر الذى يحكى عن منتهى العناد والتعصّب والعداوة مع الحقّ والحقيقة وأهل البيت عليهم السلام، ففى أىّ مكان من العالم يقول أحد الأشخاص: إننى أقبل فقط كلّ ما يتفق مع ميولى وهوى نفسى ولا أقبل ما يخالف ذلك؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۷ هل يقبل هذا الكلام من الإنسان العادى فكيف يقبل من عالم كبير مثل الآلوسى؟ ولعلّ القارئ العزيز يتعجب كثيراً ويتساءل أن شخصاً كالآلوسى كيف يتحدّث بمثل هذا الحديث الضعيف والكلام الواهى؟ ولكن فى مقام الجواب نقول إن كلّ إنسان يقف فى مقام القضاء ولا يتجنب المسبوقات الفكرية والرسوبات الذهنية فإنّه قد يقع بمثل هذا المصير.

توصية الآية الشريفة

۱- الولاية تبعث على يأس الأعداء

۱- الولاية تبعث على يأس الأعداء إذا أردنا أن يعيش الأعداء اليأس فعلينا بالتمسّك بالولاية وإحياءها لأنّ الولاية كما أدّت فى ذلك اليوم إلى بث اليأس فى صفوف الأعداء فإنّها فى هذا اليوم أيضاً ومن خلال التمسّك بها وإحياءها ستبعث على نفوذ اليأس فى قلوب المنافقين وأعداء الإسلام. ينبغى علينا فى هذا اليوم أن نقصر أنظارنا على الإمام الغائب عن الأنظار والحاضر فى القلوب، وهو الإمام الحجّة بن الحسن العسكرى (عجل اللَّه تعالى فرجه الشريف) وندور حول هذا المحور الإلهى لأن ولاية هذا الإمام العظيم تعد أفضل

حلقـة وصل لجميع الشيعة فى العالم على اختلاف أذواقهم وسـلائقهم، وعلى هـذا الأساس فإنّ إحياء هذه الولاية سوف يشرق الأمل بوحـدة واتحـاد المؤمنين ويكون ذلـك أساساً لسعادتهم وباعثاً على غرس الأمـل فى قلوبهم، كمـا أنّ اختلافهم وتفرقهم يؤدى إلى تعاسـتهم وانحطاطهم. إذا تمسّك المسـلمون فى بلـدان العالم الإسـلامى بهذا الأصل الأساسـى وعملوا به والتفوا حوله فإنّ حادثة مثل حادثـة فلسـطين المؤسـفة سوف لا تتكرر بعد ذلك ولا يقع المسـلمون فى دائرة المظلومية أمام أنظار العالم، وعليه فإن يأس الكفّار لا يتحقّق إلّامن خلال التمسّك بالولاية.

٢- إتمام الدين وإكمال النعمة فى ظلّ الولاية

مباحث تكميلية

١- الولاية مسألة أساسية فى الإسلام

١- الولاية مسألة أساسية فى الإسـلام بالنسبة إلى أهمية الولاية فقد وردت روايات كثيرة تتحدّث عن هذا الموضوع وكمثال ونموذج لهذه الروايات نذكر الرواية الواردة عن الإمام محمّد الباقر عليه السـلام حيث يقول زرارة نقلًا عن الإمام الباقر أنّه قال: بُنِىَ الإسْلامُ عَلى خَمْسَةِ أَشْياءَ؛ عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ والصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْولايـةِ. قَالَ زُرارَةُ: فَقُلْتُ: وَأىُّ شَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ قَالَ عليه السلام: الْوِلايَةُ افْضَلُ لِانَّها مِفْتاحُهُنَّ وَالْوَالى هُوَ الـدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ ... «١» وهنا بالإمكان استيحاء نقطتين من هـذه الروايـة: ألف) إنّ هذه القضايا الخمسة التى وردت فيها هـذه الروايـة ترتبط فيما بينها برابطة معيّنة، فالصـلاة تمثّل رابطة الإنسان مع اللَّه بل إنّ أفضل وقت لتحقيق الإرتباط مع اللَّه تعالى هو وقت الصـلاة. «الزكاة» بـدورها تمثل العلاقة بين الإنسان والآخرين من الأفراد والمجتمع من المحتاجين والمساكين حيث يحققون لهم حياة معقولـة وطبيعيـة بإجراء قانون الزكاة وبـذلك يتمكنون من التغلب على مشـكلاتهم الاقتصاديـة التى يفرضـها الواقع الصـعب. «الصوم» يمثّل علاقـة الإنسان مع نفسه، ومع تقويـة هـذه العلاقة بالصوم فإنّ الإنسان آيات الولاية فى القرآن، ص: ۴۹ سيوفق فى مجال مجاهـدة النفس والإنتصار على نوازعه الماديّة والدنيويـة بل إنّ الصوم هو رمز لمجاهـدة النفس وقوّة الأرادة. «الحـجّ» يمثّل الرابطـة التى تربـط جميع المسـلمين فيمـا بينهم حيث يجتمعون فى كـلّ عام لمبادلـة الأفكار والرؤى وتبادل وجهات النظر واسـتعراض المشاكل والتحديات المصيرية التى يواجهها العالم الإسـلامى والتفكير الجاد فى حلّها. «الولاية» هى الضامن الحقيقى والصحيح لتنفيذ وتبيين أحكام هـذه المسائل. وعلى هـذا الأساس فإنّ الاصول الخمسة المذكورة أعلاه لم تجتمع فى هذا الحديث الشـريف اعتباطاً بل تربطها رابطة منطقية ومعقولة. ب: لماذا كانت الولاية أفضل من الاصول الأربعة الاخرى؟ إن الرواية الشـريفة نفسـها تصـرّح بأن عنصر الولاية هو الذى يحقّق محتوى الصـلاة والصوم والحجّ والزكاة، أى أنه بدون أمر الولاية والحكومة الإسـلامية ستكون هذه الدستورات والتعليمات بمثابة الكتابة على الماء وليس لها رصـيد على مستوى الممارسة والعمل كما هو الحال فى نسخة الطبيب التى لا تشافى من المرض بدون العمل بها. الولاية تعنى تنفيذ قوانين الإسـلام بتوسط الأئمّة المعصومين عليهم السـلام وخلفائهم، وعلى هذا الأساس فإنّ الولاية هى أفضل وأسـمى من الصـلاة والصوم والحجّ والزكاة، الولاية هنا تعنى الحكومة الإسـلامية والولاية التى انبثقت من غدير خم فى عملية نصب الإمام على عليه السلام والياً على المسلمين.

٢- الولاية ذات جهتين

٢- الولاية ذات جهتين وطبقاً للتفسير المذكور آنفاً فإنّ الولاية لها جهتان: فمن جهة يتكفّل الولى والإمام والقائد لُلامّة الإسلامية هداية المسـلمين ويجيب على أسئلتهم الدينية ويقوم بتحصين الامّة من الأخطار والمؤامرات التى يحيكها الأعداء ويتحرّك على مستوى إقرار

النظم والإنضباط فى المجتمع الإسلامى ويعيد حقوق المستضعفين والمظلومين ويجرى الحدود الإلهية ويقيم فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۰ ومن جهة اخرى فإنّ الواجب على الناس هو السعى على مستوى الممارسة والنشاطات الفردية والإجتماعية لتجسيد أقوال وسلوكيات وأفكار ذلك الإمام والقائد ويتحركون فى خطاهم بموازاة خطوات الإمام وإلّا فلا يمكن إدعاء الولاية للأئمّة المعصومين بمجرد الكلام فى حين أن الإنسان يرتكب أنواع الذنوب والخطايا. والملفت للنظر أن رئيس جهاز الساواك فى حكومة الشاه قال لى يوماً حين التحقيق معى: «اننى أعشق الإمام على عليه السلام وأصرّح بحبّه وولايته ولكن إذا رأيت بعض الأشخاص الذين يخالفون الشاه فإنى مستعد أن أقتل مليون شخص من هؤلاء». فهل أنّ مثل هذه السلوكيات والأفكار تتناغم وتنسجم مع ولاية أميرالمؤمنين أو أنّها ولاية كاذبة وزائفة؟ أجل! فإنّ الولاية الحقيقية هى التى تعنى إنطباق جميع الأعمال والأقوال والأفكار على أعمال وأقوال وأفكار المعصومين عليهم السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۱

آية الولاية

أبعاد البحث

الشرح والتفسير: علائم الولى «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا». نحن نعلم أنّ كلمة «إنّما» تدلّ على الحصر، وعليه فإنّ وليكم أيّها المؤمنون هم الثلاثة المذكورون فى هذه الآية الشريفة لا غير، وهؤلاء الثلاثة عبارة عن: ۱- اللَّه عزّوجلّ. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۲ ۲- رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. ۳- الذين آمنوا. وبالطبع ليس المراد جميع المؤمنين بل بعضهم الذى يتمتع بالشروط المذكورة فى نفس الآية. «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ». فالطائفة الثالثة من أولياء اللَّه المؤمنين ليس هم جميع المؤمنين بل المؤمنين الذين يقيمون الصلاة أوّلًا، ويؤتون الزكاة ثانياً، وأن يكون إيتاء الزكاة فى حال الركوع ثالثاً. والنتيجة، هى أنّ ولى المؤمنين هم هؤلاء الثلاثة فقط: ۱- اللَّه عزّوجلّ ۲- النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ۳- المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. سؤال: ما هو المراد من «الذين آمنوا» فى هذه الآية؟ وما معنى الولى هنا؟ إن الآية الشريفة أعلاه تتضمن نقطتين مبهمتين: الاولى: ما هو المراد من كلمة «الولى» فى هذه الآية؟ حيث نعلم لكلمة الولى معانٍ مختلفة ولهذا يجب السعى لتشخيص المعنى المراد من هذه الكلمة فى هذه الآية. والآخر هو: ماالمراد بعبارة «الَّذِينَ آمَنُوا» والذين تتوفر فيهم الشروط الثلاثة المذكورة آنفاً؟ هل المراد بهؤلاء شخص معين، أو أىّ شخص تتوفر فيه هذه الصفات الثلاث؟ الجواب: هنا بالإمكان أن نسلك طريقين للجواب عن هذا السؤال كما تقدّم فيما سبق، ثمّ نجيب على بعض الأسئلة الاخرى الذى يطرحها بعض الأشخاص المتعصبين الذين أسدل حجاب التعصّب ستاراً على عقولهم ومنعهم من فهم العقائد الجلية.

الشرح والتفسير: علائم الولى

اشارة

الطريق الأوّل: تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة فى البداية نأتى لكلمة «ولى» ونبين المراد منها لأنه لو اتضح معنى هذه الكلمة فإن الكثير من المسائل والتعقيدات فى هذه المسألة سوف تجد لها طريقاً إلى الحلّ، فبعض آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۳ المفسّرين من أهل السنّة وبهدف إبعاد أذهان مخاطبيهم عن المعنى الواضح للآية الشريفة فإنّهم ذكروا معانٍ كثيرةٍ لهذه الكلمة وصلت إلى سبعة وعشرين معنى «۱» لكى يقول أن هذه الكلمة هى لفظ مشترك بين معان مختلفة ولا نعلم مراد اللَّه عزّوجلّ منها وأن أىّ معنى من هذه المعانى هو المقصود فى الآية الشريفة، إذن فإنّ هذه الآية مبهمة ولا تدلّ على شىء، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وكلمات ونظريات اللغويين نرى أنهم لم يذكروا لمعنى الولى سوى اثنين أو ثلاث معان، وعليه فإن سائر المعانى المذكورة لهذه

الكلمـة تعود إلى هذه المعانى الثلاثة وهى: ١- «ولى» بمعنى ناصـر والولاية بمعنى النصرة. ٢- «الولى» بمعنى القيّم وصاحب الإختيار. ٣- أنها تأتى بمعنى الصـديق والرفيق حتّى لو لم يؤد هـذا الإنسان حقّ النصـرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصـديق فى دائرة الرفاقـة والصداقة ينهض لنصـرة صـديقه غالباً فإن المعنى الثالث يعود للمعنى الأوّل أيضاً، وعليه فإنّ كلمـة «ولى» فى نظر أرباب اللغة تطلق على معنيين، وسائر المعانى المذكورة لها تعود إلى هذين المعنيين.

الطريق الأوّل: تفسير الآية مع غض النظر عن الروايات الشريفة

اشارة

الطريق الأوّل: تفسـير الآية مع غض النظر عن الروايات الشـريفة فى البداية نأتى لكلمة «ولى» ونبين المراد منها لأنه لو اتضح معنى هذه الكلمـة فإن الكثير من المسائل والتعقيـدات فى هـذه المسألة سوف تجد لها طريقاً إلى الحلّ، فبعض آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۳ المفسّـِرين من أهـل السنّة وبهـدف إبعـاد أذهـان مخاطبيهم عن المعنى الواضـح للآيـة الشـريفة فإنّهم ذكروا معانٍ كثيرةٍ لهـذه الكلمة وصلت إلى سبعة وعشرين معنى «١» لكى يقول أن هذه الكلمة هى لفظ مشترك بين معان مختلفة ولا نعلم مراد اللّه عزّوجلّ منها وأن أىّ معنى من هذه المعانى هو المقصود فى الآية الشـريفة، إذن فإنّ هذه الآية مبهمة ولا تدلّ على شىء، ولكن عندما نراجع كتب اللغة وكلمـات ونظريـات اللغويين نرى أنهم لم يـذكروا لمعنى الولى سوى اثنين أو ثلاث معـان، وعليه فـإن سائر المعانى المـذكورة لهـذه الكلمـة تعود إلى هذه المعانى الثلاثة وهى: ١- «ولى» بمعنى ناصـر والولاية بمعنى النصرة. ٢- «الولى» بمعنى القيّم وصاحب الإختيار. ٣- أنها تأتى بمعنى الصـديق والرفيق حتّى لو لم يؤد هـذا الإنسان حقّ النصـرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصـديق فى دائرة الرفاقـة والصداقة ينهض لنصـرة صـديقه غالباً فإن المعنى الثالث يعود للمعنى الأوّل أيضاً، وعليه فإنّ كلمـة «ولى» فى نظر أرباب اللغة تطلق على معنيين، وسائر المعانى المذكورة لها تعود إلى هذين المعنيين.

المراد من الولى فى الآية محل البحث

المراد من الولى فى الآيـة محـل البحث ونظراً لمـا تقـدّم آنفـاً فمـا هو المراد من كلمـة «ولى» فى آيـة الولايـة؟ هـل أنّ المراد منها هو الصـديق والناصـر؟ إنّ هذا المعنى يخالف أكثر موارد استعمال هذه الكلمة فى جميع الآيات القرآنية. إذن فالإنصاف يدعونا إلى فهم الولى فى هـذه الآيـة بمعنى القيّم وصاحب اختيار لا بمعنى الصـديق والناصـر لأنّه: أوّلًا: كلمـة «إنّما» الواردة فى صـدر الآيـة تدلّ على الحصـر، أى حصـر الولى للمؤمنين بهؤلاء الثلاثـة لا غير، فى حين أنّه لو كان المراد من كلمـة الولى بمعنى الصـديق فلا معنى للحصـر حينئـذٍ، لأنّ من الواضـح وجـود طوائف اخرى غير هـذه الطوائف الثلاثـة المـذكورة فى الآيـة يمكن أن يكونوا من أصـدقاء وأنصـار المؤمنين، مضافـاً إلى أنه لو كـان كلمـة «الولى» بمعنى الصـديق أو الناصـر فلاـ معنى لورود كل هـذه القيود لكلمـة «الّذين آمنوا» بأن يشترط فيهم دفع الزكـاة فى حـال الركوع لأن جميع المؤمنين بل وغير المؤمنين من الـذين لا يصلّون يمكنهم أن يكونوا من أصـدقاء المسـلمين، وعلى هذا الأساس فيسـتفاد من كلمة «إنّما» التى تدلّ على الحصـر وكذلك القيود العديدة لكلمة «الذين آمنوا» أنّ الولاية فى الآيـة الشـريفة آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۵۶ لم تسـتعمل بمعنى الصـديق والناصـر بل بمعنى القيّم والقائـد وصاحب الإختيار، لـذلك يكون مراد الآيـة أن اللّه تعـالى والنبى والمؤمنين الـذين تتوفر فيهم الشـروط المـذكورة فى الآيـة هم أوليـائكم والقيمّيّين على اموركم. ثانياً: أن الآيـة ۵۶ من سورة المائـدة التى وردت بعـد الآيـة محل البحث أفضل قرينة وشاهد على المدّعى فإنّ اللّه تعالى ذكر

فى هـذه الآية الشـريفة: «وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ». الحزب هنا بمعنى جمع من الناس، ونصـرة الحزب بمعنى تفوّقه ونجاحه فى حركته السياسـية والإجتماعيـة، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الآية الشـريفة ترتبط بالآية التى قبلها وهى الآيـة محل البحث، والظاهر أنّهما نزلتا سويـة فيستفاد منها أنّ الولايـة المـذكورة فيها هى الولايـة السياسـية فيكون معنى الآيـة هو: إنّ الأشـخاص الـذين يقبلون بحكومـة اللّه والنبىّ وحكومـة الذين آمنوا فإنّ هؤلاء الأشـخاص والطوائف هم الغالبون. والنتيجة هى أننا لو تـدبرنا وتعمقنا فى كلّ كلمـة من كلمات هـذه الآيـة الشـريفة مع غض النظر عن الروايات الكثيرة الواردة فى تفسيرها يتضّـح جيداً أنّ الولى فى هـذه الآيـة جاء بمعنى الإمام والقائـد والقيّم، وكلّ من يقبل حكومـة اللّه والرسول والـذين آمنوا، الـذين تتوفر فيهم الشـرائط المذكورة فى الآية الشريفة هم الغالبون والمنتصرون.

مصداق «الّذين آمنوا» فى الآية الشريفة

مصداق «الّذين آمنوا» فى الآية الشـريفة لقد اتّضح فيما سـبق معنى كلمة «إنّما» و «ولى» ولكن مازال الإبهام يحيط بمعنى وتفسير الآية الشـريفة لأنه لم يتضـح لحـد الآن المراد من عبارة «والـذين آمنوا» فى هـذه الآيـة. وللإجابة على هذا السؤال يجب القول بأنه ليس بين الرواة والمفسّـِرين وعلماء الإسـلام من الشـيعة وأهل السـنّة إلا ويرى «الإمام علىّ» هو المصداق لهذه الآية الشـريفة، وعلى هذا الأساس فهـذه الآيـة تـدلّ بالإجماع واتفاق جميع علماء الإسـلام على أنّ الإمام على عليه السـلام هو المصـداق لهـذه الآية الشـريفة، ومن جهة اخرى فإنّ جملـة «والـذين آمنوا» لا تتحمّل سوى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۷ مصـداق واحد وليس هذا المصداق سوى علىّ بن أبى طالب. والنتيجـة ممّا تقـدّم آنفاً هو أنه يستفاد من الآيـة الشـريفة ثلاثـة امور «بغضّ النظر عن الآيات وروايات المفسّـِرين». ۱- إن كلمة «إنّما» تدلّ على الحصر والولاية هنا منحصرة فى ثلاث طوائف. ۲- إن هذه الولاية فى الآيات الشريفة وردت بمعنى القائد والقيّم وصـاحب الإختيـار كما فى أكثر موارد اسـتعمالها فى القرآن الكريم. ۳- إن مصـداق «الّـذين آمنوا» فى هـذه الآية هو الإمام علىّ عليه السلام بلا شك.

«ولى» فى استعمالات القرآن

«ولى» فى اسـتعمالات القرآن والآن نعود إلى القرآن الكريم لنرى موارد اسـتعمال هـذه الكلمـة فى الكتاب الكريم. إنّ كلمـة «ولى» و «أوليـاء» جاءت فى سـبعين مورداً فى القرآن الكريم وبمعان مختلفـة: ۱- نقرأ فى بعض الآيات الشـريفة أن كلمـة «ولى» جاءت بمعنى الناصـر والمعين كما فى الآية ۱۰۷ من سـورة البقرة حيث يقول تعـالى: «وَ مـا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِـيرٍ». ۲- وجاءت هذه الكلمـة فى آيات اخرى بمعنى المعبود كما فى الآية ۲۵۷ من سورة البقرة: آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۵۴ «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ... وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ). فكلمـة الولى فى هـذه الآيـة جـاءت بمعنى المعبود، فـالمعبود للمؤمنين هو اللّه عزّوجـلّ، ومعبود الكفّار هم الطواغيت والشـياطين والأهواء النفسانية. ۳- وجاءت هـذه الكلمـة فى القرآن الكريم بمعنى الهادى والمرشد أيضاً كما نقرأ فى آية ۱۷ من سورة الكهف: «وَ مَنْ يُضْـلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً». فنرى فى هذه الآية الشريفة أنّ كلمة «ولى» جاءت بمعنى الهادى والمرشد. ۴- وقد وردت هذه الكلمة فى كثير من الآيات الشـريفة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار كما فى الآيات التالية: ألف) نقرأ فى الآية الشريفة ۲۸ من سورة الشورى قوله تعالى: «وَ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ». ب) ونقرأ الآية ۳۳ من سورة الإسراء فى حديثها عن الولاية التشريعية: «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً». فالولى فى هذه الآية جاء بمعنى القيّم وصـاحب الإختيـار لأـن حقّ القصـاص لم يرد فى الشـريعة لصـديق المقتول بـل لوارثه ووليه. ج) ونقرأ فى أطول آيـة من آيـات

القرآن الكريم وهى الآية ۲۸۲ من سورة البقرة وهى تتحدث عن كتابة وثيقة الدَين والقرض «۱» وتقول: «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ». أى أن من كان الحقّ فى ذمته ولا يستطيع أن يملل على الكاتب فيجب أن يملل وليه نيابة عنه مع رعاية العدالة، ففى هذه الآية الشريفة وردت هذه الكلمة بمعنى القيّم وصاحب الإختيار. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۵ د) ونقرأ فى الآية ۳۴ من سورة الأنفال قوله تعالى: «وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ». فالولى هنا بمعنى القيّم والمسؤول وصاحب الإختيار وإلّا فمن الواضح أنّ الكفّار والمشركين ليست لديهم أدنى علاقة وصداقة مع هذا المكان المقدّس. ه: ونقرأ فى الآية ۶ و ۵ من سورة مريم: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا* يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ». ومن الواضح أنّ الورثة يرثون المال بعد موت الولى فلا- تأتى هنا بمعنى الصديق والناصر. والنتيجة هى أن كلمة «الولى» استعملت فى الآيات الشريفة بمعان مختلفة ولكنّها وردت فى أكثر هذه الموارد بمعنى القيّم وصاحب الإختيار.

الطريق الثانى: تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة

الطريق الثانى: تفسير الآية بلحاظ الروايات الشريفة ينقل المحدّث البحرانى فى «غاية المرام» أربع وعشرين حديثاً من منابع أهل السنّة، وتسعة عشر حديثاً من منابع الشيعة فتشكل بمجموعها ثلاثة وأربعين حديثاً، وعليه فإنّ الروايات الواردة فى شأن هذه الآية متواترة «۱»، ومضافاً إلى ذلك فإنّ العلّامة الأمينى أورد فى كتابه القيّم «الغدير» روايات من عشرين مصدراً من المصادر الروائية المعروفة لدى أهل السنّة تتحدّث فى شأن الآية الشريفة محل البحث من قبيل تفسير الطبرى، تفسير أسباب النزول، تفسير الفخرالرازى، التذكرة لسبط ابن الجوزى، الصواعق لابن حجر، نور الأبصار للشبلنجى، وكذلك تفسير ابن كثير وغيرها من المصادر المعتبرة لدى أهل السنّة، وأما رواة هذه الأحاديث فهم عشرة أشخاص من الصحابة المعروفين. ۱- ابن عباس، ۲- عمّار بن ياسر، ۳- جابر بن عبداللَّه الأنصارى، ۴- أبوذرّ الغفارى «الذى نقل أدقّ وأطول رواية فى هذا المجال»، ۵- أنس بن مالك، ۶- عبداللَّه ابن سلام، ۷- سلمة بن كهيل، ۸- عبداللَّه بن غالب، ۹- عقبة بن حكيم، ۱۰- عبداللَّه ابن أُبى. ومضافاً إلى ذلك فإنّه قد وردت روايات من الإمام على عليه السلام أيضاً فى شأن نزول هذه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۸ الآية الشريفة وقد استدلّ بها الإمام علىّ كراراً. وأما مضمون الروايات أعلاه فهو أنه: كان الإمام على عليه السلام يوماً يصلى فى مسجد النبى، فدخل سائل إلى المسجد وطلب حاجته من المسلمين فلم يعطه أحد شيئاً «۱»، وكان الإمام فى حال الركوع فأشار للسائل إلى خاتمه فجاء وانتزع الخاتم من إصبع الإمام وخرج من المسجد، فنزلت حينئذٍ الآية الشريفة. وهذا المضمون للروايات الشريفة ورد فى أكثر من أربعين رواية من الروايات التى وردت فى شأن نزول الآية محل البحث، ونحن نقتصر هنا على استعراض ثلاث روايات منها، وهى ما أورده الفخر الرازى فى تفسيره: ۱- رَوى عَطا عن ابْنِ عَبّاسْ أَنها نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبى طالِب «۲». ۲- روى أن عبداللَّه بن سلام قال: لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ، قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا رَأَيْتُ عَلِيّاً تَصَدَّقَ بِخاتَمِهِ عَلى مُحْتاجٍ وَهُوَ راكِعٌ فَنَحْنُ نَتَوَلّاهُ «۳». ۳- وهى الرواية الأهم من بين الروايات فى هذا الباب وهى نقلًا عن أبى ذرّ الغفارى وهذه الرواية أوردها الفخر الرازى عن أبى ذرّ أنه قال: قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَوْماً صَلاةَ الظُّهْرِ، فَسَأَلَ سائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ فَرَفَعَ السّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ وَقالَ: «اللّهُمَّ اشْهَدْ انِّي سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَما أَعْطانِي أَحَدٌ شَيْئاً!» وَعَلِيٌّ كانَ راكِعاً، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ الْيُمْنى وَكَانَ فِيها خاتَمٌ فَأَقْبَلَ السّائِلُ حَتّى أَخَذَ الْخاتَمَ بِمَرْأى النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله فَقالَ صلى الله عليه و آله: اللّهُمَّ انَّ أَخِي مُوسى سأَلَكَ فَقالَ: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي* وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي* هارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي» «۴» فَأَنْزَلْتَ قُرْآناً ناطِقاً: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً» «۵» اللّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۵۹ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، عَلِيّاً، اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي. قالَ أَبُو ذَر: فَوَاللَّهِ مَا أَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله هذِه الْكَلِمَةِ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَئيلُ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ: إِقْرَأْ «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ ...». «۱» وبعد أن ينقل الفخرالرازى هذه الروايات الثلاثة يقول: إنّ جميع الروايات الواردة فى هذه المسألة هى

هذه الروایات الثلاثة فقط.

ملاحظتان

ملاحظتان ۱- إن روایة أبی ذرّ تشیر إلی أنّ صدقة الإمام علی علیه السلام فی حال الصلاة لم تکن صدقة عادیّة لمسکین من الناس بل أدّت إلی حفظ وجاهة وقدسیّة مسجد النبیّ الذی یعد مرکز الإسلام والصحابة والمسلمین لأنّ المسکین عندما خرج من مسجد النبی لم یجد من یمدّ له ید العون، ولهذا اشتکی إلی اللَّه من ذلک، فعلیه فإنّ صدقة الإمام فی حالة الرکوع مضافاً إلی أنها رفعت حاجة السائل فإنّها أدّت إلی حفظ اعتبار مسجد النبی صلی الله علیه و آله وقداسته وحرمة أصحاب النبی الأکرم صلی الله علیه و آله أیضاً. ۲- إنّ ادعاء الفخرالرازی المبنی علی أنّ مجموع الروایات الواردة فی هذا الباب لیس بأکثر من ثلاث روایات هو کلام بلا أساس لأنّه کما تقدّم آنفاً أن الوارد من الروایات فی هذا الباب أکثر من أربعین روایة، والملفت للنظر أنّ أکثر هذه الروایات وردت فی کتب ومصادر أهل السنّة ولکنّ التعصّب والعناد إذا أخذ بناصیة الإنسان أدّی إلی أن ینطق بکلمات غیر مسؤولة وغیرمتوقعة رغم کونه علّامة کبیر مثل الفخر الرازی، مضافاً إلی أنه یمکننا أن ندّعی أنّه إذا قد وصلت لنا أکثر من أربعین روایة فی شأن نزول الآیة محل البحث فإنّ هناک عدد أکثر من هذا قد اختفی فی طیّات التاریخ ولم یصل إلینا وخاصّة فی فترة الحکم الاموی الذی کان بنوامیة یتحرکون بصراحة وشدّة فی حذف فضائل ومناقب أهل البیت علیهم السلام وطمس معالمها فلم یتجرأ أحد علی بیان هذه الفضائل ونشرها. وکم من الأشخاص الذین لم یکونوا یمتلکون الجرأة علی بیان فضائل ومناقب آیات الولایة فی القرآن، ص: ۶۰ أمیرالمؤمنین علیه السلام وذهبت تلک الفضائل معهم إلی القبر!! إنّ أجواء الإرهاب کانت إلی درجة من الشدّة بحیث إن من یذکر فضیلة واحدة لأهل البیت کان یتعرض للعقاب الشدید بل لو أنّ أحداً سمّی ابنه علیّاً کان یتعرض للعقاب أیضاً. ومع هذه الظروف الصعبة فعندما تصل إلینا أربعین روایة فیمکن أن نحدس أنّ أضعاف هذا المقدار قد تلف فی طیّات التاریخ. والنتیجة هی أنه مع الأخذ بنظر الإعتبار کثرة الروایات التی تصل إلی حدّ التواتر وقد أوردنا بعضها بالتفصیل فلا- یبقی شکّ أن الآیة الشریفة «إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ» نزلت فی شأن أمیرالمؤمنین وأنه علیه السلام هو الولی بعد اللَّه ورسوله.

شبهات واشکالات

اشارة

شبهات واشکالات وعلی الرغم من وضوح دلالة الآیة الشریفة علی ولایة أمیرالمؤمنین فإنّ بعض العلماء قد ذکر بعض الشبهات والإشکالات حول دلالة هذه الآیة، وفی الواقع فإنّ الکثیر من هذه الإشکالات لیست سوی ذرائع وحجج واهیة «۱». وعلی سبیل المثال:

الإشکال الأوّل: کلمة إنّما لا تدلّ علی الحصر

الإشکال الأوّل: کلمة إنّما لا تدلّ علی الحصر رأینا فی عملیة الإستدلال بالآیة أعلاه أنها تقوم علی ثلاث دعائم: أحدها أن کلمة «إنّما» فی الآیة الشریفة تدلّ علی الحصر وأنّها تحصر الولایة بثلاث موارد، وعلیه فإنّ آیات الولایة فی القرآن، ص: ۶۱ الولایة مورد البحث لا تثبت لغیرهم. ولکنّ بعض المفسّرین من أهل السنّة قالوا بأنّ «إنّما» فی الآیة لا تدلّ علی الحصر لأن فی القرآن آیة اخری أیضاً وردت فیها کلمة «إنّما» ولیس لها دلالة علی الحصر. وهی الآیة الشریفة ۲۰ من سورة الحدید حیث یقول اللَّه تعالی: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَیاةُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ ...». فهنا نری أنّ کلمة «أنّما» فی الآیة أعلاه لا تدلّ علی الحصر لأننا نعلم أن الحیاة الدنیا لا تنحصر فی هذه الموارد المذکورة فی الآیة الشریفة بل تشمل لذّات اخری وعبادات ونشاطات

وتحصيل علم وغير ذلك من الامور، وعليه فكما أنّ كلمة «أنما» فى هذه الآية لا تدلّ على الحصر فكذلك فى آية الولاية لا تدلّ على الحصر، فالإستدلال بهذه الآية على المطلوب ناقص. الجواب: هذا الإشكال من جملة الإشكالات الواهية التى لا تقوم على أساسٍ متين لأننا نعتقد بأنه: أوّلًا: إنّ كلمة «إنّما» فى هذه الآية أيضاً وردت بمعنى الحصر، فالدنيا فى نظر الإنسان المؤمن والعارف ليست فى حقيقتها سوى اللهو واللعب وأمثال ذلك، وقد يتصور الإنسان المتورط فى حبائل الدنيا اموراً اخرى فى هذه الدنيا ولكن لو نظر بعين الحقيقة لرأى أنّ جميع أشكال الحكومات والمقامات الدنيوية والقصور الفخمة وأمثالها من مظاهر الدنيا ليست سوى لهو ولعب حيث يلهو بها أبناء الدنيا. ثانياً: وعلى فرض أنّ كلمة «إنما» هنا لم ترد فى معناها الحقيقى فهذا لا يدلّ على أنّ الموارد الاخرى فى استعمال هذه الكلمة تحمل على غير معناها الحقيقى. والنتيجة هى أنّ كلمة «إنّما» الواردة فى الآية الشريفة تدلّ على الحصر بلا ـ شكّ والإستدلال بهذه الآية كامل.

الإشكال الثانى: إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة

الإشكال الثانى: إعطاء الخاتم فعل كثير مبطل للصلاة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۲ أمّا الإشكال الثانى الذى ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة فهو أننا سلّمنا أن الآية الشريفة نزلت فى شأن الإمام علىّ عليه السلام ولكن القيام بهذا الفعل من قبل علىّ بن أبى طالب فى الصلاة «إنّما هو فعل كثير» والفعل الكثير يؤدى إلى بطلان الصلاة فهل يعقل أن الإمام على عليه السلام يتصرف فى صلاته بما يؤدى إلى بطلان الصلاة. الجواب: أوّلًا: إن فعل الكثير كما هو الظاهر من هذه الكلمة يطلق على أداء أعمال كثيرة لا ربط لها بالصلاة بحيث تهدم هيئة الصلاة للمصلّى كأن يقوم شخص فى أثناء الصلاة وبسبب سماعه لخبر مفرح بالتصفيق والقفز ويمتلكه الهياج وأمثال ذلك، وأما أن يشير إلى السائل والمسكين ليأخذ خاتمه من يده بحيث إنّ الإمام نفسه لم يخرج الخاتم من يده، فهل يقع ذلك فى دائرة «الفعل الكثير» «۱»؟ كيف يكون مثل هذا العمل فعلًا كثيراً فى حين أنّ الروايات الشريفة تبيح للمصلّى بأن يغسل أنفه فيما لو خرج الدم منه بالماء فى أثناء الصلاة ويستمر فى صلاته؟ ولو أنه واجه حيواناً خطراً على مقربة منه جاز له قتله والاستمرار فى الصلاة. هل هذه الأفعال ليست بأفعال كثيرة ولكن الإشارة هى فعل كثير؟ ثانياً: إنّ أمثال هذه الحجج والمعاذير ترد على اللَّه أيضاً لأن اللَّه تعالى مدح الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الآية على عمله، فلو كان ذلك العمل باعثاً على بطلان الصلاة فهل أن اللَّه تعالى يمدحه ويثنى عليه وينزل فى حقّه آية من القرآن؟! النتيجة هى أن هذا الإشكال بمثابة ذريعة وتبرير نابع من التعصّب واللجاجة لا أكثر.

الإشكال الثالث: الخاتم الثمين

الإشكال الثالث: الخاتم الثمين طبقاً لبعض الروايات أن ذلك الخاتم كان ثميناً جداً حتّى أنه ورد أن ثمنه يعادل خراج منطقة بكاملها مثل الشام، ألا يعتبر تملك مثل هذا الخاتم الثمين من قبل علىّ بن أبى طالب من الإسراف المحرّم؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۳ أمّا جواب هذه الشبهة فواضح لأنه: أوّلًا: لم يرد هذا المطلب فى أيّة رواية معتبرة بل الظاهر أن الخاتم المذكور لم يكن سوى خاتماً عادياً لأنه لم يتم للمسلمين فى ذلك الزمان فتح ايران والشام وأمثال ذلك ولم تصل مثل هذه الثروات الكبيرة إلى أيدى المسلمين بل الفتوحات المذكورة حدثت بعد رحلة الرسول وفى عصر الخلفاء، مضافاً إلى أن الإمام على عليه السلام الذى كان طعامه فى أيّام حكومته وخلافته بسيطاً إلى درجة أنه لا يأكل سوى من ادام واحد والغالب انه كان يكتفى بقرص الشعير ويلبس الثياب البسيطة من الكرباس والليف فكيف يعقل أن يمتلك مثل هذا الخاتم الثمين؟! وعلى هذا الأساس فلا شكّ فى ضعف الرواية التى لا تنسجم مع روايات الباب ولا مع سيرة الإمام على عليه السلام ولا تتناغم مع أجواء تاريخ النزول، ولذلك فانها قد وضعت تحت ظروف خاصّة. ثانياً: كيف يعقل أن يمتلك الإمام على مثل هذا الخاتم الثمين بحيث يدخل فى باب الإسراف المحرم ثمّ يتصدّق به فى سبيل اللَّه

وينال الثناء الإلهى؟ وعليه فإنّ المستفاد مما ورد من المدح والثناء فى هذه الآية الشريفة على هذا العمل كذب هذه الرواية وزيفها وأنها وضعت لتحقيق أغراض معيّنة.

الإشكال الرابع: إنّ هذا العمل لا ينسجم مع حضور القلب

الإشكال الرابع: إنّ هذا العمل لا ينسجم مع حضور القلب بما أن الإمام على عليه السلام كان عندما يصلّى خاصّة يتوجه إلى اللَّه تعالى بكلّ قلبه ويغرق فى صفات جلاله وجماله ولا يكون له التفاتٌ إلى غيره أبداً بحيث إنهم كانوا يخرجون السهام من بدنه الشريف فى حال الصلاة «۱» ولم يكن يتسنى لهم ذلك فى الحالات العادية لصعوبته وشدّة ألمه، فمثل هذا الإنسان العارف والمتعلق باللَّه تعالى إلى هذه الدرجة كيف يلتفت أثناء الصلاة إلى كلام السائل ويتصدّق عليه فى حال الركوع بالخاتم؟ والخلاصة أن هذه المسألة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۴ تتنافى مع حضور القلب فى الصلاة لأميرالمؤمنين عليه السلام. الجواب: أوّلًا: إن السائل بعد أن تملكه اليأس من الحصول على مساعدة الأصحاب توجه إلى اللَّه تعالى بالشكاية وشرع بالقول «اللّهُمَّ أشهد ....» وعليه فإنّ هذا الكلام وذكر اسم اللَّه ألفت نظر الإمام علىّ إلى وجود السائل، وهذا لا يتقاطع مع حضور قلبه واستغراقه فى عالم العبودية فى الصلاة. مضافاً إلى ذلك ألا يعقل أن يسمع المأموم فى صلاة الجماعة صوت المكبر أو صوت الإمام ليتابعه فى أعمال الصلاة؟ إذا لم يكن يسمع ذلك فكيف يمكنه الاقتداء به فى الصلاة؟ وإذا كان يسمع فهل يعنى هذا أن حضور القلب غير ممكن فى كلّ صلاة جماعة؟ ثانياً: هل أن سماع صوت السائل الذى ورد التعبير عنه فى الرواية الشريفة بأنه رسول من اللَّه فيه إشكال؟ إن سماع صوت الرسول الإلهى كيف يتقاطع مع حضور القلب فى الصلاة؟ «۱» ثالثاً: ألا يكون سماع صوت المظلوم وحل مشكلته حتّى فى أثناء الصلاة من العبادة؟ «۲» فلو كان هذا العمل عبادة فالإمام علىّ عليه السلام قد يستغرق فى هذه العبادة ويأتى بها من دون أن يكون هناك إشكال فى البين بل هى عبادة ضمن عبادة. أمّا ما يمكن أن يكون محل إشكال هو التوجّه إلى النفس والذات الفردية أثناء العبادة والصلاة، وأمّا التوجّه إلى المظلوم وقضاء حاجته الذى يعد فى نفسه عبادة فلا إشكال فيه. والنتيجة هى أن هذا الإشكال مردود أيضاً، وفى الحقيقة أن هدف المغرضين من طرح هذا الإشكال والإشكالات الاخرى هو تهميش هذا العمل وتضعيف دلالة الآية الشريفة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۶۵ على ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.

الإشكال الخامس: لماذا تعود الضمائر فى الآية إلى الجمع؟

الإشكال الخامس: لماذا تعود الضمائر فى الآية إلى الجمع؟ وكما تقدّم فى الآية الشريفة أنها تقرر الولاية لثلاث طوائف، وفى الثالثة تعود الضمائر فى الأفعال واسم الموصول إلى الجمع كما فى قوله: ۱- الَّذين ۲- آمنوا ۳- الّذين ۴- يقيمون ۵- يؤتون ۶- هم ۷- راكعون. فالكلمات السبعة المذكورة فى الآية تتناسب مع الجمع، ومعنى هذه الكلمات هى أن هناك أشخاصاً متعددين قد تصدّقوا على الفقير فى حال الركوع فى حين أن جميع الروايات تذكر الإمام علىّ عليه السلام فقط كمصداق للآية الشريفة حيث تصدّق بخاتمه على الفقير فى حال الركوع وبالالتفات إلى هذا المطلب فهل هناك روايات اخرى وردت فى شأن نزول الآية الشريفة تتناغم مع أجواء الآية؟ ومن الواضح أنه لو كان هناك اختلاف وتباين بين الآية الشريفة والروايات التى تتحدّث فى شأن نزولها فلابدّ من الإعراض عن الرواية أو الروايات والعمل بمضمون الآية الشريفة. إذن فالتعارض المذكور بين الآية الشريفة والروايات المذكورة يتسبب فى عدم اعتبار هذه الروايات. الجواب: إنّ العلماء والمفسّرين من أهل السنّة قد أجابوا على هذا الإشكال فالفخر الرازى يقول فى الجواب على هذا السؤال: «إنّ الجمع يطلق أحياناً على المفرد للاحترام وعلى سبيل التعظيم والآية مورد البحث من هذا القبيل» «۱». ويذكر الآلوسى فى روح المعانى جواباً آخر ويقول: «قد يستعمل الجمع فى المفرد لبيان عظمة الشخص تارة، ولبيان عظمة العمل

اخری، وهذا مشهور فی لغة العرب ولکن بما أن هذا الإستعمال علی سبیل المجاز فیحتاج إلی قرینة» «۲». وأمّا جوابنا علی هذا السؤال فهو: آیات الولایة فی القرآن، ص: ۶۶ أوّلًا: أنه کما رأینا أن استعمال صیغة الجمع بدل المفرد قد یکون متداولًا لبیان احترام المخاطب وبیان عظمته، وفی الآیة مورد البحث قد ورد مثل هذا الإستعمال فی سیاقها والقرینة علی مجازیة هذا الإستعمال الوارد فی الآیة هو أن أیّ واحد من العلماء حتّی المتعصبین من أهل السنّة لا یرون غیر الإمام علی علیه السلام مصداقاً لها والذی تصدّق بخاتمه فی حال الرکوع، وهذا هو أفضل قرینة علی استعمال لفظ الجمع فی مورد المفرد. ثانیاً: هناک موارد کثیرة وردت فی القرآن الکریم واستعملت فیها صیغة الجمع للمفرد، وکمثال علی ذلک نکتفی بذکر سبعة موارد منها: ۱- نقرأ فی الآیة ۲۱۵ من سورة البقرة قوله تعالی: «یَسْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِیمٌ». ففی هذه الآیة الشریفة وردت جملة «یسألونک، ینفقون، انفقتم وما تفعلوا» بصورة الجمع، وفی البدایة یظهر من الآیة أن جماعة من المسلمین طرحوا السؤال المذکور ولکن طبقاً لشأن نزول الآیة فلم یکن السائل سوی شخص واحد واسمه «عمرو بن جموح» «۱» الذی کان رجلًا ثریاً، وعلیه ففی هذه الآیة الشریفة ورد لفظ الجمع واستعمل فی المفرد إما علی أساس بیان عظمة هذا العمل وهو الانفاق أو بیان الاحترام للسائل وهو عمرو بن جموح. ملاحظة: إنّ الموضوع الملفت للنظر فی هذه الآیة الشریفة هو أن اللَّه تعالی فی مقام جوابه علی سؤال عمرو بن جموح ذکر مطلباً آخر لأن عمرو سأل عن نوع المال الذی یجب انفاقه، واللَّه تعالی تحدّث عن الأشخاص الذین یجب الإنفاق علیهم، فعلیه فمثل هذا الجواب یبین أهمیة مصرف الإنفاق وأن الإنسان یجب أن یهتم بالدرجة الاولی بأبیه وامّه وأقربائه ثمّ یتوجّه إلی الآخرین فی عملیة الإنفاق. ۲- یقول سبحان وتعالی فی الآیة ۲۷۴ من سورة البقرة: «الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِیَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا- آیات الولایة فی القرآن، ص: ۶۷ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا- هُمْ یَحْزَنُونَ». ففی هذه الآیة الشریفة نقرأ عبارات من قبیل «الّذین، ینفقون، أموالهم، فلهم، أجرهم، ربّهم، علیهم، هم، یحزنون» فکلّها جاءت بصیغة الجمع ولکنّ الکثیر من المفسّرین قالوا بأن المراد منها هو الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام الذی کان ینفق باللیل والنهار وسرّاً وعلانیةً، وطبقاً لروایة واردة فی هذا المجال أن الإمام کان یمتلک أربعة دراهم فتصدّق بأحدها لیلًا وبالآخر نهاراً وبالثالث علانیة وبالرابع سرّاً فنزلت الآیة أعلاها لتشیر إلی شأن هذا الإنفاق «۱». سؤال: هل یعقل أن تنزل آیة قرآنیة علی بعض الأعمال الجزئیة من قبیل إنفاق أربعة دراهم؟ الجواب: إنّ المهم فی نظر الإسلام هو کیفیة العمل لا مقداره، وعلیه فإذا کان العمل قد أتی به المکلّف بإخلاص بالغ فیمکن أن تنزل آیة قرآنیة حتّی علی إنفاق أقل من أربعة دراهم ولو أن شخصاً أنفق جبلًا من ذهب ولکن لم یکن یتزامن مع الإخلاص والتوجّه القلبی إلی اللَّه تعالی فلیس له أیة قیمة ولا تنزل فی حقّه آیة شریفة. ۳- ونقرأ فی الآیة ۱۷۳ من سورة آل عمران: «الَّذِینَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَکُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِیماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَکِیلُ». هذه الآیة الشریفة نزلت فی حرب احد عندما تخلّف بعض المسلمین عن امتثال أمر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وترکوا مواقعهم واشتغلوا بجمع الغنائم الحربیة فاستفاد الأعداء من هذه الفرصة ومن غفلة المسلمین وداروا حول جبل احد وهجموا علی المسلمین من ورائهم وحققّوا نصراً کبیراً علی المسلمین وقتلوا سبعین مسلماً فی تلک الواقعة. إن الکفّار والمشرکین لم یقنعوا بهذا النصر علی المسلمین فعندما کانوا یعودون إلی مکّة قال أحدهم: نحن الذین حقّقنا هذا النصر فلماذا لم نقتل محمّداً لنختم علی هذه الدعوة آیات الولایة فی القرآن، ص: ۶۸ الجدیدة ونقلعها من جذورها؟ فإذا لم نفعل ذلک فی هذا الیوم فالإسلام والمسلمین سوف یزدادون قوّة ویتفوّقون علینا فی المستقبل. وقد أثر کلامه هذا فی أفراد جیش المشرکین وعزموا علی العودة إلی المسلمین وقتالهم، ولکن کان بینهم شخص یدعی «نعیم بن مسعود» أو «معبد الخزاعی» الذی لم یقبل باستمرار القتال وقبل أن یصل الکفّار إلی المسلمین أخبر هذا الشخص المسلمین بعزم الکفّار وتصمیمهم علی القتال فخاف من ذلک بعض المسلمین واصابهم الرعب وقالوا: إننا قد خسرنا المعرکة وکنّا أقویاء وسالمین ولکن الآن وبعد الهزیمة وکثرة القتلی والمجروحین کیف یمکننا الوقوف أمام جیش الکفّار، ولکن بعضاً آخر من المسلمین قالوا: «نحن لسنا علی استعداد فقط لقتالهم بل سوف نذهب إلیهم ونتحرک لقتالهم مع المجروحین من جیش الإسلام،

فعندما فهم الأعداء ذلک وأن المسلمین توجّهوا إلیهم مع المجروحین منهم دبّ فی قلوبهم الخوف والرعب وقنعوا بذلک المقدار من النصر وانصرفوا عن قتال المسلمین مرّة اخری. الآیة الشریفة أعلاها تتحدّث عن هذه الواقعة وتعبّر عن «نعیم ابن مسعود» أو «معبد الخزاعی» الذی أبلغ المسلمین بعزم الکفّار بکلمة «الناس» فی حین انه لم یکن سوی نفر واحد ولکن بما أن عمله هذا کان عظیماً للغایة، فلأجل بیان أهمیة هذا العمل ذکرت الآیة الشریفة کلمة الجمع بدل المفرد. ۴- یقول تعالی فی الآیة ۶۱ من سورة آل عمران: «فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ». هذه الآیة الشریفة نزلت فی واقعة المباهلة، ففی هذه الواقعة کما هو معروف لدی الجمیع أن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله جاء مع علیّ وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام لمیدان المباهلة، والمراد من «أبْنائنا» فی الآیة الشریفة هم الحسن والحسین علیهما السلام والمراد من «نِسائنا» فاطمة الزهراء علیها السلام والمراد من «أَنْفُسَنا» علیّ بن أبی طالب علیه السلام. وهکذا تری أنها کلمات وردت آیات الولایة فی القرآن، ص: ۶۹ بصیغة الجمع وارید بها المفرد «۱». ۵- ونقرأ فی أول آیة من سورة الممتحنة قوله تعالی: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیاءَ ...». ذکر الکثیر من المفسّرین أن هذه الآیة الشریفة نزلت فی «حاطب ابن أبی بلتعة» وکان رجلًا واحداً واستعملت فی حقّه صیغة الجمع «الّذین، آمنوا، لا تتّخذوا، عدوّکم» وهذا یدلّ علی العمل العظیم الذی أراد القیام به، وهو أن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عندما عزم علی فتح مکّة قام بسد المنافذ والطرق المؤدیة إلی مکّة لکی لا یصل خبر تجهیز جیش المسلمین إلی الکفّار والمشرکین فی مکّة لیتم الفتح بسهولة ویسر ومن دون إراقة دماء ولکن (حاطب) الذی کان یمتلک بعض المال والثروة فی مکّة قال فی نفسه: إننی لو أخبرت أهل مکّة عن استعداد جیش المسلمین لقتالهم فأضمن سلامة أموالی وأتمکن من إخراجها من أیدی المشرکین وکما یقول السیاسیون فی عصرنا الحاضر: «أربح امتیازاً». ولهذا کتب رسالته بهذا الغرض إلی رؤساء مکّة وسلّمها لأمرأة تدعی «سارة» لتوصلها إلی مکّة فاخفت الرسالة فی طیات شعرها وتوجهت إلی مکّة. فنزل جبرئیل وأخبر النبی صلی الله علیه و آله بالمؤامرة المذکورة فارسل الإمام علیّ علیه السلام وبعض الأشخاص لکشف هذه المؤامرة، فتوجّهوا نحو المرأة المذکورة وأخیراً استطاعوا أن یکتشفوا الرسالة ویعودوا إلی المدینة، وهنا نزلت الآیة الشریفة فی توبیخ حاطب وقال بعض الأصحاب: دعنا نقتل حاطب ولکن النبی صلی الله علیه و آله الذی رأی حالة الندم علی حاطب وکان من المجاهدین سابقاً واشترک فی حرب بدر عفی عنه وأطلقه «۲». ففی هذه الآیة نری أیضاً أن «حاطب» رجل واحد ولکنّ الآیة وردت بصیغة الجمع. ۶- نقرأ فی الآیة ۵۲ من سورة المائدة: آیات الولایة فی القرآن، ص: ۷۰ «فَتَرَی الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یُسارِعُونَ فِیهِمْ یَقُولُونَ نَخْشی أَنْ تُصِیبَنا دائِرَةٌ ...». حیث أمر النبی الأکرم صلی الله علیه و آله المسلمین بقطع علاقاتهم وروابطهم مع الکفّار والمشرکین ولکن أحد المنافقین وهو «عبداللَّه بن ابی» قال: إذا قطعنا العلاقة معهم فإنّ حیاتنا ومعیشتنا ستتعرض للاهتزاز والإرتباک ونصاب بمشکلات عدیدة، فنزلت الآیة المذکورة فی شأن هذا المنافق «۱». وهکذا نری أن الشخص الذی کان یتحدّث عن ضرورة إبقاء الرابطة مع الکفّار والمشرکین شخص واحد، ولکن الآیة الشریفة وردت بصیغة الجمع «الّذین، قلوبهم، یسارعون، یقولون، نخشی وتصیبنا» وهذا یعنی أن استخدام صیغة الجمع فی حقّ المفرد لا بأس به. ۷- ویقول تبارک وتعالی فی الآیة ۸ من سورة المنافقین: «یَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَی الْمَدِینَةِ لَیُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ لکِنَّ الْمُنافِقِینَ لا یَعْلَمُونَ». الآیة أعلاها نزلت بعد غزوة بنی المصطلق فی السنة السادسة للهجرة فی منطقة «قدید» وکان هناک اختلاف بین أحد المهاجرین وأحد الأنصار فما کان زعیم المنافقین «عبداللَّه بن ابی» إلّاأن قال: أوقد فعلوها؟ قد کاثرونا فی بلادنا، أما واللَّه لئن رجعنا إلی المدینة لیخرجنّ الأعزّ منها الأذل «۲». وهکذا نری أن القائل لم یکن سوی رجلًا واحداً ولکن الآیة تحدّثت عنه بصیغة الجمع «یقولون، رجعنا». والنتیجة هی أن القرآن الکریم أورد فی هذه الآیات السبعة المذکورة آنفاً وفی آیات اخری أیضاً صیغة الجمع بدل المفرد، وهذا یدلّ علی أن مثل هذا الإستعمال شائع فی أجواء الآیات القرآنیة. وعلی هذا الأساس فإنّ آیة الولایة إذا ذکرت صیغة الجمع فی حقّ المفرد وهو «علیّ بن آیات الولایة فی القرآن، ص: ۷۱ أبی طالب» الذی تصدّق فی رکوعه فلا یوجد محذور فی مثل هذا الإستعمال بل یدلُّ علی

عظمة هذا العمل الذى قام به الإمام على عليه السلام.

الإشكال السادس: ماذا تعنى ولاية الإمام علىّ عليه السلام فى حياة النبى صلى الله عليه و آله؟

الإشكال السادس: ماذا تعنى ولاية الإمام علىّ عليه السلام فى حياة النبى صلى الله عليه و آله؟ الإشكال الآخر الذى أورده الفخر الرازى وآخرون هو: «أنا لو حملنا الولايـة على التصـرف والإمامـة لما كان المؤمنون المـذكورون فى الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية، لأن على بن أبى طالب كرم اللَّه وجهه ما كان نافذ التصـرف حال حياة الرسول، والآية تقتضـى كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية فى الحال. أما لو حملنا الولاية على المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة فى الحال، فثبت أن حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التصرف» «۱». الجواب: وجواب هـذا الإشـكال واضح لأن ولاية الولى والوصـى والخليفة تكون بالقوّة لا بالفعل، وأساساً فإنّ هذا المطلب موجود ضـمن سياق الآية الشريفة حيث إنّ زكريّا الذى طلب من اللَّه تعالى الولى والوارث واستجاب اللَّه تعالى لطلبه وأعطاه يحيى «۲» فهل أنّ يحيى كان وارثاً ووليًاً لأبيه فى حياة زكريا أو أن ذلك تحقّق له بعد وفاة الأب؟ من الواضح أن هذه الامور تحققت له بعد وفاة أبيه. وهذه المسألة سائدة فى العرف وسـيرة العقلاء، فمن يكتب وصـية ويعين وصياً له فهل أن هذا الوصى له ولاية واختيار قبل وفاة صاحب الوصـية أو أن هذه الوصـية تتعلق بما بعد الوفاة؟ الفخر الرازى كان قد كتب وصـيته حتماً وقد عيّن وصـياً له، فهل أن ذلك الوصـى وهـذه الوصـية كانت فعلية فى زمن حياته أو بعد مماته؟ وأكثر من ذلك فإنّ جميع القادة والزعماء والملوك فى العالم يتحركـون فى أواخر حيـاتهم لتعيين خليفـة لهم، ولكنّ هؤلاـء الخلفـاء لهم لم يكونـوا أصـحاب قـدرة فعليـة فى حيـاة هؤلاـء الملوك والزعماء بل كانت قـدرتهم ومسؤولياتهم تتحقق لهم بعـد وفاة القائـد الفعلى. وعلى هـذا الأساس فإن الولايـة فى الآية الشـريفة جاءت بمعنى القيّم وصاحب الإختيار آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۷۲ وإمام الامّـة ولكن جميع هذه المعانى لا تكون فعلية للإمام علىّ عليه السـلام إلّابعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله. مضافاً إلى ذلك فإنّ مسألة تعيين الخليفة لا تختص بهذه الآية الشريفة بل إنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وطيلة زمن نبوته ۲۳ سنة كان يذكر مسألة الوصية بالخلافة للإمام على عليه السلام دائماً، وأوّل مورد لـذلك هو ما ورد فى حـديث يوم الدار، وذلك عندما تحرك النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله بعد ثلاثة سـنوات من الدعوة السـرية إلى الإعلان والإجهار بإبلاغ الرسالة وفى أوّل خطوة لذلك جمع قادة قريش ودعاهم إلى ضيافته وبعد أن انتهوا من تناول الطعام طرح مسألـة النبـوّة والرسالـة وقـال لهم فى آخر المطـاف: أَيُّكُمْ يُوازِرُنِى عَلى هـذَا الْامْرِ. فلم يكن يجيب بالإيجـاب على هـذا الطلب سوى أميرالمؤمنين عليه السـلام، فمـا كان من رسول اللَّه إلّا أن قال له فى ذلك المجلس: «انْتَ وَصِيّى». فى حين أن النبى الأكرم كان على قيـد الحياة، وماذا يصنع بالوصـى والخلافـة فى ذلك الوقت؟ النتيجـة أن الجواب على مثل هـذه الإشـكالات والشـبهات واضـح، وفى الحقيقة أنها لا تعدو سوى حجج وتبريرات غير منطقية وبعيدة عن خط الحقّ والإنصاف.

الإشكال السابع: ما هو المراد من الزكاة؟

الإشـكال السـابع: مـا هو المراد من الزكاة؟ رأينا أنّ البعض أورد حجـج وشـبهات مختلفـة حول دلالـة آيـة الولايـة بحيث أنهم ذكروا شبهـات لكـلِّ كلمـة من كلمـات الآيـة محـل البحث من قبيـل «إنّمـا»، «ولىّ»، «راكعون»، «الزكـاة» فكلّهـا وردت فى حقهـا إشـكالات وشبهات. ويتساءل الفخرالرازى وآخرون: ما المراد من الزكاة فى هذه الآية الشريفة؟ هل المقصود الزكاة المستحبة أو الواجبة. ومعلوم أنه ليست لـدينا زكاة مسـتحبة، وعليه فإنّ المراد من الزكاة هنا هو الزكاة الواجبـة، وإذا كان كـذلك وقلنا بأن الآيـة الشـريفة نزلت فى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۳ علىّ ابن أبى طالب عليه السـلام سـنقع فى تناقض لأنّ الإمام على لم يكن من حيث التمكّن المادى والاقتصادى بحيث تجب عليه الزكاة وتتعلق الزكاة الواجبـة فى أمواله لأنه طبقاً لما ورد فى شأن نزول سورة الإنسان (سورة الدهر) بأن

الإمـام على وأهله كـانوا قـد صـاموا فى ذلـك اليوم وجـاء سائل على الباب وطلب منهم طعاماً فأعطوه طعامهم الـذى كانوا قـد أعـدّوه للافطـار وأفطروا ذلـك اليوم بالمـاء القراح، والخلاصـة أن الإمـام على لم يكن يمتلـك طعاماً ليوم آخر، فكيف تتعلق فى ماله الزكاة الواجبـة حتّى يؤديهـا فى حـال الركوع؟ الجواب: فى مقام الجواب على هـذا الإشـكال وبالأحرى هـذه الشـبهة نقول: أوّلًا: إنّ الأحكام الشـرعية فى الإسـلام تتضـمن الزكـاة الواجبـة والمسـتحبة لأـن جمع الزكاة تم بعـد هجرة النبى إلى المدينـة فى حين أن السور المكيّة تتحدّث عن الزكاة أيضاً وكانت تحث المسلمين على أداء الزكاة فى مكّة، والمراد منها حتماً الزكاة المستحبة أو الزكاة الواجبة التى لم تكن تجمع قبل زمن تشـكيل الحكومـة الإسـلامية. ونلفت النظر إلى ثلاث نماذج من الآيات الشـريفة النازلـة فى مكّة: ألف) نقرأ فى الآيـة الرابعـة من سورة المؤمنون التى هى سورة مكيّـة: «وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ». فى هـذه الآيـة الشـريفة ذكرت صـفة من صـفات المؤمنين وهى أداء الزكـاة، وبما أن هـذه السورة مكيّة والآيـة نزلت قبل تشـريع حكم الزكاة فنعلم أن المراد من الزكاة هنا هى الزكاة المسـتحبة. ب) ونقرأ فى الآيـة الثالثـة من سورة النمـل فى وصف المؤمنين: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكـاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ». ومعلوم أن سورة النمـل من السور المكيّة، وعليه يكون المراد من الزكاة هنا هى الزكاة المسـتحبة. ج) ونقرأ فى الآيـة ۳۹ من سورة الروم: «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ». فهذه السورة من السور المكيّة أيضاً والمراد من الزكاة هنا الزكاة المسـتحبة. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۷۴ وعليه فطبقاً لما ورد فى القرآن الكريم أن الزكاة تشـمل الواجبـة والمسـتحبة كما ورد فى فقه الشـيعة أن بعض الأجنـاس تتعلق بها الزكاة الواجبـة وبعضـها تتعلق بها الزكاة المسـتحبة. ثانياً: أنه ليس من الصـحيح قياس الحالـة الاقتصاديـة للإمام على عليه السـلام عنـد نزول آية الولاية التى نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله مع زمان نزول آيات سورة الدهر لأن وضع المسلمين فى بداية ظهور الإسلام فى مكّة لم يكن وضعاً مناسباً بصورة عامة وكان أغلب المسلمون يعيشون فى ضائقـة ماليـة وخاصـة أنهم كـانوا فى مكّـة يعيشون الحصار الإقتصادى، ولكنهم عنـدما هاجروا إلى المدينـة وتخلّصوا من الحصـار الإقتصـادى الـذى فرضه عليهم المشـركون فى مكّـة واشـتغلوا بالزراعـة والتجارة تحركت حالتهم الإقتصاديـة وانفتحت عليهم أبواب الرزق وتحسنت حالتهم المعيشية بحيث إن وضع أغلب المسلمين فى أواخر عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان جيداً من الناحيـة الإقتصادية، ونظراً إلى أن آيات سورة المائدة نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله فإنه لم يكن من البعيد أن تتعلق الزكاة الواجبـة بأموال الإمام على عليه السـلام ولا ينبغى قياس حالة الإمام علىّ عليه السـلام الإقتصادية فى هذا الزمان الذى كان المسـلمون يعيشون فى حالـة الإنفتاح الإقتصادى والتمكّن المالى مع زمان نزول آيات سورة الإنسان (التى نزلت فى أوائل الهجرة كما يقول الشـيعة أو قبـل الهجرة كمـا يقول بعض أهـل السنّة). حيث كـان المسـلمون يعيشون أزمـة اقتصاديـة وماليـة لأـن ذلك يعنى أن التناقض المزعوم يفتقـد بعض شـروط الوحـدة وهى الوحـدة فى المكان والآخر الوحـدة فى الزمان لكى يصـح دعوة التناقض، وهنا لا يوجـد مثل هـذا التوحّد فى الزمان والمكان. مضافاً إلى كلّ ذلك فقد ورد فى الروايات الواردة فى شأن أميرالمؤمنين عليه السـلام أنه «اعْتَقَ الْفَ مَمْلُوكٍ مِنْ كَدِّ يَدِه» «۱». فمن الواضـح أن الإمـام علىّ عليه السـلام لم يتسـنى له العمـل والكسب فى زمـان خلافته لكى يمكن القول بأنه أعتق هـذا المقـدار من العبيـد من كـدّ يـده، إذن فهـذا العمل كان قـد صدر منه قبل تصديه للحكومة والخلافة قطعاً. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۵ والنتيجـة هى أن دفع الخاتم من قبل الإمام على عليه السـلام حتّى لو قلنا بأنه من قبيل الزكاة الواجبة لم يكن ذلك بمسـتبعد وعجيب. والحقيقـة أن هؤلاء المخالفين وقعوا فى تناقضٍ بيّن، فإنهم من جهـة يـذكرون أن الإمام على قد دفع خاتماً ثميناً جداً إلى الفقير بحيث يدخل فى دائرة الإسراف والتبذير، ومن جهة اخرى يشكّون فى أصل هذا العمل بسبب عدم التمكّن المالى للإمام على عليه السـلام. والنتيجـة هى أنه على رغم الإشـكالات والشـبهات الكثيرة التى احتفت بدلالـة آية الولاية والتى ذكرنا أهمها آنفاً وأجبنا عنها فإن دلالة الآية الشـريفة على الولاية لا تخفى على أحد حيث تقرر الآية الشـريفة الولاية والقيادة والإمامة لثلاث أولياء: ۱- اللَّه تعالى ۲- النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ۳- أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

ملاحظة مهمة جداً!

ملاحظة مهمة جداً! إذا كان من المقرر أن تطرح مثل هذه الشبهات والإشكالات التى مرت آنفاً حول كلّ آية من آيات القرآن الكريم فإنّ أوضح الآيات وأحكمها كآيات التوحيد لا تتخلص من الإشكال، فلا يبق شيء يصلح للاستدلال، فى حين أننا نرى أن مثل هذه الإشكالات والشبهات لا ـ تطرح حول سائر الآيات القرآنية، والظاهر أن هذا الاسلوب من طرح الشبهات يختص بالآيات المتعلقة بفضائل أهل البيت عليهم السلام وولايتهم فقط. وإذا أردنا استكشاف السبب فى مثل هذه المواجهة المتباينة مع الآيات القرآنية فلابدّ من القول أن مثل هؤلاء الأشخاص لم يذعنوا للقرآن الكريم ولم يتعاملوا معه بأدبٍ ونزاهة كما هو المتوقع، والمفروض على المسلم أن يجلس أمام القرآن كالتلميذ أمام استاذه بل يريد هؤلاء أن يكونوا أساتذة للقرآن ويستخرجوا منه ما يؤيد مسبوقاتهم الفكرية، وهذا هو التفسير بالرأى الذى ورد النهى عنه بشدّة فى الروايات الإسلامية «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۶ أيها القارئ الكريم! إذا أردنا أن نستفيد من القرآن والوحى أو روايات المعصومين عليهم السلام استفادة صحيحة ونتوصل من خلالها إلى كشف الحقيقة فيجب علينا أن نتتلمذ على يد القرآن والأحاديث الشريفة ونستوحى مفاهيمنا الدينية من هذين المنبعين الغنيين بتعاليم الوحى والدين حتّى لو كانت على خلاف رغباتنا وميولنا وإلّا فإنّ التفسير بالرأى وبذر الإشكالات والشبهات حول مدلول الآيات الشريفة سينتهى إلى عواقب وخيمة وإنكار المسلّمات الدينية. وورد فى رواية شيّقة تتحدّث عن عاقبة نوعين من أنواع التعامل مع القرآن الكريم حيث قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «... مَنْ جَعَلَهُ امامَهُ قادَهُ الَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ ساقَهُ إلَى النّارِ». «۱» والحقيقة أن هذه الرواية الشريفة يجب أن تهز كيان الأشخاص الذين يتعاملون مع القرآن من موقع التفسير بالرأى وإسقاط مفاهيمهم وأحكامهم المسبقة على الآيات الشريفة.

توصية آية الولاية

توصية آية الولاية إنّ الآية الشريفة محل البحث مضافاً إلى أنها تثبت ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام فإنها تتضمن توصية مهمة لشيعة وأتباع هذا الإمام بل لجميع المسلمين فى العالم وهى: إن الإمام على عليه السلام لم يكن ولياً وإماماً للمسلمين وخليفة للنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بصورة اعتباطية بل وصل إلى هذا المقام بسبب عوامل مهمة قد ذكرت فى الآية نفسها، فالإيمان الراسخ وإقامة الصلاة والمحافظة على الإرتباط الوثيق بين العبد وخالقه ودفع الزكاة وتوثيق العلاقة بين الإنسان وأفراد المجتمع كلّها من الأسباب التى رشّحت الإمام علىّ عليه السلام ليكون أميراً للمؤمنين «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۷ وعليه فإن الآية الشريفة أعلاه توصى شيعة أميرالمؤمنين بأنه إذا أردتم أن تكونوا من شيعة هذا الإمام وتصلوا إلى المراتب العليا من الكمالات المعنوية والإلهية، فيجب عليكم أن تتحلوا بالإيمان الراسخ والقوى، وتسعوا إلى تقوية هذا الإيمان وتعميق الرابطة مع اللّه تعالى وعدم الغفلة عن الصلاة والعبادة، وكذلك عدم الغفلة عن دفع حقوق الآخرين من قبيل الزكاة حتّى فى أثناء الصلاة وخاصّة فى شهر رمضان المبارك شهر العبادة واليقظة وتهذيب النفس، فيجب مضاعفة السعى فى هذا المجال والتدبّر فى مضامين الأدعية الواردة فى هذا الشهر الكريم ليتسنّى للإنسان أن يخطو عملًا نحو رفع الفقر والمحرومية عن المساكين والمحتاجين والمرضى والذين لا يستطيعون أداء ديونهم وأن نتحرك فى دعاءنا ومناجاتنا مع اللّه تعالى فى طلب المغفرة للمرحومين والذين انتقلوا إلى الدار الاخرى ونسعى فى التقليل من مصاب البائسين ونواسيهم فى آلامهم وهمومهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۷۹

آية اولى الأمر

اشارة

آية اولى الأمر ۴ [سورة النساء (۴): آية ۵۹] لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴) «سورة النساء/ الآية ۵۹»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآيـة أعلاه تسـمّى «آيـة الإطاعة» وهى آية اخرى تدلّ على ولاية أميرالمؤمنين عليه السـلام، ومحور البحث فى هذه الآية هى جملة «اولى الأمر» حيث تتضمن نظريات وآراء مختلفة سيأتى شرحها وبيانها وما ذكر حولها من إشكالات.

الشرح والتفسير: من هم اولى الأمر؟

الشـرح والتفسـير: من هم اولى الأمر؟ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ». يخاطب اللَّه تعالى فى هـذا المقطع من الآية الشـريفة جميع المؤمنين فى أقطار العالم وفى جميع الأزمنة والأعصار إلى يوم القيامة بتقديم الطاعة المطلقة لثلاثة من الأولياء: الأوّل: إطاعة اللَّه تعالى، ثمّ إطاعة النبى، والثالث إطاعة اولى الأمر. والقسم الثانى من الآية الشـريفة يبيّن المرجع للمسلمين فى حال نشوب الإختلاف آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۰ والنزاع وكأن الغرض هو تأسيس جهاز قضائى مستقل للمسلمين ويقول: «فَإِنْ تَنـازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فلا ينبغى التوجّه فى حلّ الإختلافات التى تحـدث بين المسـلمين إلى الأجـانب ومرجعيـات غير إسـلامية. وبالإلتفـات إلى قيـد الإيمان باللَّه واليوم الآخر «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يتضـح جيّـداً أن المسـلمين الـذين يتوجهّون فى اختلافـاتهم إلى غير المنـابع والمحـاكم الإسـلامية فإنهم لا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر. والملاحظـة الاخرى الملفتـة للنظر هى أن الآيـة الشـريفة أوردت فى صـدرها وجوب إطاعة اولى الأمر من جملة الأولياء الثلاثة ولكنها عند ذكرها لمرجع الإختلاف فى المقطع الثانى لم تذكر اولى الأمر، وهذا المطلب هو الذى أثار علامات استفهام مهمة فى تفسير الآية الشريفة أعلاه وسوف يأتى تفصيل ذلك فى المباحث القادمة. «ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» هذه الجملة فى الحقيقة هى تعليل للجملتين السـابقتين، فلمـاذا يجب على المـؤمنين إطاعـة اللَّه ورسـوله واولى الأـمر؟ ولمـاذا يحرم على المسـلمين اختيـار مرجعيـة اخرى فى حلّ اختلافاتهم غير اللَّه ورسوله؟ لأنّ الآية توضح ذلك وتقول إن هذا الحكم هو خير للمؤمنين وهو أفضل عاقبة لهم.

حدود إطاعة اولى الأمر

حـدود إطاعـة اولى الأمر النقطة المبهمة فى الجملة المذكورة أعلاه تكمن فى المراد من اولى الأمر وعندها يتّضح تفسير الآية بصورة جيّـدة، ولـذلك نجد أن المفسّـرين قد اهتموا ببيان مصداق اولى الأمر وطرحوا لذلك سبع نظريات. سؤال: قبل الدخول فى تفاصيـل نظريات المفسـِّرين حول معنى اولى الأمر لابـدّ من توضـيح حقيقـة مهمـة لها دورٌ فى فهم معنى اولى الأمر، وهى: هل أن إطاعـة اولى الأمر مقيّـدة ومشـروطة، أو أنها مطلقـة كما فى إطاعـة اللَّه ورسوله؟ وبعبارة اخرى هل أنّ إطاعة اولى الأمر مقيّدة بقيود زمانية ومكانية وغير ذلك، أو أنها واجبة على الإنسان فى كلّ زمان ومكان وفى مختلف الظروف؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۱ الجواب: الظاهر أن الآية الشـريفة أطلقت وجوب إطاعة اولى الأمر ولم تقيّدها بقيد وشـرط معيّن، وببيان آخر أن إطاعة اولى الأمر فى الآية الشريفة لم يقيـد بعـدم الإشـتباه والخطأ الحاصل لـدى اولى الأمر، وببيان ثالث كما أن إطاعـة اللَّه ورسوله واجبة مطلقاً فكذلك إطاعة اولى الأمر أيضاً قد وردت فى الآية بصورة مطلقة، وعليه فلابدّ أن يكون اولو الأمر من المعصومين لأن إطلاق وجوب الإطاعة لا يصحّ إلّاإذا كان المطاع معصوماً، لأنه لا يصـحّ فرض طاعـة الشـخص الـذى يرتكب الخطأ والإشـتباه فى أحكامه، ولـذلك نحن نعتقد بأن القاضـى إذا أخطأ فى إصـدار حكمه وعلم أحـد طرفى الـدعوة بخطأ القاضـى فى صدور الحكم له على صاحبه، فلا يمكنه بمجرد إصدار القاضـى لحكمه أن يتملك ما حكم له أو يلقى بالـذنب على صاحبه. وحتّى مراجع التقليـد الذين يجب على المكلّفين تقليدهم لو أنهم أخطأوا فى مسألـة من المسائل فإنه لا يجب اتباعهم وطاعتهم فى هـذه المسألة كما فى رؤية الهلال إذا لم يثبت لمرجع التقليد رؤية الهلال فى الليلـة الثلاـثين من شـهر رمضان المبارك وحكم بصوم اليوم الثلاثين ولكنّ بعض المقلِـدين يرى بعينه هلال شوّال فى الليلـة الثلاثين،

فهنا لا يمكنه التمسّك بفتوى مرجعه واتباعه فى صوم اليوم الثلاثين بل يجب عليه أن يفطر فى ذلك اليوم لأنه يعلم بخطأ المرجع فى هذه الفتوى. وعلى هذا الأساس فإنّ الإطاعة المطلقة لا تصحّ إلّامن المعصومين، وبما أن الآية الشريفة ذكرت إطاعة اولى الأمر بصورة مطلقة فلذلك نعلم بأن اولى الأمر يجب أن يكونوا من المعصومين.

اختلاف النظريات حول معنى اولوا الأمر

اختلاف النظريات حول معنى اولوا الأمر أما بالنسبة إلى تفسير ومعنى كلمة اولى الأمر، فكما تقدّم هناك نظريات مختلفة فى هذا المجال ونشير إلى بعضها: الأوّل- المراد من اولى الأمر قادة الامّة: فإن كلُّ من استلم زمام الحكم فى المجتمع الإسلامى يطلق عليه «اولى الأمر» ويجب إطاعته بصورة مطلقة حتّى لو أنه تسلّم هذا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۲ المقام بالقوّة والقهر ومن دون رضى الناس وحتّى لو كان من أفسق الناس فتجب إطاعته، وعليه فإن إطاعة الحكام حتّى لو كانوا من أمثال المغول والتتر فيما لو تسلطوا على المجتمع الإسلامى تكون واجبة. وقد ذهب إلى هذه النظرية جمع من علماء أهل السنّة. ولكن هل يصحّ الإلتزام بهذه النظرية عقلًا؟ أليس مراد اللّه ورسوله إقامة العدل والقسط فى المجتمع الإسلامى «۱»؟ إذن فكيف يمكن للظالم والحاكم بالجور أن يصبح خليفة لرسول اللّه ويقلع اسس العدالة من المجتمع الإسلامى ويقيم حكمه على الظلم والجور؟ إنّ هذا التفسير لمعنى اولى الأمر لا ينسجم مع أيّ برنامج إصلاحى فى الإسلام فهل أن القائلين بهذا الكلام يرون أنه لو تسلط الحاكم الظالم بقوّة السيف على المجتمع الإسلامى وسحق جميع القيم الإسلامية تحت قدمه وأشاع الفحشاء والمنكر وقضى على المعروف والقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية واستهان بالواجبات الإلهية، فمع ذلك يجب على المسلمين أن يعترفوا بأنه من اولى الأمر وأنه خليفة رسول اللّه وعليهم أن يطيعوا هذا الإنسان الظالم والمنحرف؟ مع الأسف إنّ هؤلاء يرون وجوب إطاعة مثل هذا الشخص الفاسد والظالم كما هو الحال فى معاوية وابنه يزيد حيث يرون أنهم من اولى الأمر. ليت أن هؤلاء العلماء لم يذكروا مثل هذا التفسير للآية الشريفة. الثانى- وذهب بعض المفسّرين إلى عصمة اولى الأمر ورفضوا النظرية السابقة وبما أن الناس بصورة عامة غير معصومين فلذلك يكون المراد باولى الأمر مجموع الامّة الإسلامية، وبديهى أن الامّة الإسلامية معصومة من الخطأ فلا يمكن أن يقع جميع المسلمين فى وادى الضلالة والخطأ رغم أن كلُّ فرد غير معصوم، وعلى هذا الأساس فكما أن إطاعة اللّه ورسوله واجبة فكذلك يجب اتباع الامّة الإسلامية أيضاً. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۳ ولكن نقول فى مقام الجواب على هذه النظرية: كيف يمكن تحصيل رأى جميع أفراد الامّة الإسلامية؟ ألا يجب تحصيل جميع آراء ونظريات المسلمين؟ وإذا لم يجب تحصيل رأى كلّ فرد من المسلمين وانتخب المسلمون وكلاء ونوّاب عنهم وقلنا بكفاية اتفاق وإجماع هؤلاء الوكلاء والنوّاب للُامّة الإسلامية فإنه يقال: هل يمكن أن يحصل اتفاق فى آراء هؤلاء الوكلاء للُامّة الإسلامية؟ إنّ الغالب هو عدم إمكانية تحصيل الإتفاق فى الآراء حتّى لوكلاء ونوّاب الامّة الإسلامية، فلو قيل إنّ اتفاق الآراء غير لازم بل المعيار هو الأكثرية، فكلما رأت أكثرية النوّاب للُامّة الإسلامية فى مسألة معيّنة الحلّ بصورة معيّنة فيجب اتباعهم بعنوانهم اولى الأمر، فهل أن معنى اولى الأمر يصدق حقيقةً على أكثرية النوّاب والوكلاء للُامّة الإسلامية؟ الثالث- وذهب البعض إلى أكثر من ذلك وبسبب ضعفهم عن مواجهة الثقافة الغربية فإنّهم رأوا أن الديمقراطية الغربية هى مصداق اولى الأمر ألا تكون مثل هذه النظريات من التفسير بالرأى؟ ألا تكون هذه الآراء من قبيل تحميل المسبوقات الفكرية على القرآن؟ ألا تعتبر مثل هذه النتائج ظالمة بحقّ القرآن؟ مضافاً إلى ذلك فإنّ الديمقراطية الغربية ليست سوى فكرة برّاقة وأنيقة فى الظاهر فحسب والغربيون أنفسهم لا يرون أن ديمقراطيتهم منهج مثالى للحكومة بل وجدوا أنفسهم مضطرين لقبولها لأنهم رأوا أنهم لولم يتمسّكوا بالديمقراطية لعاشوا فى ظروف أسوأ منها، فهى من قبيل قبول «أقل ضرراً» وألّا فأيُّ إنسان عاقل يقبل أنّ ۵۰٪ من أفراد الشعب يشتركون بالإنتخابات فيفوز مرشح ۲۶٪ ثمّ يكون هذا المرشح هو الحاكم على جميع أفراد الشعب!! فهل هذا من العدالة والإنصاف؟! إنّ الأشخاص الذين يعيشون الإستيلاء وضعف الشخصية فى مقابل الديمقراطية الغربية يرون فى حكومة أمريكا النموذج الكامل للديمقراطية، ولحسن الحظّ ففى الآونة الأخيرة

تجلت فضيحة كبيرة لهذه المزاعم فى عملية الإنتخابات الأمريكية لرئاسة الجمهورية وتجلّت الماهية الحقيقية لهذا النوع من الديمقراطية لجميع الشعوب بالعالم حيث إن الحكومة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۴ الأمريكية التى تقوم بإدارة جميع المصانع والإدارات بأحدث الأجهزة الالكترونية والكامبيوترية وصل بهم الحال أن يختلفوا فى عشرة إلى خمسة عشر ألف رأى وأنه هل يحسبونها بجهاز الحاسوب أو باليد؟ فماذا يعنى هذا الإختلاف؟ ولماذا كلّ هذه المناقشات والمنازعات على هذا الأمر بحيث أقاموا الدنيا وأحدثوا ضجة فى العالم؟ إنّ هذه الامور تعدّ علامة على زيف المدّعين للديمقراطية بحيث إنهم لا- يعتمدون حتّى على أجهزتهم الفنية!! يجب على العالم أن يضحك على هذه الإنتخابات الزائفة والديمقراطية الكاذبة ويجب على المحقّقين أن يدرسوا هذه الحادثة بدقّة حتّى يكشفوا حقيقة هؤلاء المدّعين للديمقراطية وخاصّة لمن يرى أن الغرب هو كعبة آماله وطموحاته، والإنصاف أن تفسير اولى الأمر بالديمقراطية هو خلاف ظاهر الآية الشريفة بل ظلم كبير للقرآن الكريم. الرابع: نظرية جميع علماء الشيعة، وهى أن المراد باولى الأمر هم المعصومون عليهم السلام ولا يمكن أن يكون فى كلّ زمان إلّاشخص واحد معصوم، وهذا الشخص كان فى زمن نزول القرآن وبعد رحيل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو أميرالمؤمنين عليه السلام وبعده أحد عشر من ذرّيته من الأئمّة المعصومين عليهم السلام. التوضيح: ألف) كما تقدّم فى أن اولى الأمر (وبمقتضى الآية الشريفة أن إطاعة اللّه ورسوله واولى الأمر واجب بصورة مطلقة) يجب أن يكونوا معصومين ليتسنّى للمكلّفين إطاعتهم بدون سؤال وترديد، أى أن ولىّ الأمر يجب أن يكون مصوناً من الخطأ والذنب والإشتباه، وبعبارة اخرى أن العصمة هى قدرة معنوية ومرتبة سامية من التقوى بحيث إن الشخص المعصوم لا يصدر منه أى ذنب أو خطأ أو اشتباه بالرغم من أنه مختار فى سلوكه العملى وغير مجبر ويمكنه ارتكاب الذنب والخطأ، ولكنه ببركة هذه المرتبة السامية من التقوى فإنه لا يقدم على ذلك. وبعبارة ثالثة أن التقوى لها مراتب مختلفة، أحدها هو التقوى من الذنوب الكبيرة وعدم ارتكابها بحيث أنه لو اتفق وأن أذنب فى بعض الأحيان فإنه يتوب فوراً من ذلك، وفى المرحلة الثانية مضافاً إلى عدم ارتكابه للذنوب الكبيرة فإنه يجتنب الذنوب الصغيرة أيضاً، فلو صدر منه أحياناً ذنب صغير فإنه يتوب كذلك، والمرحلة الثالثة هى أعلى ممّا تقدّم بأن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۵ يكون مضافاً إلى اجتنابه الذنوب الكبيرة والصغيرة فإنّه يجتنب المكروهات أيضاً، وهكذا يتدرج الإنسان المؤمن فى مراتب التقوى إلى أن يبلغ الذروة وهى مرتبة العصمة المطلقة من الذنوب والخطأ والإشتباه، وعليه فإنّ العصمة لا- تعنى الجبر كما يتوهم البعض بل هى أعلى مرتبة من مراتب التقوى. ب) إنّ اولى الأمر المعصومين كما تقدّم آنفاً لا يمكن أن يكونوا جميع الامّة الإسلامية أو العلماء والمفكرين من وكلاء ونوّاب الامّة أو أكثريتهم بل يجب أن يكون المعصوم شخصاً خاصاً وفرداً معيناً منهم. ج) بما أن العصمة مرتبة معنوية عالية ودرجة كاملة من التقوى فإنّه لا يمكن للناس تشخيص المصداق لهذا المعيار، ولذلك فإنّ اولى الأمر يجب أن يعيّنوا من قبل اللّه تعالى أو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وهكذا يقوم كلّ معصوم بتعيين المعصوم الذى يليه للناس. والنتيجة هى أوّلًا: يجب أن يكون اولوا الأمر معصومين. ثانياً: يجب أن يكون المعصوم فرداً خاصاً ومعيّناً. ثالثاً: إنّ تعيين المعصوم من اولى الأمر يجب أن يكون من قبل اللّه تعالى. وهنا يجب التوجه إلى القسم الثانى من هذا البحث، أى الروايات الواردة فى شأن نزول الآية الشريفة لنرى هل أن هذه الروايات عيّنت مصداق اولوا الأمر للمسلمين؟ وهل أن اللّه تعالى أو نبيّه الكريم قد نصب هذا القائد المعصوم للناس؟

تفسير الآية فى ظلال الروايات

تفسير الآية فى ظلال الروايات هناك روايات متعددة فى دائرة تعيين المعصوم المراد من الآية «أَطِيعُوا اللَّهَ ...» وأهمها «حديث الثقلين». وطبقاً لما ورد فى هذا الحديث فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله صرّح للمسلمين فى أواخر عمره الشريف وقال: «إنّى قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثِّقْلَيْنِ ما إنّ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِى ... كِتابَ اللَّهِ ... وَعِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتِى». «۱» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۶ ومعنى هذا الحديث أن القرآن الكريم مصون من الخطأ والإشتباه، ولذلك فإنّ الشخص الذى يتحرك فى خط القرآن فإنّه مصون من

الوقوع فى الخطأ أيضاً، إذن فلابـد أن يكون أهل البيت معصومين أيضاً من الخطأ والإشـتباه كيما يصحّ التمسّك بهم ويكون التحرّك فى خطّهم مصوناً من الوقوع فى أشكال الزلل والزيغ وإلّا فلا معنى أن يكون أهل البيت غير معصومين والشخص الذى يسير فى خطّهم ويتبعهم يكون مصونـاً من الوقوع فى الخطـأ. إذن فطبقـاً لهـذه الروايـة فإنّ أهل البيت معصومون، وكما تقـدّم فى شـرح الآيـة الشـريفة «أَطِيعُوا اللّهَ ...» يجب أن يكـون هـذا الفرد المعصـوم معيّن من قبـل اللّه تعـالى، وهـذا يعنى أن الأئمّـة المعصـومين معيّنـون ومنتخبون بأفرادهم من قبل اللّه تعالى.

أهمية حديث الثقلين

أهميـة حـديث الثقلين إن حـديث الثقلين يعتبر من الأحاديث المهمّـة جدّاً فى دائرة موضوع الولاية والإمامة بحيث لا نجد نظيراً له بين الروايات والأحاديث الواردة فى هـذا الشأن، فهـذا الحـديث من جهـة الدلالـة قويٌّ جـدّاً وصـريح، ومن جهة السـند فإنّ الرواية متواترة ومـذكورة فى جميع مصادر الفريقين (السـنّة والشـيعة) بشـكل واسع، ويسـتفاد من مجموع الروايات الواردة فى هذه المصادر أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لم يتحـدّث بهذا الحديث مرّة واحدة بل تكرر منه ذلك مرّات عديدة، والرواية أعلاه وردت فى المصادر الأصلية والمعتبرة للشيعة (تهذيب الأخبار، الإستبصار، الكافى، من لا يحضره الفقيه) «۱» وفى مصادر أهل السنّة (الصحاح الستّة) أيضاً. وهذه الصـحاح الستّة عبارة عن: ۱- «صـحيح البخارى» الـذى يعدُّ أهم كتاب من بين هذه الصـحاح السـتّة وكاتبه هو «البخارى» الذى توفى سنة ۲۵۶ هجريـة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۷ ۲- «صـحيح مسلم» الذى يأتى بعد صحيح البخارى فى الأهمّية، ومؤلفه هو «مسلم ابن حجار» الذى توفى سنة ۲۶۱ هجرى ويسـمى هذين الكتابين بالصـحيحين، ويطلق على مؤلفيهما لقب «الشيخين». ۳- «سنن ابن داود» وقـد توفى ابن داود سـنة ۲۷۵ هجرى. ۴- «سـنن الترمذى» الذى توفى سنة ۲۷۹ هجرى. ۵- «سـنن النسائى» الذى توفى سنة ۳۰۳ هجرى. ۶- «سـنن ابن ماجة» الذى توفى سنة ۲۷۳ هجرى. إنّ جميع الروايات المـذكورة فى هذه الكتب السـتّة هى من الصـحاح ومن الروايات المعتبرة لدى أهل السـنّة، ولكن جميع الروايات المعتبرة لديهم لا تنحصر فى هذه الكتب الستّة، ولذلك كتب «الحاكم» كتابـاً بـاسم «مسـتدرك الصـحيحين» وذكر فيه روايـات معتبرة اخرى لم تـذكر فى صـحيح البخـارى ومسـلم «۱». ويـذكر مؤلف هذا الكتاب: إنّ جميع الروايات المذكورة فى مستدرك الصحيحين متطابقة مع المعايير المذكورة فى البخارى وصحيح مسلم. وقد ذكرت رواية الثقلين فى ثلاث من هذه الكتب السـبعة أى صـحيح مسـلم وسـنن الترمذى «۲» ومسـتدرك الصحيحين «۳» وكمثـال على ذلك نذكر ما ورد فى صـحيح مسـلم: «يقول يزيد بن حيان: انطلقت أنا وحصـين بن مسيرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلمّا جلسنا إليه قال حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، حدّثنا يا زيد ما سـمعت من رسول اللّه صـلى الله عليه و آله فقال يا ابن أخى كبر سـنّى وقـدم عهـدى ونسـيت بعض الذى كنت أعى من رسول اللّه صلى الله عليه و آله فمـا آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۸۸ حـدثتكم فـانقلوه وما لا فلا تكفلونيه ثمّ قال رضـى الله عنه: قام رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوماً خطيباً فينا بماء يـدعى خماً بين مكّة والمدينة فحمد اللّه وأثنى عليه وذكر ووعظ ثمّ قال: «أَيَّهَا النّاسُ! فَإِنَّما أَنَا بَشَرٌ يُوشَكُ أَنْ يَأْتِىَ رَسُولُ رَبّى فَأُجِيبَ وَأَنَا تارِكٌ فِيكُمْ ثِقْلَيْنِ أَوَّلُهُما كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدى وَالْنُورُ فَخُذُوا بِكِتابِ اللّهِ وَ اسْتَمْسِكُوا بِهِ «فَحَثَّ عَلى كِتَابِ اللّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ» ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِى اذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى ....» «۱». مضافاً إلى هـذه الكتب الثلاثة فإنّ الرواية محـل البحث وردت أيضاً فى خصائص النسائى «۲» ، والملفت للنظر أن ابن حجر وهو رجل متعصب جـدّاً وقد كتب كتاباً ضد الشـيعة باسم «الصواعق المحرقـة» قـد أورد الرواية أعلاه أيضاً «۳». والأهم من ذلك أن ابن تيميّـة مؤسـس فرقـة الوهابية المنحرفة أورد رواية الثقلين أيضاً فى كتابه «منهاج السـنّة» «۴». والخلاصـة أن هذا الحديث الشـريف والعميق المغزى «حديث الثقلين» هو رواية متواترة فى كتب الشـيعة وأهل السـنّة «۵». وهـذا المطلب يـدلّ على أن الروايـة المـذكورة تتمتع بأهميـة خاصّـة، ولهـذا نجد الإمام الراحل بدأ فى وصـيته التاريخية بهذا الحديث الشـريف لأنه محدّث خبير ويعلم أن هذا الحديث هو رواية محكمة لا يدخل فيها الشكّ والريب. ومن

خلال حديث الثقلين يثبت أن المراد من اولى الأمر هم الأئمّة الأطهار الذين يجب إطاعة كلّ واحد منهم فى زمانه ولا يشترط فى إطاعتهم واتباعهم أى شرط. ومضافاً إلى حديث الثقلين هناك روايات اخرى واردة فى شأن هذه الآية الشريفة ولكننا نذكر هنا اثنين منها: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۸۹ ۱- يقول الشيخ سليمان الحنفى القندوزى فى «ينابيع المودّة» الصفحة ۱۱۶: «سمعت عليّاً صلوات اللّه عليه يقول: وأتاه رجل فقال: أرنى أدنى ما يكون به العبد مؤمناً وأدنى ما يكون به العبد كافراً وأدنى ما يكون به العبد ضالًا، فقال له: قد سألت فافهم الجواب: أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه اللّه تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة ويعرفه نبيه صلى الله عليه و آله فيقر له بالطاعة ويعرفه إمامه وحجته فى أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة .... قلت يا أميرالمؤمنين: صفهم لى، قال: الذين قرنهم اللّه تعالى بنفسه وبنبيه، فقال: يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم، فقلت له جعلنى اللّه فداك أوضح لى. فقال: الذين قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى مواضع وفى آخر خطبة يوم قبضه اللّه عزّوجلّ إليه: إنّى تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِى إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما كِتابَ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتِى. فنرى فى هذه الرواية الرابطة الوثيقة بين حديث الثقلين واولى الأمر. ۲- ينقل أبوبكر المؤمن الشيرازى عن ابن عبّاس قوله: «إن هذه الآية [آية الإطاعة] نزلت فى على عليه السلام حيث خلفه رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى المدينة (فى غزوة تبوك) فقال يا رسول اللّه: أتخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أَما تَرْضى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزَلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى، حِينَ قالَ: اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ، فَقالَ عَزَّوَجَلَّ وَاولُوا الْامْرِ مِنْكُمْ». «۱» يعنى أن الآية الشريفة ناظرة إلى عملك وسعيك وأنت مصداق اولى الأمر. والنتيجة هى أن الآية الشريفة مع قطع النظر عن الروايات تدلُّ على أن اولى الأمر يجب أن يتحدد بمصداق معيّن ومعصوم ومنصوب من قبل اللّه تعالى، وكذلك يفهم من خلال الروايات الشريفة أن المراد هو فرد معيّن ومنصوب بالنصب الإلهى، وهم الأئمّة الاثنا عشر، أى الإمام علىّ وأحد عشر من ذرّيته وأبنائه الطاهرين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۰

أسئلة وأجوبة

أسئلة وأجوبة هناك أسئلة وعلامات استفهام عديدة قد تثار حول مدلول هذه الآية الشريفة وأهمها ثلاثة أسئلة: السؤال الأوّل: إذا كان الإمام علىّ عليه السلام هو مصداق اولى الأمر كما يقول الشيعة إذن فلماذا لم تكن إطاعته واجبة فى زمان حياة رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى حين أن الآية الشريفة تقرر وجوب إطاعة اولوا الأمر كما هو الحال فى وجوب إطاعة اللّه ورسوله؟ وبعبارة اخرى أن الإمام علىّ عليه السلام كان فى عصر النبى مأموراً أيضاً ولم يكن آمراً وقائداً تجب إطاعته على المسلمين، وعليه فإنّ التفسير المذكور للآية لا ينسجم مع وجوب الإطاعة الفعلى لُاولى الأمر. الجواب: ويمكن الجواب عن هذا السؤال بنحوين: ألف) لابدّ فى البداية من معرفة المراد من «الرسول» و «اولوا الأمر»، فلو فهمنا الفرق بين هاتين الكلمتين سيتضح لنا الجواب على السؤال أعلاه، «الرسول» هو الشخص المرسل من قبل اللّه تعالى لبيان أحكامه وإبلاغ دينه وإنذار الناس، أى أنه مضافاً إلى «النبوّة» وتبليغ الأحكام فإنه مرسل لإنذار الناس من العذاب الإلهى وبيان أوضح أن الرسول هو الشخص المأمور لبيان الأحكام وتبليغ الرسالة. وأمّا «اولوا الأمر» فلا يتحملون مسؤولية التقرير والتشريع بل مسؤولية حراسة هذا القانون وتجسيده على مستوى الواقع الإجتماعى، وبعبارة أوضح يمكن القول أن «النبى» يمكن تشبيهه بالمشرّع والمقنن، بينما «اولوا الأمر» هم القائمون على تنفيذ وإجراء هذه القوانين. ومع الإلتفات إلى هذا البيان فإنّ المقنن فى زمن الرسول هو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وكذلك كان النبى الأكرم مسؤولًا عن تنفيذ القانون وإجرائه فى الوسط الإجتماعى، وعلى هذا الأساس ففى زمن حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله كان صلى الله عليه و آله رسولًا وفى نفس الوقت «ولى الأمر» أيضاً كما فى مورد النبى إبراهيم عليه السلام أيضاً حيث يقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة وهو أنه قد نال مقام الإمامة مضافاً إلى مقام النبوّة، أى أنه مضافاً إلى مرتبة التشريع والتقنين نال مرتبة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۱ مسؤولية إجراء القانون، إذن فمقام الرسالة هو مقام التقنين، ومقام الإمامة واولوا الأمر هو مقام إجراء القانون، وفى زمن حياة النبى صلى الله عليه

و آله كان النبى «رسولًا» و «ولى الأمر» ولكن بعد رحلت النبى صلى الله عليه و آله فإنّ الشخص المعصوم المنصوب من قبل اللّه تعالى ورسوله هو المعنى ب «اولى الأمر» ولم يكن ذلك إلّاالإمام على عليه السلام ومن بعده سائر الأئمّة المعصومين واحداً بعد الآخر، لأنه لم يرد إدعاء النصب الإلهى لهذا المقام إلّاللإمام على وذريته الطاهرين. والنتيجة هو أن ادّعاء فعلية الإطاعة لا يضر بتطبيق كلمة «اولوا الأمر» على الإمام على عليه السلام بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله وعلى أبنائه الطاهرين بعد رحلة الإمام على عليه السلام كما هو المستفاد من الأحاديث الشريفة. ب) أما الجواب الآخر فهو أن الإمام على عليه السلام كان فى حياة النبى صلى الله عليه و آله أيضاً من اولى الأمر، وعلى الأقل فى فترة معيّنة من حياته الشريفة، وذلك عندما توجه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى غزوة تبوك وأبقى الإمام على عليه السلام على المدينة بعنوان خليفته. ولتوضيح المطلب أكثر لابدّ من إلقاء بعض الضوء على واقعة تبوك:

غزوة تبوك

غزوة تبوك إن هذه الغزوة هى آخر غزوة من غزوات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله طيلة فترة رسالته حيث وقعت أحداثها فى السنة الأخيرة من سنوات عمره الشريف، ومكانها يقع فى أعلى نقطة من منطقة الحجاز وفى الحدود المشتركة بين الجزيرة العربية والروم الشرقية. عندما اتسعت رقعة الإسلام واستحكمت دعائمه فى المدينة وانتشر خبره فى أرجاء المعمورة أحست الدول المجاورة لدولة الإسلام ومنها الروم الشرقية «سورية وفلسطين» بالخطر من هذه الدعوة الجديدة وفكروا فى الهجوم على المسلمين لصد هذا الخطر الذى يهدد عروشهم وتيجانهم «۱» ولذلك أقدم الروم على تشكيل جيش مقداره أربعين ألف آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۲ جندى بكامل العدّة والعدد وتحركوا باتجاه الحجاز. وعندما وصل هذا الخبر إلى المسلمين وإلى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أمر النبىّ صلى الله عليه و آله المسلمين بأن يستعدوا لمواجهة هذا العدو وبالتحرك باتجاهه ولا يجلسوا فى المدينة بانتظار قدومه، وكانت هذه الاستراتيجية العسكرية مناسبة جدّاً لهذه الواقعة لأنه ليس من المناسب التقوقع فى حالة دفاعية وانفعالية اتجاه هذا الخطر بل ينبغى أن يقابل هذا الهجوم بهجوم آخر. واتفق فى زمن وقوع هذه الحرب أنها كانت فى أجواءٍ صعبة وغير مناسبة لأنها من جهة كانت حرارة الصيف على أشدها فى الحجاز، ومن جهة اخرى فإن المحصولات الزراعية لهذه السنة على وشك النضج وقد فرغت المخازن الغذائية للسنة الماضية لدى المسلمين، ومن جهة ثالثة فإنّ الفاصل بين المدينة ومنطقة تبوك فاصلة كبيرة جداً حيث ينبغى على المسلمين طى هذا المسير مشياً على الأقدام غالباً لأنه لم يكن لكلّ عشرة أشخاص سوى مركب واحد، وعلى هذا الأساس عليهم أن يتناوبوا فى الركوب، وعلى أية حال فقد صدر الأمر بالتوجه إلى منطقة تبوك فجمعوا ما تبقى لديهم من الأغذية من قبيل بعض التمر اليابس وقد يكون فاسداً أيضاً وتوجه المسلمون بجيش بلغ مقداره ثلاثين ألف شخص بقيادة رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى تبوك. وكان العطش والجوع يلم بجيش الإسلام وقد تورمت أقدام الكثير منهم بسبب المشى فى الصحراء المحرقة ولكنهم وبالرغم من هذه الصعاب والمشاكل استمروا فى طريقهم وقد تحمل جنود الإسلام فى ذهابهم وإيابهم الكثير من الصعاب وواجهوا تحديات الواقع المفروض عليهم ولهذا سمّى هذا الجيش ب «جيش العسرة» «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۳ وعندما وصل الخبر إلى جيش الروم بأن جيش المسلمين الذى يبلغ ثلاثين ألف نفر قادم إليهم من المدينة وبأقل مقدار من الإمكانات العسكرية ومشياً على الأقدام وبقلوب مليئة بالعشق إلى الجهاد ضد أعداء اللّه عزموا على العودة والتراجع. حيث أصدر «أى القيصر» ملك الشام الأمر بذلك، وعندما وصل المسلمون إلى تبوك علموا بفرار العدو وتراجعه وشكروا اللّه على هذا التوفيق العظيم. ثمّ إن النبى الأكرم استشار أصحابه بالنسبة إلى الرجوع إلى المدينة أو مواصلة الطريق والهجوم على العدو فى الشام، وكانت نتيجة الشورى هى التصميم على العودة إلى المدينة لأن الإسلام لم يزل فى بداياته ولم تكن للمسلمين القدرة الكافية والتجربة الوافية لفتح البلدان والمناطق الاخرى، وعلى هذا الأساس كان هذا الاقدام العسكرى فى غاية الخطورة بالنسبة إلى الدولة الإسلامية الفتية. وبملاحظة ما تقدّم فإن غزوة تبوك كانت تختلف تماماً عن غزوات الإسلام الاخرى «وخاصّة لطول مدّة عدم حضور النبىّ والمسلمين فى المدينة وبُعد

المسافـة بين المدينة وتبوك» فكان من المحتمل جداً أن يتآمر المنافقون فى المدينة بالتوافق مع الأعداء خارج المدينة، ولهذا كان من المفروض أن يخلف النبى الأكرم أقوى وأشجع المسلمين ليحفظ دار الإسلام وعاصمة البلد الإسلامى من شر الأعداء ومؤامرات المنافقين المحتملة، ولم يكن هذا الشخص سوى الإمام على عليه السلام ولهذا فإن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عينه على المدينة كما تقدّم فى رواية أبى بكر المؤمن الشيرازى المتقدّمة بعنوان أنه اولوا الأمر. وعلى هذا الأساس فإن الإمام على عليه السلام كان يتصف بصفة «اولوا الأمر» حتّى فى زمان النبى الأكرم رغم أن ذلك كان بشكل مؤقت فكانت طاعته مترادفة مع إطاعة اللَّه ورسوله وواجبة على المسلمين فى المدينة، وعليه فإن هذا الإشكال أى إشكال فعلية الإطاعة فى الآية الشريفة يتضح جوابه ممّا تقدّم بيانه. السؤال الثانى: إن كلمة «اولوا الأمر» تدلّ على الجمع والإمام علىّ شخص واحد، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۴ فهل المراد من «اولوا الأمر» هو الإمام على لوحده؟ الجواب: صحيح أن كلمة «اولوا الأمر» صيغة للجمع ولكن المراد ليس هو الإمام علىّ فقط بل تشمل جميع الأئمّة الاثنا عشر للشيعة الذين يقول بهم الشيعة كما ورد ذلك فى حديث الثقلين بعنوان «عترتى أهل بيتى» حيث لا تختص بالإمام على بل تشمل جميع الأئمّة المعصومين. والشاهد على هذا الكلام الرواية التى وردت آنفاً فى «ينابيع المودّة» حيث ذكر فيها أن اولوا الأمر هم المقصودين من حديث الثقلين وقلنا أن المراد من «عترتى أهل بيتى» فى حديث الثقلين هم جميع الأئمّة المعصومين عليهم السلام. والنتيجة هى أن المراد من اولى الأمر جميع الأئمّة الاثنا عشر كلّ واحد فى زمانه الخاصّ حيث يجب إطاعته بدون قيد أو شرط على جميع المسلمين. السؤال الثالث: لماذا لم تتكرر كلمة «اولوا الأمر» فى ذيل الآية بحيث يرجع إليهم المسلمون فى حلّ اختلافهم ومشاكلهم؟ الجواب: أوّلًا: إن هذا الإشكال لا يرد على الشيعة بالخصوص بل على أهل السنّة أيضاً لأنهم بأى معنى فسّروا كلمة «اولوا الأمر» فهذا الإشكال وارد عليهم. ثانياً: إنّ علّت عدم تكرار «اولوا الأمر» فى المقطع النهائى من الآية الشريفة هو ما تقدّم من الفرق بين «الرسول» و «اولوا الأمر» فالرسول هو المسؤول عن تقنين الشريعة و «اولوا الأمر» هم المسؤولون عن تنفيذ هذه القوانين، ومن الواضح أنه إذا حصل شك لدى أحد الأشخاص فى الحكم الإلهى لزم أن يراجع المقنن لا المنفذ للحكم. وعليه فإن عدم تكرار هذه الكلمة لا يعدُّ نقصاً فى مفهوم الآية الشريفة بل يؤكد بلاغة القرآن الكريم وفصاحته المدهشة. والجدير بالذكر أن الأئمّة المعصومين بأجمعهم هم القائمون على تنفيذ قوانين الإسلام، ولو تحركوا من موقع بيان أحكام الإسلام وتشريعاته فإن ذلك مقتبس من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قطعاً. وهناك روايات وردت فى «جامع أحاديث الشيعة» المجلد الأوّل، الصفحة ۱۸۳ تقرر أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۵ أئمّة الهدى عليهم السلام قد أخذوا جميع علومهم فى مجال الأحكام الشرعية من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. والنتيجة هى أن «اولى الأمر» لا تعنى الأشخاص الذين يتولون تقنين الأحكام وتشريعها بل بمعنى القيام على تنفيذها والعمل على إجراء القانون الإلهى، ولهذا لا داعى لذكره مرّة اخرى فى الآية الشريفة.

توصيات الآية

توصيات الآية ۱- إنّ أهم توصية فى الآية الشريفة هى أن المسلمين يجب أن يذعنوا تماماً فى مقابل الأحكام الإسلامية ويعملوا بالتكاليف الإلهية ويطيعوا اللَّه ورسوله بدون سؤال وترديد، ولا ينبغى لهم أن يختاروا ما هو الملائم لمزاجهم والمتناغم مع أهواهم من هذه الأحكام ليعملوا به ويتركوا الباقى بل عليهم أن يتحركوا فى خط الطاعة والرسالة ولو كان على خلاف ميولهم ورغباتهم فإنّ مثل هذا الشخص هو المؤمن الحقيقى والمسلم الواقعى. ويحدّثنا القرآن الكريم بعبارة شيقة فى الآية ۶۵ من سورة النساء فى هذا الصدد: «فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً». هذه الآية الشريفة بإمكانها أن تكون معياراً جيداً ودقيقاً لتشخيص مقدار حالة التسليم والإذعان فى واقع الإنسان، وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإن المسلم الواقعى هو الذى يتحرك من موقع التسليم لحكم النبى حتّى وإن كان على خلاف مصلحته ورغبته فلا يكتفى فقط بعدم إظهار الإنزعاج والتبرم بل ينبغى أن يشعر بالرضا والتسليم فى قلبه وأعماق نفسه، أى أنه يسلم نفسه للَّه تعالى فى العمل والقول

والعواطف القلبية وإلّا فإنه لو أحسّ بالتبرم فى نفسه من أحكام الإسلام فإن ذلك يدلّ على أنه لن يحقق الإسلام الواقعى فى وجوده، لأن المسلم الواقعى يجب أن يرضى بما رضى به اللّه ورسوله لا بما ترضى به نفسه وأهواءه. الإمام على عليه السلام يقول فى حديثٍ جميل: لَأَنْسُبَنَّ الْاسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبْلى: الْاسْلامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقينُ، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۶ وَالْيَقينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقرارُ، والْإِقرارُ هُوَ الأَداءُ، وَالأَداءُ هُوَ الْعَمَلُ. «۱» فطبقاً لهذا الحديث الشريف فإنّ الإسلام يبدأ من واقع الإنسان وقلبه ثمّ يطوى المراحل المختلفة ليصل إلى مرحلة العمل والممارسة، أى أن الإسلام بدون الإعتقاد القلبى وبمجرد أداء بعض التكاليف والعبادات لا يكفى فى تحقق الغرض كما أن الإعتقادات لوحدها لا تكفى من دون أداء العبادات والتكاليف العملية وعليه فإنّ الإسلام هو مجموعة من الإعتقادات والأعمال الأخلاقية والدينية. ۲- كلمة «أمر» تدلّ على مفهوم إيجابى واسع، ففى هذه الكلمة تكمن القدرة والقوّة، وهذا يعنى أن «اولوا الأمر» يجب أن يتحركوا مع الناس من موقع القدرة والقوّة والحكومة لا أنهم يطلبون هذا المقام ويمارسون نشاطاتهم بالتوسل وحالة الإستعطاف من الناس، وهذا المعنى وارد أيضاً فى كلمة «الأمر بالمعروف» فإنّ الأمر هنا يجب أن يكون من موقع القدرة ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أن موقع القدرة لا يتنافى مع استخدام اسلوب المرونة والمداراة مع الناس لتحقيق المعروف وكما ورد فى القصة المعروفة عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيث تقول الرواية: «ومن حلمه ما روى عن الكامل للمبرّد وغيره أنّ شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن فسلّم عليه وضحك فقال: أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلّك تشبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وان كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالًا كثيراً. فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد انّك خليفة اللّه فى أرضه، اللّه أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق اللّه إلىّ والآن أنت أحبّ خلق اللّه إلىّ، وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم» «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۷ القارئ المحترم يدرك جيداً أن الفاصلة بين أفضل الناس على الأرض وأشر الناس كم هى كبيرة، ولكن الإمام الحسن عليه السلام باتخاذه هذا الاسلوب السليم والأخلاقى فى عملية الأمر بالمعروف قد قطع كلّ هذه المسافة الشاسعة. ونحن أيضاً يجب علينا الإستفادة من هذا الدرس الكبير والإلتفات إلى أن المخالفين على قسمين: ۱- الأشخاص الذين وقعوا تحت تأثير الإعلام المسموم والدعايات المغرضة فصدرت منهم ممارسات شائنة وكلمات لامسؤولة، فهؤلاء يجب التعامل معهم بالاسلوب اللين لهدايتهم كما هو الحال فى هذا الرجل الشامى الذى وقع تحت تأثير دعايات بنى امية المضللة وأصبح من أعداء أهل البيت عليهم السلام، وكما رأينا أن الإمام الحسن قد جذبه إلى الحقّ وهداه إلى الدين بأخلاقه الحميدة. ۲- الأشرار المعاندون الذين يعاندون طريق الحقّ ويبغضون أهل الحقّ عن علم ودراية، فهؤلاء لا معنى للتساهل والتسامح فى التعامل معهم بل ينبغى التعامل معهم من موقع القدرة والشدّة. إن معرفة الأشخاص وتشخيص هذين القسمين ثمّ التعامل مع كلّ طائفة بما ينبغى التعامل معها عمل دقيق ويستلزم الكثير من الدقّة والتدبّر. ربنا! وفقنا إلى نيل التسليم الكامل فى مقابل أحكامك وأوامرك ووفقنا لأداء فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المقدسّة كما يريد منّا الإسلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۹۹

آية الصادقين

اشارة

آية الصادقين ۵ [سورة التوبة (۹): آية ۱۱۹] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ

(۷) «سورة التوبة/ الآية ۱۱۹»

أبعاد البحث

أبعاد البحث إنّ الآية أعلاه تسمّى ب «آية الصادقين»، وهى إحدى الآيات المتعلقة بمسألة الولاية والإمامة الواردة فى شأن الإمام علىّ والأئمّة الأحد عشر من أولاده المعصومين عليهم السلام، ففى هذه الآية الشريفة يأمر اللَّه سبحانه وتعالى المؤمنين باتباع «الصادقين» فمن هم هؤلاء الصادقون؟ وما هى خصوصياتهم وعلاماتهم؟

معرفة إجمالية لسورة التوبة

اشارة

معرفة إجمالية لسورة التوبة من الضرورى أن نتعرف على سورة التوبة بصورة إجمالية لتتضح جيداً أجواء نزول آية الصادقين الواردة ضمن هذه السورة، ولأجل ذلك لابدّ من بيان عدّة امور:

ألف) أسماء السورة وعلة تسميتها

ألف) أسماء السورة وعلة تسميتها هذه السورة لها إسمان متباينان «التوبة» و «براءة» والسبب فى تسميتها «براءة» أن هذه السورة تبدأ بهذه الكلمة «براءة» مضافاً إلى أن هذه السورة تتضمن إعلان البراءة من المشركين وأعداء الإسلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۰ ولهذا السبب فهذه السورة لم تبدأ ب «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» التى تتضمن الرحمة والرحمانية والحنان واللطف. وأمّا سبب تسمية هذه السورة ب «التوبة» فهو أن الكثير من آيات هذه السورة تدعو الناس للتوبة والعودة إلى اللَّه تعالى، أى أنها على الرغم من إعلانها الحرب على الكافرين والبراءة من المشركين وشرارات الحرب تملأ أجواء هذه الآية فإنّ آيات هذه السورة تتضمن كذلك مفهوم التوبة بصورة واسعة بحيث إنها بعد إعلان البراءة من المشركين تقول قبل نهاية الآية الخامسة «۱» من هذه السورة: «... فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى بالرغم من أن الكفّار والمشركين قد تآمروا كثيراً على الإسلام والمسلمين وارتكبوا جرائم كثيرة ولكنهم لو تابوا وتمسّكوا بتعاليم الإسلام فإنّ توبتهم ستكون مقبولة. والسبب فى أن لهذه السورة اسمين متضادين هو كثرة الآيات التى تشير إلى التوبة ضمن الآيات التى تعلن الحرب والبراءة من الأعداء والمشركين ولعلّ ذلك لغرض بيان هذه الحقيقة، وهى أن الإسلام لم يغلق باب العودة وخط الرجعة على المذنبين والمجرمين حتّى فى حال الحرب والقتال مع المسلمين فإنّ الإسلام لا يقصد الإنتقام منهم بل يهدف من تعاليمه حتّى من إقامة الحرب إصلاح الناس، ولهذا فلو أن الأعداء رغبوا فى التوبة فى أثناء الحرب وأظهروا عملًا التزامهم بالتوبة فإنّ الإسلام سوف يرفع عنهم حكم القتل بل سيتحرك نحو حمايتهم وتأييدهم. وبعبارة اخرى إنّ تركيب الآيات لهذه السورة واختيار اسمين لها، يشير إلى حقيقة مهمة على المستوى التربوى للناس وهى: إنّ الإنسان يحتاج فى عملية التعليم والتربية إلى عنصر الخشونة والمداراة سويةً، فلو اتخذت الحكومة فى تعاملها مع الناس اسلوب الخشونة لأدى ذلك إلى نفور الناس وتفرقهم، ولو تحدّثت الحكومة معهم من موقع المداراة واللطف فقط لأساء المجرمون والذين فى قلوبهم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۱ مرض الإستفادة من هذا اللطف والمداراة وأمعنوا فى توغلهم فى أعمال الشر والجريمة، ولكنّ استخدام اسلوب يجمع بين الخشونة والمداراة كلٌّ فى موقعه المناسب بإمكانه أن يحلَّ الكثير من المشكلات، ولذلك كان من اللازم استخدام «الشدّة» و «اللطافة» وأيضاً «العقوبة» و «التوبة».

ب) زمان نزول آيات سورة التوبة

ب) زمان نزول آيات سورة التوبـة إنّ الآيات الاولى من سورة التوبـة نزلت فى أواخر السـنة التاسـعة للهجرة يعنى سـنة واحدة قبل وفاة النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله، وطبقـاً لمـا ذكره المفسّـرون فـإنّ النبى صـلى الله عليه و آله فى هـذه السـنة وعلى أساس التعليمات الواردة فى هذه الآيات أمر الإمام على عليه السـلام «۱» بالتوجه إلى مكّة فى مراسم الحجّ والإعلان عن أربعة امور: ۱- أنه لا يحقّ بعد هـذا العام وهو العام التاسع للهجرة أن يطوف بعض الناس وهم عراة. سؤال: وهل أن البعض يطوف حول البيت عارياً إلى ذلك الزمان ولماذا؟ الجواب: نعم فإن بعض الرجال وحتّى بعض النساء كانوا يطوفون حول البيت وهم عراة تماماً لأنّ أحد عقائـد الوثنيين الخرافية هى أنه إذا طاف الشـخص بثيابه يجب عليه أن يتصـدّق بهـذه الثياب على الفقير، ولهـذا السبب فإنّ الأشـخاص الـذين لم يكن لديهم سوى ثوب واحـد كانوا يقومون باقتراض ثوب لهم من شـخص آخر حين الطواف ويطوفون به لكى لا يشـملهم الحكم المذكور. وأما الأشـخاص الـذين لم يتهيأ لهم اقتراض ثوب من شـخص آخر ولا يرغبون فى التصدّق بثوبهم كانوا يطوفون وهم عراة تماماً. ۲- انه لا يحقّ للمشـركين وعبّاد الأوثان الطواف بالكعبـة بعـد هذا العام. سؤال: أليس الإسـلام يرى الحرية فى العقيدة، إذن لماذا منع أتباع سائر الأديان بالطواف حول الكعبـة؟ آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۰۲ الجواب: إنّ الإسـلام يرى حرية المذاهب والأديان ولكن الشـرك وعبـادة الأوثـان لا يحسب دينـاً ومـذهباً بل هو مجموعـة من العقائـد التى تقوم على أساس خرافى. ۳- إنّ المسـلمين يلتزمون بعهودهم ومواثيقهم مع المشـركين إلى آخر المهلة المقررة فى الميثاق ولكنهم بعد ذلك لا يقومون بتجديد هذا العهد والميثاق مع المشـركين. ۴- إنّ المشـركين الذين لا تربطهم مع المسـلمين رابطة عهد وميثاق سوف يُمهلون لمدّة أربعة أشـهر لأصـلاح عقائدهم ونبذ الشـرك وعبـادة الأوثـان وإلّـا فإنهم سـيتعرضون لقتال المسـلمين. وعلى أيّـة حال فانّ الآيات الاولى من سورة التوبـة والتى وردت الإشارة إلى مضـمونها نزلت فى أواخر السنة التاسعة للهجرة، ويحتمل قوياً أن بقية سورة البراءة ومنها هذه الآية محل البحث نزلت فى السنة التاسعة للهجرة، أى فى السـنة الأخيرة من عمر النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله. وعلى هـذا الأساس فإنّ «آيـة الصادقين» نزلت فى أواخر عمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبذلك عملت على تهيئة الأرضيّة اللازمة لولاية وخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام.

الشرح والتفسير

الشـرح والتفسـير «يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُـوا مَعَ الصَّادِقِينَ» نرى فى هـذه الآيـة الشـريفة أن اللَّه تعـالى يخـاطب المؤمنين والمسـلمين ويـأمرهم بأمرين: الأوّل: أن يلتزموا بتقوى اللَّه تعالى والتى تعـدُّ أهم رأس مال المؤمن وميزان القرب من اللَّه تعالى، وكلّما ازدادت حالـة التقوى فى السالـك إلى اللَّه فـإنه سـيكون أقرب إلى اللَّه تعالى، وكلّما قلّ منسوب التقوى فى الإنسان كان ذلك علامة على ابتعاده من اللَّه تعالى حيث نقرأ فى الآيـة ۱۳ من سورة الحجرات: «يـا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُـعُوباً وَ قَبائِـلَ لِتَعـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقـاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ». ونقرأ فى الآيـة ۶۳ من سـورة مريم أن التقـوى هى بمثابـة جواز عبور الإنسان على الصـراط ودخوله الجنّة: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۳ «تِلْـكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا». فالتقوى فى نظر الإسلام مهمة فى عملية الصعود بالإنسان إلى مدارج الكمال وتعنى أن يعيش الإنسان الخوف والخشية من اللَّه تعالى بحيث يدفعه ذلـك إلى اجتنـاب الـذنوب ولا يحتـاج معها إلى ضوابط خارجيـة. الثانى: هو أن اللَّه تعالى يأمر المؤمنين فى هـذه الآيـة الشـريفة أن يكونوا مع الصادقين.

من هم الصادقين؟

من هم الصادقين؟ سؤال: هل أن المراد من «الصادقين» فى هذه الآية الشـريفة، والذين أمر اللَّه تعالى المسـلمين باتباعهم هم أشـخاص

معيّنون، أو أن المراد هو المعنى اللغوى لهذه الكلمة، أى أن يتبع الإنسان كلَّ شخص صادق؟ الجواب: نحن نرى أن المراد من «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة ليس كلُّ إنسان صادق بل أفرادٌ مخصوصون، والشاهد على ذلك وجود قرينتين فى هذه الآية: ١- أنه لو كان المراد من كلمة «الصادقين» هو المعنى العام لا الخاصّ فيجب أن يقول «كونوا من الصادقين» لا «مع الصادقين» لأن الواجب على جميع المسلمين أن يكونوا صادقين لا ـ مجرد أن يكونوا مع الصادقين، وعلى هذا الأساس يتّضح من وجوب اتباع الصادقين والكون معهم أن المراد بهم هم أشخاص معيّنون بحيث يجب على المسلمين إتباع هؤلاء الأشخاص. ٢- والشاهد الآخر على هذا المعنى أن ظاهر الآية يدلّ على أن إتباع هؤلاء غير مقيّد بقيود أو شروط، وعليه فإنّ إطلاق وجوب إتباعهم يدلُّ على ضرورة أن يكون هؤلاء الصادقون معصومين ومصونين من الخطأ والإشتباه والزلل لأنه لولم يكونوا كذلك فلا يصحّ للمسلمين إتباعهم مطلقاً بل عليهم الإبتعاد عنهم فى حالات الزيغ والخطأ والمعصية. وعلى هذا الأساس فبما أن وجوب اتباع «الصادقين» ورد بصورة مطلقة لزم أن يكون هؤلاء الصادقين أشخاصاً معينين ومعصومين من الخطأ والذنب ليتسنّى للآخرين اتباعهم بصورة مطلقة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٠۴ والنتيجة هى أنه إما أن يكون اتباع هؤلاء الصادقين ورد بصورة مطلقة فيكون «الصادقون» يراد بهم أشخاص معينون، أو أن ترد كلمة «الصادقين» بصورة مطلقة وتشمل جميع من كان صادقاً فيلزم التقيد فى إتباعهم، ونظراً لما تقدّم من القرينتين فى هذه الآية الشريفة فإنّ الاحتمال الأول هو الصحيح، فعليه فإنّ كلمة «الصادقين» مقيّدة والإتّباع مطلق، والمراد منه أشخاص معيّنين الذين يمكن للمسلمين إتّباعهم بصورة مطلقة.

نظرية علماء أهل السنّة

نظرية علماء أهل السنّة أما المفسّرون من أهل السنّة فقد أنقسموا فى تفسيرهم لهذه الآية إلى قسمين، فبعضٌ لم يبحث هذه المسألة بصورة جيدة ولم يهتم لتفسير كلمة «الصادقين» فيها ومرّ عليها مرور الكرام. وبعض آخر ذكر مطالب متنوعة فى تفسيرها حتّى أنهم ذهبوا إلى أن «الصادقين» يجب أن يكونوا معصومين أيضاً لأنّ الاطاعة والإتباع ورد بصورة مطلقة ولا يصحّ ذلك إلّا بإتباع المعصوم ولكن مع ذلك فإنّ المسبوقات الفكرية والأحكام الذهنية لم تسمح لهؤلاء أن يصلوا إلى الحقيقة فى تفسيرهم لهذه الآية. الفخر الرازى من جملة المفسّرين من الطائفة الثانية فمضافاً إلى أنه يرى أن «الصادقين» يجب أن يكونوا معصومين يعتقد كذلك أن هذه الآية لا تختص بعصر نزول النصّ وزمان حياة النبىّ صلى الله عليه و آله بل فى كلّ زمان يكون هناك شخص صادق معصوم فى الامّة الإسلامية يجب على المسلمين إطاعته شرعاً. ولكنه عندما أراد تشخيص مصداق «الصادقين» تورط فى مسبوقاته الذهنية وابتلى بالتفسير بالرأى وقال: «نحن نعترف بأنه لابدّ من معصوم فى كلّ زمان، إلّاأنا نقول: ذلك المعصوم هو مجموع الامّة». أى أن الامة الإسلامية لو اتفقت على رأى واحد فى مسألة معيّنة فيجب على الجميع إتباع هذا الرأى، والنتيجة هى أن قوله تعالى «كونوا مع الصادقين» هو أن يكون المسلمون فى كلّ عصر وزمان يسيرون جنباً إلى جنب مع مجموع الامّة الإسلامية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٠۵ ولكننا نسأل من الفخرالرازى: هل أن هذا التفسير كان يتبادر إلى ذهن المسلمين فى عصر نزول الوحى وفى أذهان الصحابة فى وقت نزول الآية؟ وأساساً فإنّ مسألة «الإجماع» طرحت بعد قرون من عصر النزول فكيف يستنبط الفخر الرازى من هذه الآية «إجماع الامّة»؟ ولا شكّ أن هذا التفسير مجانب للصواب وأن أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله لم يفهموا من كلمة «الصادقين» سوى عدّة من الأشخاص المعينين الذين يتمتعون بمقام العصمة. وعلى هذا الأساس، فلا ـ شكّ فى أن «الصادقين» يتمتعون بمقام العصمة من الذنوب والأخطاء، هذا أوّلًا ... وثانياً: أنهم موجودون فى كلّ عصر وزمان ولا يختص وجودهم فى زمان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ثالثاً: أن عددهم معيّن ومحدد. فالامور الثلاثة أعلاه تستفاد من نفس هذه الآية الشريفة كما مرّ تفصيل الكلام عنه آنفاً «١» ولكنّ مصداق «الصادقين» لا يتضح ويتبين من الآية نفسها بل لابدّ من الإستفادة من الروايات الشريفة.

تفسير آية الصادقين بضميمة الآيات الاخرى

تفسير آية الصادقين بضميمة الآيات الاخرى لو جلسنا فى مقابل القرآن جلسة التلميذ وأبعدنا أذهاننا عن المسبوقات الذهنية والمذهبية وتدبرنا فى آيات هذا الكتاب العظيم بإخلاص ورغبة صادقة فإنّ القرآن الكريم يعرّف لنا الصادقين فى آيات اخرى حيث يقول تعالى فى الآية ۱۵ من سورة الحجرات: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۶ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ». فطبقاً لهذه الآية الشريفة فإن «الصادقين» مضافاً إلى إيمانهم باللَّه ورسوله أو إيمانهم بالمبدأ والنبوّة التى يشترك فى هذه العقيدة جميع المسلمين فإنّهم يختصون بخصوصيات اخرى لا يشترك معهم سائر المسلمون: ۱- إنهم بعد الإيمان باللَّه ورسوله لم يعيشوا الريب والشك ولا للحظة واحدة بل كانوا يعيشون الإيمان واليقين الراسخ فى جميع مراحل حياتهم. ۲- والآخر أن هذا الإيمان المذكور لم ينحصر فى عالم القلب واللسان فحسب، بل إنّ آثاره تجلت بوضوح على مستوى الممارسة والعمل، ولهذا فإنّهم يتحركون فى جهادهم فى سبيل اللَّه من موقع القرب من اللَّه وبدافع من طلب رضاه فقط لا بدوافع اخرى فيبذلون المال والأنفس فى هذا السبيل. ومع الإلتفات إلى هاتين الخصوصيتين النادرتين يجب علينا التفتيش والفحص بين أصحاب الرسول الأكرم لنعثر على الشخص الذى يتمتّع بهذه الصفات والخصوصيات ويكون من الصادقين. ولدى رجوعنا لتاريخ صدر الإسلام نصل إلى هذه الحقيقة، وهى أن الشخص الوحيد الذى يتمتع بهذه الصفات هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام لأن جميع حياته كانت مليئة بالجهاد بالمال والنفس ولم يشك أو يتردد طرفة عين فى إيمانه وعقيدته. ومن أجل إثبات هذه الحقيقة نذكر ثلاث وقائع مختلفة مما يذكره التاريخ الإسلامى عن حياة هذا الإمام وجهاده بالمال والنفس وإيمانه الراسخ باللَّه ورسوله: ۱- عندما تحرك المشركون فى مكّة للقضاء على الإسلام وتآمروا فى كيفية الطريق إلى تحقيق هذه الغاية وصمّموا على تنفيذ مؤامرة قتل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ومن أجل أن لا تقوم عشيرة النبى صلى الله عليه و آله بالإنتقام من القاتل أو الإقتصاص منه قرّروا أن يقوم بهذه العملية عدّة أشخاص من جميع القبائل فاختاروا لذلك أربعين شخصاً من الأقوياء والشجعان فى القبائل العربية ليهجموا على بيت النبوّة ليلًا وينفّذوا هذه العملية. ولكنّ اللَّه تعالى أخبر نبيّه الكريم بواسطة الوحى بهذه المؤامرة الخطيرة، فقام النبى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۷ لأجل التخلص من هذه المؤامرة بالهجرة إلى المدينة ولكن من أجل أن لا يلتفت الأعداء إلى غيبته لزم أن يختار شخصاً شجاعاً مستعداً للموت لينام على فراش النبى فى الليلة المقررة فكان أن اختار النبى الإمام على عليه السلام لهذه المهمة. وطبقاً للروايات «۱» الواردة فى هذه الحادثة فإن رسول اللَّه قال لأميرالمؤمنين عليه السلام عندها: إننى قد امرت أن اهاجر إلى المدينة ولكنّ هناك أربعين رجلًا مسلّحاً من أربعين قبيلة يحاصرون هذا البيت وينتظرون طلوع الفجر ليهجموا على هذا البيت ويقتلوننى فهل أنت يا علىّ مستعد لتنام فى فراشى لأتمكن من التحرك نحو المدينة؟ فأجاب على عليه السلام الذى ملأ قلبه العشق للنبىّ وللرسالة ولم يتردد أو يشك لحظة فى إيمانه وعقيدته: «يا رسول اللَّه إذا أنا نمت فى فراشك فهل تصل سالماً إلى المدينة؟» كان هذا السؤال مهماً جداً بالنسبة إلى الإمام على عليه السلام فلم يسأل عن مصيره هو والخطر المحدق به فى هذه الليلة بل كان فكره مشغولًا فقط بسلامة معشوقه وحبيبه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. وقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: نعم سأصل سالماً إن شاء اللَّه. فوقع الإمام على عليه السلام من فوره على الأرض ساجداً للَّه تعالى سجدة الشكر على سلامة الرسول ولعلّ هذه كانت أوّل سجدة شكر فى الإسلام. فهل نجد شخصاً غير على ابن أبى طالب يعيش العشق والحبّ لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى هذه الدرجة؟ نحن بدورنا نعشق هذا الإمام ونتّبع فى عقيدتنا وسلوكنا هذا الإنسان الكامل. وهكذا نام الإمام على عليه السلام فى فراش النبى ووصل النبى سالماً إلى المدينة فلما أصبح الصباح هجم الأعداء على بيت النبى فنهض الإمام على عليه السلام عندما سمع الضجة من فراشه، فوجد الأعداء أن هذا النائم ليس هو مرادهم ومقصودهم فسألوا عليّاً: أين محمّد؟ وبدون أن تتخلل ذرة من الخوف فى قلب الإمام على عليه السلام قال: وهل أودعتموه عندى حتّى تسألوا هذا السؤال؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۸ فبهت الأعداء من هذا الجواب القاطع لهذا الشاب الشجاع وقالوا فيما بينهم: إنّ هذا شاب ساذج وقد خدعه محمّد صلى الله عليه و آله. فلمّا سمع الإمام على عليه السلام ذلك منهم

وأنهم يتحدّثون عن حبيبه بلغة الإهانة قال لهم كلاماً جميلًا جداً وعميق المغزى: إنّ اللَّهُ قَدْ أَعْطانِى مِنَ الْعَقْلِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَمِيعِ حُمَقاءِ الدُّنيا وَ مَجانِينِها لصارُوا بِهِ عُقَلاء وَمِنَ الْقُوَّةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَمِيعِ ضُعَفاءِ الدُّنْيا لَصارُوا بِهِ أَقْوِياءَ، وَمِنَ الشُّجاعَةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلى جَميعِ جُبَناءِ الدُّنْيا لَصارُوا بِهِ شَجْعاناً. «۱» عندما سمع الأعداء هذا الجواب تملكهم اليأس وأطرقوا برؤوسهم خارجين من المنزل. فلو كان لدى الإمام على عليه السلام ذرة من الشك والتردد بالنسبة إلى إيمانه باللَّه والرسول فهل يعقل أن يخاطر بحياته مثل هذه المخاطرة؟ ۲- فى واقعة احد تمكن الأعداء من تحقيق نصر عسكرى على المسلمين بسبب غفلة المسلمين وطمعهم فى حطام الدنيا ومضافاً إلى ذلك فقد استفاد الأعداء من هذه الغفلة وتحركوا من موقع الحرب النفسية ضد المسلمين حيث صاح أميرهم لما رأى النبى صلى الله عليه و آله جريحاً فى ميدان القتال «لقد قُتل محمّد!» ولما سمع المسلمون هذا النداء هرب الكثير منهم من ميدان القتال كما تقول الرواية، ولكنّ الإمام على عليه السلام الذى كان مؤمناً بانتصار الإسلام وبوعد اللَّه تعالى ولم يتردد لحظة فى هذه العقيدة الراسخة لم يلتفت إلى هذا النداء وبقى مستمراً فى قتال الأعداء حتّى أصاب جسده الشريف جراح كثيرة ولكنه استمر فى القتال والدفاع عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بحيث أدّت شجاعته وإيمانه وسعيه البالغ فى دفع الخطر عن النبى صلى الله عليه و آله إلى إجهاض كيد العدو وأدرك المسلمون أن النبى صلى الله عليه و آله لم يقتل لحد الآن، ولذلك عاد الكثير منهم إلى ميدان القتال، وعلى أيّة حال انتهت الحرب بكلّ ما تضمنته من صعوبات وتحديات واندحر الأعداء وهم مصابون باليأس من الغلبة على الإسلام وتوجهوا إلى مكّة، وهكذا اصيب الإمام على عليه السلام فى هذه المعركة بما يقارب من ۹۰ جرحاً فأرسل له النبىّ صلى الله عليه و آله طبيبين ليعالجاه ويضمدا جراحه ولكنهم سرعان ما عادوا إلى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۰۹ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهما يقولان: يا رسول اللَّه إنّ جراح على ابن أبى طالب إلى درجة من الكثرة والتقارب بحيث أننا كلّما سعينا لمعالجة جرح انفتح علينا جرح آخر. يقول الشبلنجى العالم المعروف لدى أهل السنّة فى كتاب «نور الأبصار»: إنّ علىّ بن أبى طالب بعد واقعة احد قال لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لقد أصابتنى فى هذه المعركة الشديدة مع المشركين ستة عشر ضربة عميقة بحيث إننى وقعت على الأرض أربع مرّات وفى كلّ مرّة كنت أرى شخصاً نورانياً يساعدنى على النهوض من الأرض ويقول: انهض ودافع عن رسول اللَّه، فمن هو يا رسول اللَّه؟ «۱» قال النبىّ صلى الله عليه و آله: لتقر عينك يا علىّ هذا جبرئيل أمين الوحى. نعم إنّ هذة الواقعة يصدقها القرآن الكريم بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «۲». والخلاصة هى أن هذه الحادثة تدلُّ على المرتبة العليا لجهاد الإمام على عليه السلام بماله ونفسه من جهة وكذلك على إيمانه الراسخ ويقينه القوى باللَّه ورسوله وما وعده اللَّه تعالى من نصر الإسلام على المشركين من جهة اخرى. إذن فهو مصداق كلمة «الصادقين» فى هذه الآية الشريفة. ۳- وفى حرب الأحزاب عندما تقدّم عمرو بن عبدود العامرى بطل العرب وعبر الخندق وأخذ ينادى المسلمين ويطلب البراز فلم يستجب له إلّاعلىّ بن أبى طالب عليه السلام وتكرر هذا العمل ثلاث مرّات وفى كلّ مرّة ينهض الإمام على عليه السلام من مكانه وهو مستعد لمبارزته. وهكذا توجه على بن أبى طالب نحو هذا العدو الغاشم بإيمان راسخ وشجاعة عظيمة فدعى له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالنصر، ثمّ إن المعركة بين على وعمرو بن عبدود انتهت بغلبة الإسلام على الكفر، وانتصر الإمام على عليه السلام على عدوه فى هذه المواجهة والمبارزة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۰ وبينما كان الإمام على عليه السلام جالساً على صدر عمرو بن عبدود لحزّ رأسه، بصق عمرو فى وجه الإمام على عليه السلام وشتمه «۱» فما كان من الإمام على عليه السلام إلّاأن نهض وأخذ يتمشّى فى ميدان المعركة، وكان المسلمون ينظرون إلى مجريات الحادثة بدقة وتعجب، وبعد دقائق عاد بطل حرب الأحزاب إلى مكانه وقطع رأس عدو اللَّه. وبعد هذه الحادثة سُئل الإمام على عليه السلام عن سبب قيامه وانتظاره لحظات قبل أن يقدم على قتل عمرو فقال: قَدْ كانَ شَتَمَ امِّى وَتَفَلَ فى وَجْهى فَخَشِيتُ أَنْ أَضْرِبَهُ لِحَظِّ نَفسى فَتَرَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ ما بى ثُمَّ قَتَلْتُهُ فِي اللَّهِ. «۲» وفى هذا يقول الشاعر الشيخ الازرى رحمه الله وهو يحكى هذه الواقعة المهمّة: ظهرت منه فى الورى سطوات ما أتى القوم كلّهم ما أتيها يوم غصّت بجيش عمرو بن ودّ لهوات الفلا وضاق فضاها فدعاهم وهم الوف ولكن ينظرون الذى يشبّ لظاها فابتدى

المصطفی یحدث عما یوجر الصابرون فی اخریها فالتووا عن جوابه کسوام لا تراها مجیبهٔ من دعاها فإذا هم بفارس قرشی ترجف الأرض خیفهٔ أن یطاها قائلًا ما لها سوای کفیل هذه ذمهٔ علیّ وفاها فانتضی مشرفیه فتلقی ساق عمرو بضربهٔ فبراها یا لها من ضربهٔ حوت مکرمات لم یزن ثقل أجرها ثقلاها هذه من علاه احدی المعالی وعلی هذه فقس ما سواها وعلی هذا الأساس فإنّ علائم الإیمان الراسخ مشهودهٔ فی حیاهٔ الإمام علی علیه السلام کلّها، وحینئذٍ نفهم جیّداً بالإستفادهٔ من القرائن وبمعونهٔ الآیات القرآنیهٔ الاخری أن المراد من «الصادقین» هو علیّ بن أبی طالب

الصادقین فی الروایات

الصادقین فی الروایات لو اقتصرنا علی روایهٔ الثقلین المهمهٔ وضممناها إلی الآیهٔ الشریفهٔ لرأینا أنها تلقی ضوءاً قویاً علی مفهوم الآیهٔ وتوضح مصداق «الصادقین» وهم الأشخاص الذین ذکرتهم روایهٔ الثقلین بأنهم أهل البیت الأئمّهٔ المعصومین علیهم السلام الذین ینبغی التمسّک بهم دائماً، فیکون التمسّک بهم مانعاً من الضلال، ومضافاً إلی الروایهٔ المذکورهٔ هناک روایات متعددهٔ ناظرهٔ إلی هذه الآیهٔ الشریفهٔ، وکمثال علی ذلک نورد ما یلی: ۱- نقل خمس أشخاص من مشاهیر وکبار علماء أهل السنّهٔ وهم: السیوطی «۱»، الخوارزمی «۲»، العلّامهٔ الثعلبی «۳»، العلّامهٔ الکنجی «۴»، والحاکم الحسکانی «۵»، وهؤلاء کلّهم یروون عن الصحابی المعروف ابن عبّاس أو جابر بن عبداللّه الأنصاری حیث یقول: «کُونُوا مَعَ الصَادِقِینَ، أیْ کُونُوا مَعَ عَلِیِّ بْنَ أَبی طالِبٍ». ووردت بعض العبارات فی هذه الروایات «هو علیّ بن أبی طالب» أو «نزلت فی علیّ ابن أبی طالب» «۶» وهی کلّها تؤدی معنی واحداً. ۲- نقل الحاکم الحسکانی فی «شواهد التنزیل» مضافاً إلی الروایهٔ المذکورهٔ آنفاً روایهٔ اخری عن «عبداللّه بن عمر» حیث قال: «مَعَ الصَّادِقِینَ أیْ مَعَ مُحَمّدٍ وَأَهْلِ بَیْتِه». «۷» والملفت للنظر أن هذه الروایهٔ تذکر سائر أهل البیت المعصومین علیهم السلام فی عداد الصادقین. ۳- ویروی سلیم بن قیس الذی یقول عنه العلّامهٔ المجلسی فی بحار الأنوار أنه شخص آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۱۱۲ ثقهٔ حیث یقول فی تفسیر کلمهٔ «الصادقین»: «فقال سلمان: یا رسول اللّه، أعامهٔ هی أم خاصّهٔ؟ فقال: أما المؤمنون فعامهٔ لأن جماعهٔ المؤمنین امروا بذلک، وأما الصادقون فخاصّهٔ لأخی علی والأوصیاء من بعده إلی یوم القیامهٔ» «۱». وطبقاً لهذه الروایهٔ فإن «الصادقین» هم الأئمّهٔ المعصومین علیهم السلام. ۴- ویقول العلّامهٔ الکنجی فی کتاب «کفایهٔ الطالب» و «ابن الجوزی» فی کتابه «التذکرهٔ»: قال علماء السِیر: معناه کونوا مع علیّ وأهل بیته «۲» وهکذا یروی المؤرّخون فی معنی «کونوا مع الصادقین» أن المراد بهم هم علیّ وأهل بیته علیهم السلام. وطبقاً لهذا الحدیث فإنّ «الصادقین» هم الأئمّهٔ الاثنا عشر علیهم السلام للشیعهٔ.

توصیهٔ آیهٔ الصادقین

توصیهٔ آیهٔ الصادقین ومما تقدّم من صفات وخصائص المعصومین علیهم السلام وأنهم المجاهدون، العابدون، الراکعون، الساجدون، القائمون، الصائمون، الزاهدون، العالمون، المتقون، الذاکرون، الخاشعون، وأمثال ذلک فإنّ هذه الصفات تجتمع فی مصداق کلمهٔ «الصادقین»، وهذا یعنی أن حالهٔ «الصدق» لها دور مهم جداً فی مصیر الإنسان «ولیس المسلم فحسب»، ولهذا السبب فإنّ الآیهٔ الشریفهٔ وصفت أئمّهٔ الهدی بهذه الصفات. ومع الإلتفات إلی أهمیهٔ هذا الموضوع نذکر بعض ما ورد عن الإمام علی علیه السلام فی هذا الصدد: ۱- «الصِّدْقُ عِمادُ الإسْلامِ وَدَعامَهُ الإیمانِ». «۳» فلو سقط عمود البناء لانهار البناء تماماً، فلو أن المسلم لم یتّصف ویتحلّی بصفهٔ الصدق فلا معنی لإسلامه وإیمانه. آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۱۱۳ ۲- «الصِّدقُ أَقْوی دَعائِمِ الْإیمانِ» «۱» وهذا یعنی أن الصدق یقترن مع مفهوم عمود الخیمهٔ بحیث لو زال العمود لحظهٔ لانهدمت الخیمهٔ. ۳- «الصِّدقُ صَلاحُ کُلِّ شَیءٍ وَالْکِذْبُ فَسادُ کُلِّ شَیءٍ» «۲». وفی الحقیقهٔ فإنّ الصدق لو ساد فی المجتمع وکان جمیع أفراد المجتمع یتحلّون بهذه الصفهٔ وکان الرجل وزوجته یعیشان حالهٔ الصدق فی البیت، وکذلک الموظفون فی الإدارات والشرکاء فی محیط التجارهٔ والحکّام فی دائرهٔ الحکومهٔ والسیاسهٔ والطلاب

والتلاميـذ فى أجواء المدرسـة والجامعة، والخلاصة لو كان جميع أفراد المجتمع يتحركون فى تعاملهم وتفاعلهم مع الآخرين من موقع الصدق فإن ذلك بلا شكّ سوف يحلّ الكثير من المشاكل والتحدّيات التى يواجهها المجتمع البشرى. إنّ جميع المشاكل والمصاعب تنبع من عـدم الصـدق فى التعامل وفى الكلام. وهـذا المعنى يصـدق أيضاً فى البعـد العالمى للمجتمع البشـرى، وعلى سبيل المثال إذا كانت الـدول والحكومات التى تدّعى حقوق الإنسان صادقة فى الإسـتفادة من هذا العنوان الجميل لكانت البشـرية فى عالمنا المعاصـر تعيش حالـة أفضل بكثير ممّا هى عليه الآن. ولكننا نرى أن هـذا الإدعاء قـد انحرف عن مسيره فلا نجـد معالم الصدق فى التعامل بين الـدول التى لاـ تفكر إلّابمصالحهـا الذاتيـة وعلى حسـاب الظلم والجور والفساد الفاحش، وعلى هـذا الأساس فلو أن جاسوساً اسـرائيلياً يقـدم للمحاكمـة فى نقطـة من العـالم فإن صـراخ هؤلاء المـدّعون لحقوق الإنسان سـيعلو ويطغى على كلّ شـىء، ولكن إذا تم سـحق الشـعب الفلسـطينى وقتل آلاف الأشخاص من أفراد هذا الشعب المظلوم فلا نجد أى اعتراض من هؤلاء بل مع كثير التعجب والتأسف نجـدهم يقـدّمون معالم التأييـد السياسـى والاقتصادى والعسـكرى إلى الظالم على حساب المظلوم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۴ وهكـذا نـدرك جيـداً عمق ما تحـدّث به أميرالمؤمنين: «إنّ الكـذب فساد كلّ شـىء». والنتيجـة هى أن آيـة «الصادقين» توحى لجميع المسلمين بل جميع البشرية بأن يكونوا مع الصادقين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۵

الفصل الثانى: آيات فضائل أهل البيت عليهم السلام

آية التطهير

اشارة

آية التطهير ۶ [سورة الأحزاب (۳۳): آية ۳۳] وَ قَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۳۳) «سورة الأحزاب/ الآية ۳۳»

أبعاد البحث

أبعـاد البحث إن آيـة التطهير هى آيـة اخرى من الآيـات التى تتعلّق بولايـة أميرالمؤمنين والأئمّـة المعصومين عليهم السـلام. هـذه الآية الشريفة والتى ينبغى التدبّر فى كلّ كلمة من كلماتها تدلُّ أيضاً على عصمة الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

مقدّمة

مقدّمـة إنّ الآيات ۲۸- ۳۴ من سورة الأـحزاب كلّهـا وردت فى خطاب نساء النبىّ صـلى الله عليه و آله ومن بين هـذه الآيات الشـريفة السـبعة وردت آية التطهير بلسان متفاوت ومضمون مختلف، ومن ذلك تغيير الضمائر فى هذه الآية، فإننا نرى فى الآيات الشريفة قبلها ورد خمس وعشـرين ضـمير أو فعل يـدلُّ على المؤنث، وبعـد آيـة التطهير أيضاً نجـد ضـميرين وفعل كذلك يدلُّ على التأنيث ولكنّ جميع الضـمائر والأفعال فى آيـة التطهير التى تقع وسط ۲۷ ضـميراً وفعلًا مؤنثاً قـد وردت بلسان المذكر، أو أن الضـمير فيها يعود على المذكر والمؤنث كليهما، والخلاصة أن الضـمائر فيها لا تختصّ بالمؤنث. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۱۸ فهل أن هذا التفاوت هو من باب الإتفاق والصدفـة، أو أن له حكمـة خاصّة؟ بلا شكّ أنه لم يقع صدفةً بل له علّة خاصّة لابدّ من أخذها بنظر الإعتبار. فإذا كان المراد من آية التطهير هو نساء النبى صـلى الله عليه و آله فلماذا تبدلّ الخطاب فى هذه الآية ولم يرد فيها الضـمائر الخاصّة بالمؤنث؟ لا شكّ أن مضـمون الآيـة ومحتواها وتغيير الضـمائر والأفعال يـدلُّ على أن المراد منها ليس هو نساء النبى صـلى الله عليه و آله، وسيأتى توضيح أكثر لهذا الموضوع فى البحوث القادمة.

الشرح والتفسیر: آیهٔ التطهیر، برهان واضح للعصمهٔ

الشرح والتفسیر: آیـهٔ التطهیر، برهان واضـح للعصـمهٔ تقدّم أنه ینبغی التدبر فی کلّ کلمهٔ من کلمات هذه الآیهٔ الشـریفهٔ مورد البحث لاسـتجلاء المراد الحقیقی منها: ۱- کلمهٔ «إنّما» تسـتعمل للحصـر فی اللغهٔ العربیهٔ ویتّضح من هذه الکلمهٔ أن المضـمون الوارد فی هذه الآیهٔ الشـریفهٔ لا یتعلق بجمیع المسـلمین وإلّا لا معنی لاستخدام هذه الکلمهٔ. «الرجس» الذی تحدّثت عنه هذه الآیهٔ لم یرفع من الجمیع بـل أراد اللَّه رفعه من بعض الأـفراد بخصوصـهم، مضافاً إلی أن «الرجس» یراد به رجس خـاصّ، وقـد أراد اللَّه إزالته عن أفراد معینین وتطهیرهم منه. وبما أن التقوی العادیهٔ تسـتوعب جمیع المسـلمین والواجب علی جمیع المسـلمین تطهیر أنفسهم من الرذائل والذنوب، فـإنّ المراد مـن هـذه الآیـهٔ ومـا یختصّ بهؤلاـء الأـفراد المعینیـن یجب أن یکـون أعلی ممّـا یراد من الأشـخاص العـادیین فی تقـواهم وحرکتهم فی خـط الطاعـهٔ والإیمان. ۲- «یُرِیـدُ اللَّهُ».* فمـا هو المراد من إرادهٔ اللَّه؟ هـل هی الإـرادهٔ التشـریعیهٔ أو الإـرادهٔ التکوینیـهٔ؟ الجواب: للإجابـهٔ علی هذا السؤال یلزمنا بعض التوضـیح حول مفهوم الإرادهٔ التکوینیهٔ والتشـریعیهٔ: آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۱۱۹ الإرادهٔ التشـریعیهٔ: هی الإرادهٔ التی تعنی أوامر اللَّه تعالی ودستوراته من الواجبات والمحرمات الواردهٔ فی الشریعهٔ المقدّسهٔ، والآیهٔ ۱۸۵ من سورهٔ البقرهٔ هی أحد الآیات التی وردت فیها الإرادهٔ الإلهیهٔ بمعناها التشـریعی حیث ذکر اللَّه تعالی فی هذه الآیهٔ الشـریفهٔ بعد بیان وجوب صوم شـهر رمضـان المبارک واسـتثناء هـذا الحکم بالنسبهٔ إلی المسافر والمریض یقول: «یُرِیـدُ اللَّهُ بِکُمُ الْیُسْرَ وَ لا یُرِیـدُ بِکُمُ الْعُسْرَ». فالمقصود من الإرادهٔ الإلهیهٔ هنا هی الإرادهٔ التشـریعیهٔ، أی أن أحکام اللَّه تعالی فی شهر رمضان سهلهٔ ویسیرهٔ للإنسان المؤمن بـل إن جمیع أحکام الإسـلام هی کـذلک، ولـذلک قال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله: «بُعِثْتُ إلَیْکُمْ بِالْحَنَفِیَّهِٔ السَّمْحَـهِٔ السَّهْلَـهِٔ». «۱» «الإرادهٔ التکوینیهٔ» هی الإرادهٔ التی تستخدم فی مقام الخلق والتکوین فقد أراد اللَّه تعالی خلق العالم وخلق سائر الکائنات والمخلوقات. وکمثال علی هـذه الإرادهٔ الإلهیهٔ ما ورد فی الآیهٔ ۸۲ من سورهٔ یس حیث یقول تبارک وتعالی فی هـذه الآیهٔ: «إِنَّما أَمْرُهُ إذا أرادَ شَـیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ». فالمقصود من هـذه الإرادهٔ فی الآیـهٔ الشـریفهٔ هی الإرادهٔ التکوینیهٔ، وفی الحقیقهٔ أن قدرهٔ اللَّه تعالی علی هذا الکون وسـلطته علی الکائنات إلی درجهٔ من الشدّهٔ والإسـتحکام بحیث إنه إذا أراد أن یخلق مثل هذا العالم الذی نعیش فیه فیکفی أن یصـدر أمره بـذلک، وطبقـاً للأـقوال العلماء أن الشـمس أکبر من الأرض بملیون ومائتین ألف مرّهٔ ویحتوی علی مائـهٔ ملیارد نجم فی المنظومهٔ الشمسـیهٔ فی مجرتنا لوحدها وحجم کلٌّ واحد منهما بحجم الشمس بالمقدار المتوسط، فلو أراد اللَّه أن یخلق مثل هذا العالم لکفی أن یأمر ویقول: کن فیکون «الْعَظَمَـهُٔ للَّهِ الْواحِـدِ الْقَهّارِ». آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۱۲۰ وبعد أن تعرّفنا علی هـذین المعنیین للإرادهٔ الإلهیـهٔ نتساءل: هل أن المراد بالإرادهٔ الإلهیـهٔ فی آیهٔ التطهیر هی الإرادهٔ التشـریعیهٔ أو التکوینیهٔ؟ أی أن اللَّه تعالی هل أراد من أهـل البیت أن یعیشوا الطهـارهٔ والإبتعـاد عن الرجس والرذائل، أو أن اللَّه تعالی هو الـذی سـیقوم بتطهیر هؤلاء الأشـخاص من الرجس والرذیلـهٔ؟ الجواب: بلاـ شـکّ أن المراد هنـا الإـرادهٔ التکوینیـهٔ، لأـن الأـمر بالطهـارهٔ والتقوی لا یختص بأهل البیت بل هو دسـتور عام وتشـریع شامل لجمیع المسلمین، فی حین أننا قرأنا سابقاً أن مقتضی کلمهٔ «إنّما» هو الحصر بدائرهٔ معیّنهٔ، وهم أهل البیت علیهم السلام ولا یشـمل جمیع المسـلمین. والنتیجهٔ هی أن اللَّه تعالی بإرادته التکوینیهٔ أراد أن یسجّل فضیلهٔ وموهبهٔ اخری لأهل البیت علیهم السلام ویمنحهم «العصـمهٔ» فی واقعهم الروحی وملکـاتهم الأخلاقیـهٔ بحیث یبتعـدون عن کـلّ رجس ورذیلـهٔ ویعیشـون الطهـارهٔ من الـذنوب والخطایا. سؤال: هل أن العصـمهٔ فی هؤلاء المعصومین تتمتع بحالهٔ من الجبر؟ وبعبارهٔ اخری: هل أن هؤلاء العظماء یجتنبون المعاصـی والـذنوب من دون اختیار منهم؟ فلو کان کذلک فإنّ العصـمهٔ لا تعنی شـیئاً فی دائرهٔ الإمتیاز الأخلاقی والإیمانی. الجواب: إنّ الشـیء إذا کـان محالًا فی دائرهٔ أعمال الإنسان فهو علی قسـمین: ۱- المحال العقلی، ۲- المحـال العادی. «المحال العقلی» هو أن یکون وقوع الشـیء محالًا کأن تکون هـذه اللحظـهٔ من الزمان لیلًا ونهاراً فی آن واحـد، فهـذا عقلًا محال، أو تقرأ کتاباً عـدد صـفحاته ۴۰۰ و ۵۰۰ صفحـهٔ فی نفس الوقت، فهـذا من المحال عقلًا لأنه جمع بین النقیضـین والجمع بین النقیضـین محال عقلًا «۱». ولکن تارهٔ یکون وقوع

العمل ممكن عقلًا ولكنه عادة ممتنع، ومثاله أن كلّ إنسان عاقل لا يظهر فى الشارع وأمام الناس عارياً، فهذه المسألة ممكنة عقلًا ولكنها محالٌ عادةً، وعليه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۱ فالناس بالنسبة إلى هذه الحالة معصومين لأن عقلهم لا يبيح لهم ارتكاب مثل هذا العمل الذى قبحه واضح وجلى، إذن فجميع أفراد البشر يمكن أن تكون لهم عصمة جزئية بالنسبة إلى بعض الذنوب والأفعال. ولو تقدّمنا خطوة إلى الامام رأينا أن بعض الناس قد تكون لهم عصمة جزئية بالنسبة إلى بعض الأفعال التى هى محال عادةً، من قبيل أن من المحال أن يقوم رجل دين معروف فى اليوم الواحد والعشرين من شهر رمضان المبارك وفى محراب المسجد وهو جالس على سجادة الصلاة بشرب الخمر أمام الناس، فهذا من المحال، ولكنه ليس من المحال العقلى بل إن صدوره من مثل هذا الشخص محال عادةً لأن عقله لا يسمح له بارتكاب مثل هذا العمل فى هذا المكان وهذه الموقعيّة. وأمّا المعصومون عليهم السلام فيتمتعون بمقام العصمة فى مقابل جميع الذنوب والخطايا، أى أنه رغم كونهم من الناحية العقلية يمكن صدور الذنب والمعصية منهم، ولكنّه غير ممكن عادةً لأن عقلهم وتقواهم ومعرفتهم بالنسبة إلى جميع الذنوب والمعاصى كعلم الشخص العادى بالنسبة إلى الخروج عارياً إلى الشارع، فكما أن الإنسان العادى معصوم من مثل هذا الذنب، فالأئمّة المعصومون عليهم السلام أيضاً يتمتعون بمقام العصمة فى مقابل جميع الذنوب، فمن المحال عادةً أن يقوموا بارتكاب المعصية حتّى لو كان صدورها منهم ممكن عقلًا. إذن فالعصمة هنا ليست أمراً جبرياً وليست بحيث تكون خارجة عن اختيار المعصومين عليهم السلام وإلّا فلا قيمة لمثل هذه الأعمال. والنتيجة هى أن الإرادة الإلهية فى هذه الآية الشريفة هى إرادة تكوينية، والعصمة هنا لا تسلب الإختيار والإرادة من الأئمّة المعصومين عليهم السلام ولا تجبرهم على ترك المعصية والذنوب بل إنّ هؤلاء الرجال لا يتوجهون نحو الذنوب بكمال حريتهم واختيارهم. ۳- المراد من «الرِّجس» الرجس بمعنى القبيح، فتارةً يطلق على الامور المادية القبيحة، واخرى على الامور المعنوية القبيحة، وثالثة قد يطلق ويستعمل على كلا الأمرين كما ذكر ذلك الراغب فى مفرداته. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۲ ولكلٍّ مورد من هذه الموارد الثلاثة فى استعمال كلمة «الرجس» هناك شاهد من القرآن الكريم: ألف- الرجس المعنوى: وهو ما ورد فى الآية ۱۲۵ من سورة التوبة. «وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ». فإنّ عبارة «فى قلوبهم مرض» تطلق غالباً على المنافقين ومن كانوا يعيشون المرض القلبى حقيقةً فى نفاقهم، وإلّا فإنّ الإنسان السليم إمّا أن يقبل الأوامر الإلهية ويكون مسلماً أو يردّها ويكون كافراً، ولكن أن يقبلها فى الظاهر وفى عالم العمل والممارسة ولكنه لا يعتقد بها فى قلبه، فهذا هو النفاق وهو نوع من المرض القلبى. وعلى أيّة حال فإنّ كلمة «الرجس» فى هذه الآية الشريفة وردت بمعنى القبح المعنوى فإنّ النفاق نوع من القبح المعنوى لا القبح المادى الظاهرى. ب- الرجس الظاهرى والمادى: وهو ما ورد فى الآية ۱۴۵ من سورة الأنعام: «قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ...». ومن الواضح أن الرجس استخدم فى هذه الآية الشريفة بمعنى القبح المادى والظاهرى. ج- الرجس المعنوى والمادى: ونقرأ فى الآية ۹۰ من سورة المائدة أن «الرجس» استخدم بكلا المعنيين: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». وهنا نجد أن «الرجس» فى هذه الآية الشريفة استخدم فى كلا المعنيين المادى والمعنوى لأن الخمر له حكم النجاسة المادية، ولكن القمار والأزلام ليست كذلك بل هى من الرجس المعنوى. والنتيجة هى أن كلمة «الرجس» فى الآيات الشريفة لها معنى عام وتشمل جميع القبائح الظاهرية والمعنوية والأخلاقية والعقائدية والجسمية والروحية، وعليه فإنّ اللّه تعالى فى آية التطهير وبإرادته التكوينية قد طهّر أهل البيت عليهم السلام من جميع أنواع الرجس بمعناه الواسع. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۳ والدليل على أن الرجس استخدم فى هذه الآية الشريفة فى جميع أنواع الرجس المادى والمعنوى هو إطلاق هذه الكلمة، أى أن هذه الكلمة لم ترد بالآية الشريفة مقيّدة بقيد أو مشروطة بشرط بل وردت بصورة مطلقة وبدون قيد أو شرط، فلذلك تستوعب فى مضمونها جميع أنواع الرجس. «وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» هذه الجملة فى الواقع تأكيد وتفسير للجملة السابقة «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» فطبقاً لهذه الآية فإن «أهل البيت» طاهرون من الرجس وكلُّ عمل قبيح بالإرادة الإلهية التكوينية، فهم يتمتعون بمقام العصمة المطلقة.

من هم أهل البيت؟

من هم أهل البيت؟ يستفاد من الآية الشريفة محل البحث أن «أهل البيت» يتمتعون بخصوصية تميّزهم عن سائر المسلمين وهى مقام الطهارة والعصمة المطلقة، ولكن هنا يثار هذا السؤال وهو: من هم أهل البيت؟ وفى مقام الجواب عن هذا السؤال هناك نظريات مختلفة فى تفسير كلمة «أهل البيت» حيث نكتفى هنا بذكر أربعة منها: ١- ما ذكره بعض المفسّرين من أهل السنّة من أن المراد من أهل البيت هنا زوجات النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله «١» وطبقاً لهذا التفسير لا يكون الإمام علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من أهل البيت، وبعبارة اخرى أن أهل البيت هم الذين يرتبطون بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله برابطة سببية لا نسبية. ودليلهم على هذه النظرية هى أن آية التطهير وردت ضمن آيات قرآنية تتعلق بنساء النبىّ صلى الله عليه و آله فهناك آيات قبلها وبعدها تتحدّث عن نساء النبىّ صلى الله عليه و آله، وسياق الآية يقتضى أن هذه الآية الشريفة أيضاً متعلّقة بنساء النبىّ صلى الله عليه و آله. ولكن هذه النظرية باطلة لِدليلين: الأوّل: أنه كما تقدّم سابقاً من أن الآيات الخمسة قبل آية التطهير وكذلك صدر الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۴ ۳۲ من سورة الأحزاب التى وقعت آية التطهير فى ذيلها تتضمن ۲۵ ضمير وفعل وردت بصياغة المؤنث وفى الآية التى تليها «الآية ۳۳» هناك فعل وضمير يختص بالمؤنث أيضاً، ولكن ضمائر وأفعال آية التطهير كلّها تعود إلى المذكر أو تشمل المذكر والمؤنث وعليه لا تكون شاملة لبعض نساء النبى لوحدهنّ قطعاً. وعلى هذا الأساس ونظراً إلى أن القرآن هو كلام اللَّه تعالى وقد ورد بأبلغ بيان وأفصح عبارة، ولذلك لابدّ أن يكون هناك سبب فى تغيير الضمائر والأفعال حيث يكون المراد من أهل البيت هم أفراد غير نساء النبى بحيث إن اللَّه تعالى غيّر من سياق الآية وجعلها متميّزة عن بقية الآيات الشريفة. فطبقاً لهذا البيان يكون المراد من أهل البيت ليس نساء النبى قطعاً بل المقصود أشخاص آخرون لابدّ من البحث عنهم من خلال الأدلّة والبراهين. الثانى: هو أنه بالإلتفات إلى ما تقدّم من شرح وتفسير آية التطهير فإنّ أهل البيت يتمتعون بمقام العصمة المطلقة، ولا نجد من العلماء والمفسّرين من الشيعة والسنّة يقولون بعصمة نساء النبى، فإن نساء النبى رغم أنهنَّ نساء مؤمنات ولكن لا يمكن ادعاء العصمة لهنّ بل يمكن ادعاء أن البعض قد ارتكبن ذنوب كبيرة ثبتت بالأدلة القاطعة وكنموذج على ذلك: كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام الخليفة الوحيد الذى كان يتمتع من جهة بالتنصيب من قبل اللَّه تعالى، ومن جهة اخرى تمت خلافته بانتخاب المسلمين وكان هذا الانتخاب يختلف عن الإنتخابات السابقة للخلفاء، لأن الخليفة الأوّل لم ينتخبه سوى عدّة قليلة فى سقيفة بنى ساعدة ثمّ أجبروا الناس على بيعته لاحقاً، وأما الخليفة الثانى فتم نصبه من قبل الخليفة الأوّل، والخليفة الثالث تولّى سدة الخلافة بثلاث آراء من الشورى الذين نصبهم الخليفة السابق، ولكن الإمام على عليه السلام واجه فى مسألة بيعته للخلافة رغبة جميع الناس وازدحامهم وإصرارهم على البيعة رغم أن ذلك كان على خلاف ميله ورغبته حتّى أنه قال: «حتّى لقد وُطىء الحسنان». «١» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۵ ولكن بالرغم من ذلك فإننا نرى أن إحدى نساء النبىّ رفعت لواء المعارضة والمخالفة لهذا الخليفة ووصى النبى صلى الله عليه و آله بالحقّ ونقضت بيعته وتحركت على خلاف وصية النبى لنساءه بأن لا يخرجن من بيوتهن، فتحركت وخرجت من المدينة وركبت الجمل متوجهة إلى البصرة، وعندما وصلت إلى منطقة الحوأب وسمعت صوت الكلاب تذكرت قول النبى صلى الله عليه و آله لها وقالت: «إنا للَّه وإنا إليه راجعون! ردّونى ردّونى، هذا الماء الذى قال لى رسول اللَّه: لا تكونى التى تنبحك كلاب الحوأب». «١» عندما سمعت باسم هذه المنطقة وقيل لها أنها تدعى «الحوأب» عزمت على الرجوع ولكن الأشخاص المتصدين لتثوير الناس للحرب منعوها من ذلك بشتّى الحيل واستمرت فى مسيرها. فهل أن مثل هذه المرأة التى خالفت كلام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورفعت لواء المعارضة والحرب على خليفته بالحقّ وسببت فى سفك دماء أكثر من ۱۷ ألف نفر من المسلمين هل أنها معصومة وطاهرة من الرجس والمعصية؟ والملفت للنظر أن هذه المرأة هى قد اعترفت بخطأها بنفسها، وفى مقام الجواب على من سألها عن سبب إقامتها هذه الحرب الضروس وأنه من المسؤول عن كلّ هذه الدماء؟ أظهرت الأسف وقالت انه من التقدير الإلهى وتمنت أن هذه الواقعة لم تكن قد وقعت. وعلى

الرغم من أنها اعترفت بخطأها بحيث لا يمكن قبول أىّ توجيه وتبرير لذلك فإنّ بعض العلماء المتعصبين من أهل السنّة ذهبوا إلى أن ذلك نوع من الإجتهاد وأن عائشة لم تكن على خطأ فى ذلك. فهل يصحّ هذا الكلام والإدعاء؟ هل أن الإجتهاد فى مقابل خليفة النبىّ بالحقّ والذى تقول عنه عائشة «انه أفضل الناس وكلُّ من أبغضه كافر» اجتهاد صحيح؟ فإذا فتحنا هذه الذريعة وقبلنا بهذا التبرير فى هذا المورد فلا يبقى أىُّ مذنب على وجه الأرض، لأن كلّ خطأ له تبرير واجتهاد ويمكن للإنسان أن يحمل معصيته على سبيل الإجتهاد والإستنباط. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۶ والنتيجة هى أن حرب الجمل لم يكن لها أىُّ تبرير منطقى، ولا شكّ فى أنّ الأشخاص الذين تولّوا إشعال هذه الحرب من المذنبين والخاطئين ولا يمكن القول أنهم مطهرون من الرجس والذنب. ۲- النظرية الثانية أن المراد من أهل البيت هنا الرسول الأكرم والإمام علىّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام ونساء النبى «۱». وطبقاً لهذه النظرية فإنّ أحد الإشكالات الثلاثة المتقدمة على النظرية الاولى (الإشكال الأوّل) سينتهى، وبما أن مجموعة النساء والرجال فى مقام الخطاب فانه يستعمل فى حقّهم ضمير المذكّر وصحّ مجى هذه الآية بضمير المذكر، ولكن يبقى الإشكالين الآخرين (حيث تقدّم بيانهما فى الردّ على النظرية الاولى) وعليه فإنّ هذه النظرية غير قابلة للقبول. ۳- وذهب بعض آخر من المفسّرين إلى أن المراد من «أهل البيت» هم القاطنون فى مكّة المكرّمة، وقالوا إنّ المراد من «أهل البيت» هنا هو بيت اللّه الحرام والكعبة المعظمة، وعليه فإنّ «أهل البيت» فى هذه الآية هم أهالى مكّة. وبطلان هذه النظرية واضح أيضاً حيث يرد عليها الإشكالين السابقين فى النظرية الاولى، مضافاً إلى أن أهالى مكّة لا يمتازون عن أهالى المدينة حتّى يقال بأن اللّه تعالى أذهب عنهم الرجس وطهّرهم من الذنب. ۴- وهى نظرية جميع علماء الشيعة والتى لا يرد عليها أى من واحد من الإشكالات السابقة وهى أن المراد من «أهل البيت» فى هذه الآية هم أشخاص معينون من أهل البيت، أى الإمام علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وعلى رأسهم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. والشاهد على صحّة هذه النظرية انه لا يرد أىّ من الإشكالات الثلاثة المذكورة فى النظرية الاولى، مضافاً إلى الروايات الكثيرة الدالّة على صحّة هذه النظرية الرابعة حيث يقول العلّامة الطباطبائى فى «الميزان» بأن عدد هذه الروايات يبلغ أكثر من سبعين رواية «۲»، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۷ والملفت للنظر أن أكثر هذه الروايات مذكورة فى مصادر أهل السنّة المعتبرة ومنها: ۱- صحيح مسلم «۱» الذى هو من أهم الكتب الحديثية المعتبرة لديهم. ۲- صحيح الترمذى «۲» وهو أحد الصحاح الستة لدى أهل السنّة. ۳- المستدرك على الصحيحين «۳». ۴- السنن الكبرى للبيهقى «۴» هذا الكتاب رغم أنه يحوى غالباً الروايات الفقهية إلّاأنه يتضمن روايات غير فقهية. ۵- الدرّ المنثور للسيوطى. «۵» ۶- شواهد التنزيل «۶» للحاكم الحسكانى النيشابورى. ۷- مسند أحمد «۷». وعلى هذا الأساس فإن الروايات التى تفسر «أهل البيت» بالخمسة من آل الكساء هى من جهة أكثر عدداً، ومن جهة اخرى مذكورة فى الكتب المعتبرة جداً لدى أهل السنّة. الفخر الرازى يتحدّث عن هذه الروايات ومقدارها وميزان اعتبارها ويعترف بهذه الحقيقة ويقول فى ذيل تفسير آية المباهلة «الآية ۶۱ من آل عمران»: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث «۸». والنتيجة هى أن الروايات التى تفسر «أهل البيت» بهؤلاء الخمسة لا تقبل النقاش من حيث المقدار والإعتبار، ونكتفى هنا بذكر رواية واحدة من مجموع هذه الروايات، وهى رواية الكساء. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۸ هذه الرواية ذكرت فى المصادر الحديثية على نحوين: ۱- بالتفصيل ۲- باختصار. أما حديث الكساء المفصّل والذى يُقرأ عادةً لشفاء المرضى وحل المشكلات فليس بحديث متواتر، ولكن حديث الكساء المختصر متواتر فى مضمونه حيث تقول الرواية: «عن امّ سلمة (زوجة النبى) أن النبى كان فى بيتها وجاءته فاطمة بالطعام، فقال لها: ادع لى بعلك وابنيك. فجاؤوا فتناولوا الطعام ثمّ نشر صلى الله عليه و آله عليهم الكساء وقال: اللّهُمَّ إنَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتى وَخاصَّتى اذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، فَنَزَلَ جِبْرَئيلُ «إِنَّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً». فقلت: يا رسول اللّه وأنا معكم؟ فقال: إنكِ على خير» «۱». وفى حديث آخر نقلت هذه الواقعة عن عائشة أيضاً «۲». والنتيجة أن أهل البيت طبقاً لهذه الروايات هم الخمسة من أهل الكساء. سؤال: ما هى الحكمة من هذا العمل؟ ولماذا أقدم الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله على ضمّ أهل بيته تحت الكساء وأن يقول هذه العبارة الجميلة؟ ولماذا لم يأذن لُامّ سلمة وعائشة أن يدخلا تحت الكساء؟ الجواب: إنّ هدف

النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من كلّ هذه التشريفات والدقائق المحفوفة بهذه الواقعة هو أنه أراد أن يميّز أهل البيت ويعرّفهم للناس بحيث لا يبقى معه أىُّ غموض أو إبهام وحتّى لا يقول الأشخاص الذين يأتون بعد ذلك الزمان أن المراد من «أهل البيت» هم أشخاص آخرين. ولهذا السبب فإنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله لم يكتفِ بهذه التشريفات أيضاً بل طبقاً للرواية المذكورة فى مصادر مختلفة منها «شواهد التنزيل» نقلًا عن أنس بن مالك الخادم الخاص لرسول اللّه تقول: أن رسول اللّه بعد هذه الحادثة كان يأتى كلّ يوم قبل أذان الصبح وقبل إقامة صلاة الجماعة إلى بيت علىّ وفاطمة ويقف أمام البيت ويكرر هذه العبارة: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۲۹ «الصَّلاةَ يا أَهْلَ الْبَيْتِ. «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». وهذا العمل استمر إلى ستة أشهر بلا انقطاع «۱». هذه الرواية أعلاه نقلت أيضاً عن أبى سعيد الخدرى حيث يقول أيضاً: «إنّ النبى الأكرم كان يعمل هذا العمل لمدّة ثمانية أشهر» «۲». ولعلّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد استمر على هذا العمل أكثر من هذه المدّة ولكن أنس ابن مالك اقتصر على ستة أشهر وأبو سعيد الخدرى اقتصر على ثمانية أشهر «۳». وعليه فإنّ هدف النبى فى فصل أهل البيت عن نسائه وتعيين المصداق الكامل والواضح لكلمة «أهل البيت» هو بيان هذه الحقيقة للمسلمين بشكل واضح وجلى بحيث لا نجد مورداً آخر قام النبى صلى الله عليه و آله بتكرار عمل معيّن إلى هذه الدرجة، فهل أن كلّ هذه التأكيدات والتوصيات والتوضيحات لا تكفى للقول بأن أهل البيت هم هؤلاء الخمسة؟ وهل من الصحيح أن نفسّر هذه الآية بتفسيرات بعيدة عن أجواءها؟ لماذا يذهب البعض فى مثل هذه القضية الواضحة كالشمس فى رابعة النهار إلى مذاهب متفرقة ويوقعوا أنفسهم والآخرين فى مزالق الضلالة والإنحراف؟ الجواب على هذا السؤال واضح أيضاً، وهو أن التفسير بالرأى والمسبوقات الفكرية لهؤلاء تشكل حجاباً سميكاً على بصيرتهم فلا يدركوا معه ما يخالف نظراتهم المسبقة حتّى وإن كانت كوضح الصبح أو لا يريدون أن يقبلوا بالحقيقة. ربّنا! نسألك أن تأخذ بأيدينا فى طريق الهداية والحقّ دائماً ولا تحرمنا من أنوار هدايتك لحظة واحدة. إلهنا! جنبنا من الوقوع فى التفسير بالرأى وخاصة بالنسبة إلى القرآن الكريم والمعارف الدينية وإعنا بالبرهان القاطع على الوصول إلى الحقّ والحقيقة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۰

الجواب على الأسئلة

الجواب على الأسئلة قد تثار بعض الأسئلة وعلامات الإستفهام حول آية التطهير، حيث نستعرض هنا نماذج من هذه الأسئلة ونجيب عليها: السؤال الأوّل: إنّ أكثر ما تدلُّ عليه آية التطهير هو عصمة أهل البيت، أى الإمام على، وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وعلى رأسهم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ولكن الآية محل البحث لا ترتبط بمسألة الإمامة والولاية. وبعبارة اخرى: إننا نبحث هنا عن الآيات الشريفة التى تدلُّ على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام، والآية المذكورة لا تدلُّ على هذا الأمر بل غاية ما تدلُّ عليه هو عصمة أهل البيت، فلماذا نستدلّ بهذه الآية الشريفة على الإمامة؟ الجواب: لو ثبت مقام العصمة لأهل البيت عليهم السلام فإنّ الإمامة سوف تثبت لهم أيضاً، لأنه كما تقدّم أن الطاعة للإمام هى مطلقة وغير مقيّدة بقيد أو شرط، ولا يمكن تحقق هذا المعنى من الطاعة إلّالمن كان يتحلّى بمقام العصمة، أى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ومن جهة اخرى فلو تقرر أن يكون الإمام منتخباً من الناس أو منصوباً من قبل غيره فإنّه مع وجود المعصوم لا ينبغى التمسّك بإطاعة غير المعصوم. يقول تبارك وتعالى فى الآية ۱۲۴ من سورة البقرة فى حديثه عن النبى إبراهيم عليه السلام عندما نصبه اللّه تعالى إماماً للناس بعد أن نجح فى الإبتلاءات والإمتحانات الصعبة وبعد أن كان يتحلّى بمقام النبوّة وكان من اولى العزم وخليلًا للرحمن، فإنّ إبراهيم بعد أن نال مقام الإمامة طلب من اللّه تعالى استمرار الإمامة فى ذرّيته «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى» فأجابه اللّه تعالى: «لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ». ومن هنا نعلم أن العصمة جزءٌ لا يتجزأ من الإمامة، والأشخاص الذين تلوثوا بالظلم لا يصلحون لهذا المقام الشريف حتّى لو كانوا قد انحرفوا وتلوثوا بالمعصية فى أزمنة سابقة. السؤال الثانى: سلمنا أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ولكن هل يعنى هذا أن كلّ معصوم إمام؟ ألم تكن فاطمة الزهراء عليها السلام معصومة، إذن فلماذا لم تكن إماماً؟ الجواب: إنّ العصمة بالنسبة إلى النساء لا تستلزم مقام الإمامة، ولكنها بالنسبة إلى آيات الولاية فى

القرآن، ص: ۱۳۱ الرجال هناك ملازمة بينهما، ولهذا لا نجد معصوماً بين رجال العالم غير النبىّ والأئمة الطاهرين عليهم السلام. السؤال الثالث: تقدّم فى الأبحاث السابقة أنّ اختلاف الضمائر فى آية التطهير مع الضمائر قبلها وبعدها والتى تتحدّث فيها الآية الشريفة عن نساء النبى صلى الله عليه و آله هو السبب فى أن يكون المخاطب فى آية التطهير غير نساء النبى، فى حين أننا نجد مثيلًا لهذا الإختلاف فى الضمائر فى قصة البشارة لإبراهيم عليه السلام بالولد فى شيخوخته، لأنّ المخاطب فى الآية الشريفة هو زوجة النبىّ إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى: «قالُوا أ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». «۱» فطبقاً لهذه الآية أنّ المخاطب بضمير «عليكم» هو زوجة النبىّ إبراهيم. الجواب: إنّ المخاطب فى جملة «أتعجبين» هو زوجة إبراهيم فقط، ولهذا ورد الفعل بصورة المفرد للمخاطب المؤنث، ولكنّ المخاطب بكلمة «عليكم» هو جميع أفراد اسرة النبىّ إبراهيم من الزوج والزوجة، فى حين أن المخاطب فى آية التطهير وطبقاً للأدلّة السابقة لا يمكن أن يكون نساء النبى لا بالإستقلال ولا بالإنضمام إلى الخمسة أصحاب الكساء. السؤال الرابع: إذا كان المخاطب فى آية التطهير هو الخمسة من أصحاب الكساء فقط، إذن فلماذا وردت آية التطهير ضمن الآية التى تتحدّث عن نساء النبى؟ الجواب: إنّ آيات القرآن الكريم كما ذكر العلّامة الطباطبائى «۲» وآخرون لم تنزل فى وقت واحد، بل كانت الجمل المذكورة تنزل أحياناً فى آية واحدة على فترات متباعدة، حيث إنّ آيات القرآن نزلت بحسب الحاجة والحوادث الواقعة، وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن تكون الآية التى تتحدّث عن نساء النبى صلى الله عليه و آله قد نزلت فى فترة معيّنة ثمّ نزلت بعد ذلك آية التطهير وبعد طلب النبىّ الكريم المبنى على طهارة أهل البيت، وبعد ذلك نزلت آيات اخرى تتعلق بظروف خاصّة وحوادث معيّنة اخرى، وعليه فلا يلزم من ذلك أن يكون هناك ارتباط وثيق بين آيات القرآن الكريم أجمع. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۲ النتيجة: إن آية التطهير تدلُّ من جهة على عصمة الخمسة من أصحاب الكساء عليهم السلام، وتدلُّ أيضاً على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام من جهة اخرى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۳

آية المودة

اشارة

آية المودة ۷ [سورة الشورى (۴۲): آية ۲۳] وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (۲۴) «سورة الشورى/ الآية ۲۳»

أبعاد البحث

أبعاد البحث عندما نستعرض آراء ونظرات علماء أهل السنّة ومفسّريهم حول هذه الآية نجد أنهم قد تورطوا فى ظاهرة التفسير بالرأى نتيجة المسبوقات الفكرية والذهنية لديهم، ولهذا نرى أن تفسيرهم لهذه الآية الشريفة عجيب وغريب جدّاً حيث سنتطرق إليه لاحقاً، وأما علماء الشيعة فنجد لديهم تفسيراً واضحاً وجليّاً لهذه الآية الشريفة من خلال الإستيحاء من تعاليم أهل البيت عليهم السلام.

نظرة إلى الآيات السابقة

نظرة إلى الآيات السابقة ونرى من اللازم لأجل توضيح المطلب فى تفسير آية المودّة أن يكون لدينا بحث إجمالى حول الآية السابقة، أى الآية ۲۲ من سورة الشورى، وكذلك صدر آية المودّة الذى لم نذكره آنفاً. تقول الآية: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ». بعد أن ذكر اللَّه تعالى فى الآيات السابقة عاقبة الظالمين تتطرق هذه الآية لذكر مستقبل آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۴ المسلمين الذين يتحركون من موقع الإيمان والعمل الصالح ولا يقنعون بمجرد الشهادة بالتوحيد ونبوّة النبى الأكرم بل يتحركون على مستوى

الممارسـة والعمل للإتيان بالخيرات والأعمال الصالحة، وفى هذه الآية الشـريفة وضـمن بيان العاقبة الحسـنة للمؤمنين هؤلاء تقرر ثلاثة أنواع مهمـة من الثواب الاخروى المعدّ لهم: ۱- «فِى رَوْضـاتِ الْجَنّاتِ» فأوّل ثواب يحصل عليه هؤلاء المؤمنين فى الآخرة هو دخولهم إلى الجنّـة. سؤال: أين تقع «روضات الجنّات»؟ الجواب: عنـدما نسـتقرى الآيات القرآنيـة فإننا لا نجد هذه العبارة سوى فى آية ۲۲ من سورة الشورى، والعرب يطلقون على الحـدائق الطريـة والبسـاتين النضـرة كلمـة «روضـة» وجمعها «روضات». وبالطبع أحياناً تطلق هـذه الكلمـة على محل اجتماع الماء، ولكن المراد بكلمـة «روضة» فى هذه الآية هو المعنى الأوّل، إذن فروضات الجنّات تعنى بساتين الجنّة اليانعـة. سؤال: نظراً إلى أن جميع أمـاكن الجنّـة ومناطقهـا على شـكل بسـاتين وحـدائق نضـرة ويانعـة، فمـا معنى عبـارة «فى روضـات الجنّات»؟ الجواب: يسـتفاد من العبارة أعلاه أنه مضافاً إلى دخولهم الجنّة فإنّ بساتين خاصّة تكون من نصيب هؤلاء المؤمنين. والنتيجة هى أن أوّل ثواب وامتيـاز للمؤمنين الـذين يعملون الصالحات هو «روضات الجنّات». ۲- «لَهُمْ ما يَشاءُونَ» فإنّ المؤمنين الـذين يعملون الصالحات مضافاً إلى الإمتياز الأوّل وسـكنهم فى روضات الجنّات فإنّهم ينالون هناك كلّ ما يشاءون، وفى الحقيقـة أننا لا نجد مسألة يمكن أن تتصور أعلى من هـذا المعنى بالنسـبة إلى النعم المادية، بحيث إن الإنسان ينال كلّ ما يريده ويطلبه. ۳- «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ويشمل هـذا النِعم الماديـة والمعنويـة فى الجنّـة، فمن حيث النِعم الماديـة فقـد تقـدّم أن المؤمنين الـذين عملوا الصالحات يعيشون فى أحسـن الأحوال، ومن الجهـة المعنويـة آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۳۵ كـذلك أيضـاً لأنهم يعيشون مقام القرب الإلهى «عنـد ربّهم» وهو المقام الـذى ذكر للشـهداء فى سورة آل عمران الآية ۱۶۹، وأما المراد بعبارة «عنـد ربّهم»، وما هى البركات المترتبـة على هذا المقام؟ فغير معلوم لنـا. «ذلِـكَ هُوَ الْفَضـلُ الْكَبيرُ» فبمـا أن هؤلاء المؤمنين يعيشون فى أفضل الحالات الماديـة والمعنويـة فى روضات الجنّات فلـذلك عبّر اللَّه تعالى عن هـذا المقام بأنه «فضل كبير»، وعنـدما يطلق اللَّه تعالى هـذه الكلمـة على نعمـة وموهبـة من المواهب الإلهية يتبيّن من ذلـك عظمـة هـذه النعمـة والموهبـة بحيث تفوق حـدّ التصور. والنتيجـة: أن معيـار العبوديـة للَّه تعالى أمران: الإيمان والعمل الصالـح، وعليه فـإنّ الامور الاخرى من قبيل العلم والثروة والقـدرة والإعتبار الإجتماعى وأمثال ذلك لا تكون ذات قيمـة إلّاإذا قيسـت بهـذا المعيار وتحرّك الإنسان معها فى خطّ الإيمان والعمل الصالـح. «ذلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» ففى هـذه الآيـة الشـريفة تكرر القول بـأن الامور المـذكورة سابقاً «روضات الجنّات»، «لهم ما يشاءُون» و «عنـد ربّهم» هى مواهب يبشّـر اللَّه تعالى بها المؤمنين من ذوى الأعمال الصالحـة لكى تساهم هـذه البشارة فى رفع ثقل الطاعـة وتحمل المسؤولية وتمنح الإنسان قوّة فى خط التصدى للأهواء والشهوات. ومع الإلتفات إلى ما ذكرنا أعلاه حول الآية الشريفة، نبدأ بشرح وتفسير آية المودّة:

الشرح والتفسير: مودّة أهل البيت، أجر الرسالة

الشـرح والتفسـير: مودّة أهل البيت، أجر الرسالة «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً» لاشكّ أن نبى الإسلام صلى الله عليه و آله تحمّل فى طريق إبلاـغ الرسالـة ونشـر الـدعوة السـماوية، أتعابـاً كـثيرة ومشـقّات باهظـة ولكنـه بـالرغم من ذلـك لم يطلب أجراً مقابـل هـذه الأتعـاب والمشـقّات، وعنـدما جاءه بعض المسـلمين وقالوا له: إذا كنت تشـكو من فاقـة ونقص مالى فإننا نضع بين يـديك أموالنا بـدون قيد أو شرط، فنزلت الآيـة أعلاه «۱» آيـات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۳۶ وأكـدّت على أن النبى لاـ يريـد أجراً فى مقابل أداء الرسالـة وتبليغ الـدعوة. «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى» وهنـا يسـتثنى القرآن الكريم من الأجر شـيئاً واحـداً، وهو أن نبى الإسـلام لا يطلب من المسـلمين شـيئاً بعنوان أجر الرسالـة إلّـا «المودّة» لأقربـائه وأرحـامه. والنتيجـة هى أن نبى الإسـلام لم يطلب شـيئاً بعنوان أجر فى مقابل أتعابه وزحماته للإسلام والمسلمين سوى أمراً واحداً وهو «مودّة أقربائه وأرحامه».

من هم القربى؟

من هم القربى؟ إنّ جميع الأبحاث التى تـدور حول هـذه الآيـة الشـريفة تتركز على كلمة «القربى» وتفسـيرها، فمن هم القربى فى هذه

الآيـة والذين طلب رسول اللّه من المسلمين مودّتهم ومحبّتهم بعنوان أجر الرسالة؟ بعض العلماء والمفسّرين مرّوا على هذه الآية مرور الكرام ولم يتعبوا أنفسهم فى تدبّرها والتأمل فيها، ولعلّ ذلك لأنهم لم يجدوا فيها إنسجاماً مع تصوراتهم القبلية ومسبوقاتهم الفكرية، فى حين أن الآية الشريفة عميقة المغزى، ولأجل أن ندرك عظمة هذه الآية بما فيها من معانٍ عميقة علينا أن نستوحى ونستعين لهذا الغرض من الآيات القرآنية الاخرى التى تتحدّث فى هذه المسألة على لسان سائر الأنبياء عليهم السلام. لو أمعنّا النظر فى سورة الشعراء لرأينا أن مسألة أجر الرسالة قد طرحت قبل نبى الإسلام على لسان خمسة من الأنبياء العظام وهم: نوح، هود، صالح، لوط، وشعيب عليهم السلام، ولكن هؤلاء الأنبياء لم يذكروا فى استغنائهم عن الأجر مسألة المودّة فى القربى، حيث ذكروا جميعاً هذه المسألة بقولهم: «وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ» «۱». وهنا يثار هذا التساءل: كيف لم يطلب هؤلاء الأنبياء أجراً فى مقابل أداء الرسالة ولكن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۷ رسول الإسلام طلب الأجر عليها بعنوان «المودّة فى القربى»؟ هل أنّ مقام هؤلاء الأنبياء أعلى من مقام نبى الإسلام؟ بلا شكّ أن محمّد المصطفى أفضل من جميع الأنبياء، ولهذا ورد فى القرآن الكريم أن كلَّ نبىٍّ من الأنبياء يأتى يوم القيامة شاهداً على امّته ولكنّ نبى الإسلام يأتى شاهداً على جميع هؤلاء الشهداء «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» «۱». والحقيقة أن هذه المسألة تزداد غموضاً وعمقاً، فكيف يطلب نبى الإسلام الذى هو أفضل الأنبياء الإلهيين أجراً على عمله فى حين أن جميع الأنبياء لم يطلبوا أجراً من أقوامهم؟ الحقيقة أن الآية الشريفة تحتاج إلى مزيد من البحث والدقّة والتدبّر، رغم أن البعض قد تهاون فى ذلك ومرّ عليها مرور الكرام ليمنع من يقظة الضمير ولئلّا يبتلى بعذاب الوجدان. سؤال: ما هو غرض النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من طلب هذا الأجر؟ هل أنه يهدف من طلبه هذا إرضاء مصالحه الشخصية، أو أنه يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق غايات مقدسة اخرى يعود نفعها على المسلمين أنفسهم؟ الجواب: وفى مقام الجواب على هذا السؤال نرى من الضرورى أن نضع آيتين من القرآن الكريم إلى جانب آية المودّة لكى تفسّر الآيات بعضها بعضاً: ۱- نقرأ فى الآية الشريفة ۴۷ من سورة سبأ: «قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ». هذه الآية الشريفة توضح بعض الإبهام فى آية المودّة حيث يتّضح أن نبى الإسلام صلى الله عليه و آله لم يطلب أجراً من قومه كما هو حال سائر الأنبياء، إلّاأن مسألة «المودّة فى القربى» فى الحقيقة تعود للناس أنفسهم. ۲- ونقرأ فى الآية ۵۷ من سورة الفرقان والتى هى فى الحقيقة مفسّرة للآية ۴۷ من سورة سبأ حيث تبيّن الفائدة والنفع من «المودّة فى القربى»: «قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۳۸ فالآية السابقة بيّنت على أن أجر الرسالة لم يكن بدافع المصلحة الشخصية للنبى صلى الله عليه و آله، بل يعود النفع فيها للناس، وهذه الآية الشريفة تبيّن أن مسألة أجر الرسالة يستوحى مقوّماته من استمرار الأهداف الإلهية من الرسالة، وفى الحقيقة أن النفع يعود إلى أصل الدين. النتيجة هى أن مسألة «أجر الرسالة» لم يكن يقوم على أساس النفع الشخصى لنبى الإسلام بل كان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله كسائر الأنبياء فى عدم طلبه الأجر الشخصى من الناس، ولكنّ أجر الرسالة المذكور فى آية المودّة هو فى الحقيقة باعث على استمرار الرسالة ودوام الدين، ومع الإلتفات إلى هذه الحقيقة وهى أن «مودّة القربى» لها هذا الإعتبار الكبير بحيث تمثّل عاملًا مهماً لاستمرار الرسالة، فهل يصحّ التعامل مع هذه الآية الشريفة من موقع عدم الإهتمام بالتدبّر فيها حذراً من انقلاب الآراء والأفكار المسبقة؟

تفسير «القربى» فى نظر الشيعة

تفسير «القربى» فى نظر الشيعة يتفق علماء الشيعة على أن المراد من «القربى» فى هذه الآية الشريفة هم أهل بيت النبوّة عليهم السلام، ولاشكّ أن «الولاية» هى استمرار للرسالة وعدل النبوّة، ولهذا فإنّ هذا الأجر «مودّة القربى» ينسجم مع الرسالة، مضافاً إلى أن الولاية تقود الناس فى خطّ الإيمان والتقوى والإنفتاح على اللّه تعالى. إذا فسّرنا آية المودّة وفقاً لما ذكره علماء الشيعة ومفسّروهم فسوف يتّضح جيداً المعنى الكامل فى آية المودّة مضافاً إلى الآيات الاخرى المتعلقة بها، وسوف يتبين أن الإرتباط فيما بينها هو ارتباط

منطقی وصحیح، والملفت للنظر أن دعاء الندبة الذی هو فی الحقیقة دورة کاملة من المعارف الإلهیة المشحونة بالولایة یذکر فی مضامینه الآیات الثلاث المذکورة آنفاً، ویستنتج منها نتیجة مهمة ویتّضح أن الأئمّة هم الطرق والوسائل إلی اللّه تعالی والذین یقودون الناس إلی رحمة اللّه ورضوانه. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۳۹

نظرات أهل السنّة فی معنی «القربی»

نظرات أهل السنّة فی معنی «القربی» وقد ذکر أهل السنّة تفاسیر مختلفة لهذه المفردة القرآنیة لا تنسجم کلّها مع الآیة الشریفة، وإلیک بعض النماذج منها: ۱- قیل إن المراد من «القربی» هو محبة أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله ومودتهم ولکن من دون الولایة والإمامة والخلافة، أی الإکتفاء بالإرتباط العاطفی والعلاقة الظاهریة فقط بأهل بیت النبی صلی الله علیه و آله. ولکن هل یمثل هذا المعنی والمفهوم من المودّة عدلًا للرسالة؟ هل أن المحبة العاطفیة فقط وبدون الولایة والإمامة یمکنها أن تکون أجراً للرسالة وبمثابة العدل لها؟ مضافاً إلی ذلک کیف یطلب نبی الإسلام صلی الله علیه و آله أجر الرسالة بالمعنی الذی ذکروه لها، فی حین أن جمیع الأنبیاء السابقین لم یطلبوا من أقوامهم مثل هذا الأجر بل کانوا یطلبون أجرهم من اللّه تعالی؟ وعلیه فإنّ مثل هذا التفسیر لا یمکن قبوله. ۲- وذهب آخرون إلی أن المراد من «القربی» هو الأعمال الصالحة التی تقرب الإنسان من اللّه تعالی، وعلیه فإنّ «المودّة فی القربی» تعنی العشق والشغف بالأعمال الحسنة والرغبة فی الصلاة، الصوم، الحجّ، الجهاد، صلة الرحم، احترام الکبار وأمثال ذلک، فهذه الأعمال الصالحة والسلوکیات الحسنة هی التی تمثل أجر الرسالة. ۳- وذهب البعض إلی أن کلمة «فی» الواردة فی هذه العبارة بمعنی «اللام»، وفی هذه الصورة یکون معنی الآیة هو «أن أجر رسالتی وما عملته فی تبلیغ الرسالة الإلهیة لکم هو أن تحبوننی لأننی من أرحامکم وأقرباءکم» ثمّ ذکروا شجرة النسب للنبی صلی الله علیه و آله وتفاصیل ارتباطه النسبی مع قریش لبیان مقصودهم بحیث تبیّن أن جمیع القبائل العربیة یرتبطون بشکل أو بآخر مع النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فی النسب. ولکن هذا التفسیر واضح البطلان لأنه: أوّلًا: إن استعمال «فی» بمعنی «اللام» قلیل جداً ونادر فی لغة العرب ولیس هناک دلیل وشاهد علی أن المراد من العبارة المذکورة هو هذا المعنی. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۴۰ ثانیاً: إن محبة النبی صلی الله علیه و آله لوحدها لا تمثل عدل النبوّة والرسالة ویجب أن یکون أجر الرسالة متناسبة مع الرسالة نفسها. فهل أن قوله «علیکم أن تحبوننی ولا تؤذوننی لأننی من أقربائکم» یمثل عدل الرسالة؟ ألا یکون مثل هذا التفسیر باعثاً علی هبوط المعنی السامی للآیة الشریفة؟ ۴- والتفسیر الآخر الذی هو أوهن من التفسیر السابق هو أن یقال: إنّ المراد من الآیة الشریفة هو «المودّة فی قرباکم وأن أجر رسالة النبی هو أن تحبّوا أقرباءکم وأرحامکم». الإنسان یجد فی نفسه رغبة شدیدة فی عدم تصدیق وجود مثل هذا التفسیر لدی هؤلاء العلماء، ولکنّ مع الأسف نجد البعض یصرّحون بذلک. إنّ بطلان هذا الرأی هو أوضح من أن یحتاج إلی کلام، فهل أنّ مودّة الأقرباء للإنسان المسلم تمثل عدل للرسالة؟ وهل أن مودّة الأقرباء تعتبر استمراراً للنبوّة؟ أجل، عندما نتعامل مع الآیات الشریفة بسذاجة وسطحیة ونحکّم المسبوقات الفکریة علیها فسوف نبتلی بمثل هذه الأخطاء والتفاسیر التعسفیة. فهل أن هذا التفسیر والتفسیر السابق یتناسب وینسجم مع الآیة الشریفة، أو أن کلّ إنسان له اطلاع قلیل علی لغة العرب وبلاغتهم سوف یلتفت إلی عدم انسجام مثل هذه التفاسیر مع الآیة الشریفة؟ ولهذا السبب فإنّ هؤلاء العلماء أنفسهم اعترفوا أن هذه التفاسیر مجازیة وغیر حقیقیة، أو أنها من قبیل الإستثناء المنقطع وهو أیضاً بدوره نوع من المجاز. لماذا نفسّر الآیة القرآنیة بشکل یوقعنا فی هوة المعانی المجازیة وغیر الحقیقیة؟ لماذا لا نفسر المودّة فی القربی بمعنی الولایة والإمامة والذی ینسجم تماماً مع الآیة محل البحث وسائر الآیات المتعلّقة بها؟

اعتراف مفروض

اعتراف مفروض ومن عجائب الأیّام أن الکثیر من مفسّری أهل السنّة رووا حدیثاً مفصّلًا عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فی ذیل

هـذه الآيـة الشـريفة حول محبّـة أهـل البيت ومودتهم، بحيث إنّ الإنسان آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۴۱ عنـدما يقرأ هذا الحديث الطويل والجـذّاب ويتفكر قليلًا فى مضامينه الساميـة ومعانيه الراقية يمتلكه العجب والحيرة من تلكم التفاسـير الجوفاء والبعيدة عن روح الآيـة الشـريفة وأجواءها. وهنا ننقل ما أورده الفخر الرازى فى تفسيره من الحـديث النبوى حيث يقول: «نَقَلَ صاحِبُ الكَشّافِ «۱» عَنِ النَّبِيِّ الأكرم صلى الله عليه و آله قوله (ثمّ يورد اثنى عشر فقرة جذّابة وعميقة المضامين فى هذا الحديث الشريف). ۱- مَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ شَـهيداً. فهل أن مثل هـذه المحبّـة هى محبّـة عاديـة وطبيعيـة وفارغـة من الولاية والإمامة؟ إذا كانت كذلك فهل يعقـل أن يكون هـذا المحبّ فى صـفوف الشـهداء؟ أو أن المراد من هـذه المحبّـة هى الحالـة التى تـدفع الإنسـان فى مـدارج الكمال والمعنويات إلى أن يصل إلى مرتبـة الشـهداء، وهى المحبّة المشـروطة بالولاية والإمامة؟ ۲- أَلا ـ وَمَنْ مـاتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ مَغْفُوراً لَهُ. ما هى هـذه المحبّـة التى تعمل على تطهير الإنسان من الـذنوب والآثام بحيث أنه عنـدما يحين أجله فإنه سيموت طاهراً من كلِّ ذنب وسـتغفر له جميع الـذنوب والمعاصـى؟ هل أن مثل هذه المحبّة والمودّة هى محبّة اعتيادية؟ ۳- أَلا ـ وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّـدٍ ماتَ تائِباً. أى أن هـذه المحبّة تقع بديلًا للتوبة، فلو أن الإنسان لم يوفق للتوبة من الذنوب فى هذه الدنيا وكان محبّاً لأهل البيت فإنه يموت كما يموت التائب من الـذنوب، فما هى حقيقـة هـذه المحبّة؟ ۴- أَلا ـ وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ماتَ مُؤْمِناً مُسْتَكْمِلَ الْإيمانِ فهل يعقل أن يرتبط الإنسان بأهل البيت عليهم السـلام برابطة اعتيادية وطبيعية ثمّ يفضـى ذلك إلى كمال الإيمان؟ من المسلّم وجود مضـمون عميق فى هـذه الكلمات بحيث يؤدى بالإنسان إلى الترقّى آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۴۲ والسير فى خطّ الإيمان والتقوى ليصل بالتالى إلى أعلى مرتبة منه. ۵- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمدٍ بَشَّرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مُنْكِرٌ وَنَكيرٌ ونتساءل: ما هـذه المحبّة والمودّة التى تسبب فى أن ينال الإنسان البشارة بالجنّة عند موته؟ ۶- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّـدٍ يُزِفُّ إِلَى الْجَنَّةِ كَما تُزِفُّ الْعَرُوسُ إِلى بَيْتِ زَوْجِها أى سوف يقاد إلى الجنّة باحترام فائق وتقدير كبير، أجل فإنّ إكسير محبّة آل محمّد عليهم السلام له مثل هذه الآثار والمعطيات العجيبة. ۷- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فُتِحَ لَهُ فِى قَبْرِهِ بابانِ إِلَى الْجَنَّةِ سؤال: لماذا يفتح له بابان إلى الجنّة؟ الجواب: لعلّ إحـداهما ببركة النبوّة والاخرى ببركة الولاية والإمامة. ۸- أَلا ـ وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّـدٍ جَعَلَ اللَّهُ قَبْرَهُ مَزارَ مَلائِكَةِ الرَّحْمَةِ هل يعقل أن تكون المحبّة العادية سـبباً فى تحويل قبر المؤمن إلى مزار للملائكة؟ ۹- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى حُبِّ آلِ مُحَمّـدٍ مات عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَماعَـةِ فى هـذه العبارات المـذكورة أعلاه، نرى بوضوح آثار المحبّـة والمودّة لأهل البيت، ثمّ إن الحديث الشـريف يذكر ثلاث عبارات اخرى تتحدّث عن العاقبة السيئة لبغض وعداوة أهل البيت عليهم السلام. ۱۰- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جاءَ يَوْمَ الْقِيامَـةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَـةِ اللَّهِ إنّ من يعيش البغض لآل محمّـد صلى الله عليه و آله من شأنه أن يهوى إلى أسـفل درجـات الشـقاء بحيث يكون آيس من رحمـة اللَّه. ۱۱- أَلا ـ وَمَنْ مـاتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مـاتَ كافِراً هـذا الأثر السيىء لبغض آل محمّد هو أسوأ مما قبله. ۱۲- أَلا وَمَنْ ماتَ عَلى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَشُمَّ رائِحَةَ الْجَنَّةِ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۳ والجـدير بالذكر أن رائحة الجنّة كما ورد فى بعض الروايات تصل إلى مسافة ألف عام «۱». وطبقاً لهذه الرواية الشريفة فإنّ معنى العبـارة أعلاه أن الشـخص الـذى يعيش حالـة البغض لآل محمّـد ليس فقط أنه يكون محروماً من دخول الجنّة، بل سوف يبتعـد عنها بمسافة ۵۰۰ عـام بحيث لا يتمكن من شم رائحتها، والخلاصـة أن مثل هـذا الشـخص بعيـد عن الجنّة جـداً. كيف يسـتطيع الإنسان أن يصدّق بأن عالماً كبيراً مثل الفخر الرازى يروى هذه الرواية الجميلة والعميقة المضمون والمحتوى وبكلّ هذه المعطيات المهمة والآثار الجليلة ثمّ يفسّر المحبّة والمودّة ومن دون التدبّر فى هذه المضامين بالمحبّة الظاهرية والعاطفة الطبيعية؟ والأعجب من ذلك أنه بعد أن نقل الروايـة المـذكورة آنفاً شـرع بتوضيـح المراد من آل محمّـد عليهم السـلام الـذين هم محور هذه الرواية فقال: «هذا هو الذى رواه صاحب الكشاف وأنا أقول: آل محمّـد صـلّى اللَّه عليه وسـلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآـل، ولاـ شـك أن فاطمـة وعليـاً والحسن والحسـين كان التعلق بينهم وبين رسول اللَّه صـلّى اللَّه عليه وسـلم أشـدّ التعلقات وهـذا كالمعلوم بالنقل المتواتر» «۲». من الملفت للنظر هو أن هذه العبارات ذكرها عالم سنّى متعصب، والمفهوم من هذه الكلمات هو أقرب

ما يكون إلى ما يقوله الشيعة بحيث إننى عندما كنت أقرأ هذه الكلمات شككت فى لحظة أن هذا الكتاب الذى أقرأه هل هو من تفاسير السنّة أو الشيعة؟ فلعلنى أقرأ تفسيراً لأحد علماء الشيعة، ولكن عندما نظرت إلى الغلاف انتبهت إلى أننى أقرأ تفسير الفخر الرازى. سؤال: نظراً لما ورد فى متن آية المودّة وكذلك ما ورد فى الآيات الاخرى المرتبطة بها آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۴ وبالتأمل والدقّة فى الرواية الشريفة المذكورة آنفاً، هل يعقل أن تكون المحبّة والمودّة التى هى محور البحث فى الآية الكريمة والرواية الشريفة يراد منها المحبّة العادية بدون الولاية والإمامة؟ ألا يمكن أن نقطع ونتيقن بأن المراد من المودّة هنا هو الولاية والإمامة التى هى استمرار للرسالة وعدل النبوّة؟ لولم يكن كذلك فما هو التفسير المناسب الذى يمكن بواسطته تفسير الآيات والروايات المذكورة فى محل البحث؟ علينا أن نشكر اللّه تعالى على ما وفقنا لمحبّة وولاية أهل البيت عليهم السلام وكذلك نشكر والدينا اللذين غرسا فى قلوبنا ولاية آل محمّد عليهم السلام.

تفسير المودّة فى كلمات الإمام الصادق عليه السلام

تفسير المودّة فى كلمات الإمام الصادق عليه السلام ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ما أَحَبَّ اللَّهَ مَنْ عَصاهُ» «۱». وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان الذى يتحرّك فى سلوكه الفردى والإجتماعى من موقع المخالفة للإمام على عليه السلام فإنه لا يحبّه قطعاً، ولهذا فإنّ المحبّة الحقيقية هى التى تقود الإنسان فى خط الطاعة والعبودية للّه تعالى، ولهذا السبب نقول أن المحبّة والمودّة بدون الإتباع العملى والطاعة والعبودية هى أساساً ليست بمحبّة حقيقية ومودّة واقعية. وهنا نلفت النظر إلى هذه القصة: كان «حاجب» أحد الشعراء الماهرين ويتمتع بقريحة جيدة وصفاء قلب، وأحياناً كان يقوم بنضم بعض الأبيات الشعرية على مذاق العوام، وفى أحد الأيّام أنشد قصيدة فى وصف التعلّق بأميرالمؤمنين على عليه السلام وقال: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۵ يا حاجب إذا كانت المعاملة فى الحشر مع على فأذنب ما شئت فإنى ضامن أى أن حبّ علىّ عليه السلام كافل للنجاة يوم القيامة حتّى لو غرق الإنسان فى بحر الذنوب، وبهذا تكون المحبّة للإمام علىّ عليه السلام كما وردت فى الشعر أعلاه بمثابة ضوء أخضر للمذنبين ليرتكبوا ما يشاؤون من الذنوب والمعاصى. وفى نفس الليلة رأى هذا الشاعر الإمام على عليه السلام فى عالم الرؤيا فقال له الإمام عليه السلام: - يا حاجب ما هذا الشعر الذى قلته؟ فقال حاجب: وكيف أقول؟ فأصلح له الإمام هذا البيت من الشعر وقال: يا حاجب إذا كانت المعاملة فى المحشر مع علىّ فأخجل من على وقلل من الذنب وعليه فإنّ المحبّة والمودّة هنا بمعنى التحرّك فى خطّ الطاعة والرسالة والتقوى والإبتعاد عن الذنوب.

تفسير آية المودّة من خلال الروايات

تفسير آية المودّة من خلال الروايات لقد وردت فى شرح وتفسير هذه الآية الشريفة روايات مختلفة من طرق الشيعة والسنّة، وفيما يلى نماذج من هذه الروايات: ۱- نقل «أحمد» من كبار علماء أهل السنّة فى كتابه «فضائل الصحابة» عن سعيد ابن جبير عن عامر هذه الرواية: لَمّا نَزَلَتْ «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى» قالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ؟ مَنْ قَرابَتُكَ؟ مَنْ هؤُلاءُ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنا مَوَدَّتُهُمْ؟ قالَ: عَلِيٌّ وَفاطِمَةُ وَ ابْناهُما، وقالَها ثَلاثاً. «۱» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۶ ونستوحى من هذه الرواية الشريفة عدّة امور: الأوّل: إنّ الرواية أعلاه تصرّح بأن المراد من القربى فى هذه الآية هم أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله لا النبى نفسه ولا أقرباء المسلمين ولا مطلق الأعمال الصالحة والخيّرة. مضافاً إلى أن كلمة القربى هنا لا تستوعب جميع أقرباء النبى صلى الله عليه و آله، بل تتحدّد بأشخاص معدودين ذُكرت أسماءهم فى هذه الرواية. الثانى: ونستوحى أيضاً أن هذا السؤال والإستفهام عن القربى كان يدور فى أذهان الصحابة أيضاً ولذلك لم يتوجّهوا صوب الإحتمالات الواهية التى ذكرها بعض علماء أهل السنّة بل فهموا بصورة مباشرة من المودّة هنا هى مودّة أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله، وكذلك أدركوا أن الآية لا تقصد بالقربى جميع أقرباء النبى صلى الله

عليه و آله ولـذلک طلبوا من النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله أن يحـدّد لهم هؤلاء الـذين وجبت مودّتهم. الثالث: أن أصـحاب النبى صلى الله عليه و آله فهموا من هـذه الآية وجوب المودّة والمحبّة للقربى كما ذهب إليه جميع علماء الشـيعة وكذلک أهل السـنّة أيضاً، ومع غض النظر عن التفاسير الواردة فى كلمة «القربى» فإنّهم يرون وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم، ولكن نكرر السؤال هنا وهو: لماذا وجبت محبّة أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله؟ هل أن هذه المسألة حال بعض الأحكام الشرعية التى لا ندرک مغزها وفلسـفتها، أى من قبيل الامور التعبديـة؟ أو ليست كـذلک بل الغرض منها واضح وهو أن هذه المحبّة تقع مقدمة لسـلوک الإنسان فى خط الإطاعة لهؤلاء العظماء واتباعهم؟ إذا أردنا أن يكون لدينا تفسـير صحيح لآية المودّة وسائر الآيات المرتبطة بها بالإستعانة بالرواية المطوّلـة التى ذكرهـا الفخر الرازى والروايـة المـذكورة آنفـاً والروايـات التى سـتأتى لاحقاً، لوجـد القوم بأن الحكمـة فى هـذه المحبّة والمودّة هى ما يقود الإنسان نحو الولايـة والحكومـة والخلافـة، الولايـة التى تقع رديفاً للرسالة وعدلًا للنبوّة، فكما أن الرسالة هى عماد الإسـلام فكذلک الولاية هى أساس قوامها واسـتمرارها. ولاسـيّما إذا التفتنا إلى هذه الحقيقة، وهى أن رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله بـالرغم من وجود أقربـاء وأرحـام مثـل العبّـاس وأولاده وكـذلک أولاد أبى طالب وسائر أبناء عبـدالمطلب وأحفاده آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۴۷ فإنه أشار بالتحديـد إلى علىّ وفاطمـة والحسن والحسـين عليهم السـلام، فهـذا يمكنه أن يكون قرينـة قويّـة على أن المراد بالمودّة هنا هى الولايـة والإمامـة، حيث إنّ المحبّة العادية تشـمل جميع أقوام النبى ويجب على الإنسان مودّتهم أجمع. ۲- أورد المرحوم الطبرسى فى «مجمع البيان» عن الحاكم الحسكانى فى «شواهد التنزيل» نقلًا عن أبى امامة الباهلى الرواية التالية عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ونقرأها أيضاً فى مضـمونه فى دعاء الندبـة حيث يقول: «إنَّ اللَّه تَعالى خَلَقَ الانْبياءَ مِنْ أَشْجارٍ شَتّى وَخَلَقَ أَنَا وَعَلِيّاً مِنْ شَجَرَةٍ واحِدَةٍ فَانَا أَصْلُها وَعَلِيٌّ فَرْعُها وَفاطِمَةُ لِقاحُها وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثِمارُها وَ أَشْياعُنا أَوْراقُها، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصانِها نَجا وَمَنْ زاغَ عَنهـا هَوى وَلَوْ أَنَّ عبـداً عَبَـدَ اللَّه بَيْنَ الصَّفـا وَالْمَرْوَةِ الْفَ عـام ثُمَّ الْفَ عام ثُمَّ الْفَ عام حَتَّى يَصـيرَ كَالشَّنِّ الْبالى «۱» ثُمَّ لَمْ يُـدْرِکَ مَحَبَّتَنـا كَبَّهُ اللَّهُ عَلى مِنْخَرَيْهِ فِى النَّارِ ثُمَّ تَلاـ: «قُـلْ لا أَسْـئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِى الْقُرْبى». «۲» فى هذه الرواية الشـريفة نلاحظ عدّة نقاط: الأوّل: إنّ هذه الرواية أيضاً تصرّح بأن «المودّة بالقربى» هى مودّة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، وتدلُّ بصورة جليّـة وبتعبيرات مثيرة جـدّاً على أن هـذه المحبّـة والمودّة ليست اعتياديـة بل هى المحبّـة التى تفضـى إلى الولايـة والخلافة. الثانى: إنّ الروايـة المذكورة آنفاً ترسم فى الحقيقة معالم «الشـجرة الطيبة» «۳» الواردة فى القرآن الكريم، وأحد تفاسـير الشـجرة الطيبة يماثل فى مضمونه ما ورد فى هذه الرواية. الثالث: إنّ أوراق الأشجار تقوم بحفظ وحراسة الثمار، فلو لم تكن للشجرة أوراق فإنّ الثمار ستتعرض للذبول فى مقابل أشعة الشـمس وسائر الآفات المحتملة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۸ إنّ وظيفة الشـيعة وفقاً لهذه الرواية الذين يمثّلون أوراق هذه الشـجرة الطيبة هى حفظ وحراسة الثمار الطيبة لهذه الشـجرة، أى الإمامة والولاية والزعامة. الرابع: ويسـتفاد من هذه الروايـة أيضاً أن العبادة بين الصـفا والمروة لها شأن خاص لا يوجـد فى سائر أماكن المسـجد الحرام، ولكن حتّى هـذه العبادة فى هـذا المكـان المقـدّس لاـ تسـاوى شـيئاً بـدون الولايـة. الخامس: نكرر أيضاً أنه لو كان المراد من المحبّـة فى هـذه الروايـة وسائر الروايات المشابهـة هى المحبّـة العاديـة فـإنّ هالـة من الإبهـام والغموض سـتحيط بجميع هـذه الأحاديث والروايات، ولكن إذا فسّـرنا المودّة هنا بالولايـة والإمامة فسيرتفع ذلک الغموض ويتّضح المعنى بصورة جليّة. ۳- يروى السـيوطى فى «الـدرّ المنثور» رواية معروفة عن الإمام زين العابـدين حيث يقول: «عنـدما أنزلوا اسـارى كربلاـء فى مكان من المسـجد الجامع جاء شـيخ ودنا من نساء الحسـين وعياله فقال: الحمد للَّه الذى قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أميرالمؤمنين (يزيد) منكم. فقال له على بن الحسـين عليهما السلام: - يا شـيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية «قُلْ لا أَسْـئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى»؟ قال: نعم. قال على: فنحن أهـل القربى يا شـيخ. قال: فبكى الشـيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به وقال: باللَّه إنكم هم؟ فقال علىّ ابن الحسـين: تاللَّه إنا لنحن من غير شـک وحقّ جـدّنا رسـول اللَّه ...» «۱». إنّ مجمـوع هـذه القرائن والشواهـد تـدلُّ على أن المودّة المـذكورة فى الآيـة الشـريفة والروايات المتعلّقة بها لا يمكن أن تكون مودّة عادية ومحبّة بمعنى التعلّق العاطفى فقط. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۴۹

ملاحظات مهمة

ملاحظات مهمة ۱- وفقاً لبعض آيات القرآن الكريم فإنّ المحبّـة يجب أن تقود الإنسان للطاعـة والعبودية، حيث يقول تبارك وتعالى فى الآيـة ۳۱ من سـورة آل عمران: «قُـلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَـاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». وعلى هـذا الأسـاس فـإنّ الإنسـان إذا أحبّ شـخصاً وجب عليه إطـاعته، ونحن عنـدما نـدّعى محبّـة أهـل البيت عليهم السـلام يجب علينـا اتباعهم واطاعتهم وإلّا فإنّ إدّعاءنا المحبّة والمودّة لا يكون صادقاً، وسـنتطرق لاحقاً إلى شـرح أكثر حول معطيات هذه الآية الشريفة. ۲- تقدّم أن آية المودّة تدلُّ مع قطع النظر عن جميع الروايات والآيات الاخرى على ولاية وإمامة أميرالمؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام ومع الأخـذ بنظر الإعتبار الروايات الواردة فى شأن نزولها فإنّ دلالتها سـتكون أوضـح بكثير، وإذا وضـعنا هـذه الآية إلى جانب الآيات الاخرى المتعلّقـة بالولايـة مثل آية إكمال الدين، آية التبليغ، آية الصادقين وآيات مماثلة اخرى فإنّ دلالتها سـتكون واضـحة جدّاً. ۳- أما الآلوسـى المفسّـِر المعروف من أهل السـنّة فقـد ذكر إشـكالين فى تفسـيره «روح المعانى» وقـد اتّضـح جوابهما من خلال الأبحاث السابقـة، ولـذلك سـنكتفى هنا بذكر هذين الإشـكالين فحسب: الف: كيف طلب رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله من المسـلمين محبّة ومودّة ذوى القربى بعنوانهـا أجر الرسالـة فى حين لم يطلب سـائر الأنبياء مثل هـذا الأجر من أقوامهم؟ والجواب على هـذا السؤال كما تقـدّم هو أن هذا الأجر يعود بالفائدة على جميع أفراد المجتمع الإسـلامى لا على الرسول صـلى الله عليه و آله نفسه. ب: لو سـلّمنا بأن المراد من القربى هنا هم أهل بيت النبى صـلى الله عليه و آله والمفروض محبّتهم ومودّتهم، ولكن ما العلاقـة بين هـذه المودّة من جهة وبين الإمامة والخلافة من جهة اخرى كما يدّعى الشيعة؟ والجواب على هذا السؤال أيضاً واضح، حيث إنّ أجر الشىء لابدّ وأن يماثله فى القيمـة آيـات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۵۰ ويتطابق معه فى الإعتبار، والمحبّـة التى تفضـى إلى الولايـة والإمامـة هى التى تنسـجم وتتناسب مع الرسالـة، وأما المحبّـة العاديـة والفارغة من الولاية فلا شكّ أنها بعيدة عن مضـمون الرسالة، وبما أننا نعتقد بأن اللَّه تعالى حكيم ويجـازى الأعمـال بمثلهـا وبمـا يناسـبها من الجزاء، وكـذلك النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله حكيم أيضاً ولا يطلب إلّاالأجر المناسب أيضاً، يكون المراد بلا شكّ من المحبّة مورد البحث هو الإمامة والولاية.

معطيات آية المودّة

معطيات آيـة المودّة ماذا تعنى المودّة المـذكورة فى الآيـة الشـريفة بعنوان أجر الرسالـة؟ وماذا يفهم من حبُّ على عليه السـلام وذريته الطـاهرين عليهم السـلام؟ وفى مقـام الجـواب ينبغى القـول أن المحبّـة والمـودّة على نحوين: ۱- المحبّـة الكاذبـة والزائفة. ۲- المحبّة الحقيقيـة والواقعيـة. ومن أجل توضـيح المطلب بصورة جليّـة ينبغى التوغل إلى أعماق النفس ونرى الـدافع لمثل هذه المحبّة والمودّة. فلمـاذا نحبّ الإمـام على؟ هـل لأجـل أمواله، أو لأجل كمالاته الإنسانيـة والمعنويـة، أو لأجل علمه، أو لشـجاعته، أو لكرمه وتقواه، أو لإيثـاره وتضـحيته، أو لجهـاده وحمـايته النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله، أو لأجل امور اخرى؟ إذا كنّا نحبّ الإمام على لأجل القيم الأخلاقيـة والمثل الإنسانيـة التى كان يعتقد بها، فهل نشـعر فى أنفسـنا باشـعاعة من تلك القيم الرفيعة؟ فإن لم نشـعر بذلك فمثل هذه المحبّـة والمودّة كاذبـة وزائفـة، وإن كانت فينا بارقـة من هـذه القيم والمُثل الإنسانيـة فإنّ المودّة هنا تكون حقيقيـة وواقعيـة. ينبغى أن نمتحن أنفسـنا بهـذا المعيـار والملاـك ونتحرك نحو تشـخيص نوع المحبّـة والمودّة فينا نحو الإمام على بهـذا المقياس لكى لا نعيش التوهم الزائف وندّعى كذباً حبُّ على بن أبى طالب، ولو كنّا نعيش مثل هذه المحبّة الزائفة فعلينا تغييرها والسـعى نحو التحلّى بالمحبّة من آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۵۱ النوع الثـانى ونتحرك فى سبيل تقويتها وترشـيدها. إنّ أحـد القيم التى كان أميرالمؤمنين عليه السـلام ملتزماً بها بشـدّة هى تقديم الضابطة على الرابطة، والمثال على ذلك هو قصّة الحديدة المحماة التى سـمعتموها مراراً، ولكن لا بأس باستعراضـها مرّة اخرى: عنـدما وصـلت الخلافـة إلى الإمام على عليه السـلام بعد سـنوات من السـكوت والمظلومية والجلوس فى

البيت جاء إليه أخوه عقيل، وكان فقيراً ومعيلًا، من المدينة إلى الكوفة لعلّه يحصل على نصيب أوفر من بيت المال، وكان الإمام حينذاك يتناول عشاءه على سطح البيت لشدّة حرارة الجوّ فى مدينة الكوفة ولكنّ عشاءه لم يكن شبيهاً بعشاء السلاطين والامراء ولذلك لم يشاركه عقيل فى تناول العشاء وقال لأخيه: أعطنى ما أقضى دينى وعجّل سراحى حتّى أرحل عنك، قال: فكم دينك يا أبا يزيد؟ قال: مائة ألف درهم، قال: لا واللّه ما هى عندى ولا أملكها ولكن اصبر حتّى يخرج عطائى فاواسيكه ولولا أنّه لابدّ للعيال من شيء لأعطيتك كلّه، فقال عقيل: بيت المال فى يدك وأنت تسوفّنى إلى عطائك؟ وكم عطاؤك؟ وما عساه يكون ولو أعطيتنه كلّه؟ فقال: ما أنا وأنت فيه إلّابمنزلة رجل من المسلمين. وكانا يتكلمان فوق قصر الأمارة مشرفين على صناديق أهل السوق فقال له على: إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فأنزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله وخذ ما فيه، فقال: وما فى هذه الصناديق؟ قال: فيها أموال التجار، قال أتأمرنى أن أكسر صناديق قوم قد توكلّوا على اللّه وجعلوا فيها أموالهم؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أتأمرنى أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكلّوا على اللّه وأقفلوا عليها؟ وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفى وخرجنا جميعاً إلى الحيرة فإنّ بها تجاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله، فقال: أوسارقاً جئت؟ قال: تسرق من واحدٍ خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً «۱». ثمّ إنّ الإمام على عليه السلام أحمى حديدة وقرّبها من يد أخيه عقيل فلمّا رأى عقيل أن أخاه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۲ غير مستعد لخروج عن خطّ العدالة ولو للحظة واحدة نهض قائماً وغادر المكان. أين نجد فى تاريخ البشرية أن سلطاناً مقتدراً وبيده اختيار الخزانة يتصرف مثل هذا التصرف مع أخيه من أجل حفظ العدالة؟ إلهنا، وفقّ المسؤولين فى حكوماتنا الإسلامية ليكونوا مثل أمير الأحرار ويتحركوا فى أداء مسؤولياتهم من موقع تقديم «الضوابط» على «الروابط».

مراتب المحبّة

مراتب المحبّة إنّ للمحبّة كما فى سائر الامور مراتب متعدّدة ومراحل مختلفة، ومحبّة الناس لأميرالمؤمنين عليه السلام ليست بمرتبة واحدة، فبعضهم يعيش المحبّة الكاذبة فهى مجرد لقلقة لسان ولا تمتد بجذورها إلى القلب، والبعض الآخر تمتد محبّتهم إلى قلوبهم ولكنّها ليست عميقة الجذور بل سطحية، والطائفة الثالثة تمتد محبّتهم إلى أعماق قلوبهم بحيث تستوعب جميع وجودهم ونفوسهم وترسم معالم شخصيتهم بلون المحبوب، فسلوك مثل هؤلاء الأشخاص هو سلوك علوى، وكلامهم كلام علوى، وأخلاقهم أخلاق علوية، والخلاصة أن كلَّ وجودهم وأفعالهم وسلوكياتهم تفوح برائحة الإمام على، وهذه أعلى مراتب المحبّة، المرحلة التى يجد الإنسان نفسه غير مستعد لأن يبادل هذه المحبّة بأيِّ شيء آخر بل يجد نفسه مستعداً للتضحية بنفسه من أجل هذه المحبّة والمودّة. وكمثال على هذه المحبّة الخالصة نذكر هذا النموذج:

ميثم التمّار، العاشق الخالص

ميثم التمّار، العاشق الخالص فى أحد الأيّام قال الإمام على عليه السلام لأحد عشاقه الذى كان يعيش الولاء المطلق له: – سوف تُصلب فى المستقبل القريب بسبب دفاعك عنى وحبّك لى فكيف يكون حالك حينئذٍ؟ ولكنّ هذا العاشق لم يتردد لحظة ولم يشعر بشيءٍ من الخوف ولم يتهرب من المسؤولية والولاية بل أظهر السرور البالغ وقال: سيّدى أين المكان الذى سوف اصلبُ فيه؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۳ فأشار الإمام على عليه السلام إلى نخلة من نخيل الكوفة وقال: سوف تُصلب على جذع هذه النخلة. هذا العاشق الخالص لم يبتعد عن الإمام ولم يهرب من تلك المدينة ويترك أهله ودياره بل أزداد حبّاً وعشقاً للإمام على. كان فى كلّ يوم يتوجّه إلى تلك النخلة ويهتم بعنايتها وسقيها ويصلّى ركعتين عندها ويتحدّث معها حديث العاشق لمعشوقه: – أيتها النخلة لقد خُلقت لى وخلقت لك وسوف يصلب بدنى على جذعك بسبب حبّى للإمام على عليه السلام ... «۱» أين نحصل على مثل هذا الإنسان العاشق فى تاريخ البشرية؟ وحان اليوم الموعود وتمّ صلب هذا العاشق على ذلك الجذع ولكنّ عشقه لمحبوبه لم يخفّ لحظة بل أزداد

توهجاً واشـتعالًا وشـرع بـذكر فضائل ومناقب الإمام على عليه السـلام حتّى أن الأعـداء لم يتحملوا منه ذلك وأمروا بقطع لسانه وهكذا ضحّى بنفسـه فى سبيـل مراده. سؤال: أليست التقيـة واجبـة فى نظر الإسـلام؟ إذن فلمـاذا لم يسـتخدم هؤلاـء الأشـخاص عنصـر التقية للمحافظـة على أنفسـهم واجتناب إلقاء أنفسـهم فى التهلكة؟ الجواب: إنّ التقية كما هى واجبة فى بعض الموارد فكذلك تكون حراماً فى موارد اخرى، فعنـدما يتعرض أساس الـدين والمـذهب للخطر وتسود الظلمـة والإنحراف جميع أرجاء المجتمع الإسـلامى ويتعرض الأـحرار للسـجن والقتل فحينـذاك يجب على من يتمكن من إيصال صوته إلى الناس أن يفضـح قوى الإنحراف هـذه ويتصـدى بكلّ وسـيلة لجهـاز الحكم، وفى هـذه الصورة فـإنّ التقيـة ليست فقط غير واجبـة بل إذا تستر الإنسان المسـلم بالتقيـة فإنه يكون قـد ارتكب معصية كبيرة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۵

آية المباهلة

اشارة

آية المباهلة ۸ [سورة آل‌عمران (۳): آية ۶۱] خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۳) «سورة آل عمران/ الآية ۶۱»

أبعاد البحث

أبعاد البحث إنّ آية المباهلة هى إحدى الآيات الاخرى المتعلّقة بولاية أميرالمؤمنين عليه السـلام والحسن والحسين عليهما السلام، فى هذه الآية الشريفة التى تتحدّث عن موضوع المباهلة بين المسلمين ونصارى نجران تثبت من جهة حقّانيّة الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه و آله ومن جهـة اخرى تبين سـمو مقـام أهـل بيت النبى عليهم السـلام وعلو درجتهم، ومن جهـة ثالثـة بالإمكـان إثبـات ولاية وخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام بواسطتها.

مقدّمة

اشارة

مقدّمة قبل الشروع بتفسير آية المباهلة الشريفة نرى من اللازم التنبيه على نقطتين:

۱- المباهلة آخر الدواء

۱- المباهلـة آخر الدواء إنّ الآيات ۳۵ إلى ۶۰ من سورة آل عمران تتحدّث عن النبى عيسـى عليه السـلام وتذكر فى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۵۶ طياتها قصة ولادة هذا النبى الكريم ومقاماته المعنوية وشخصـية امّه وفضائلها الكريمة وحديثه مع الملائكة والمائدة السـماوية ومسائل اخرى، وبعد كلّ هذه الأبحاث المطوّلة عن النبى عيسـى عليه السـلام يوصـى اللّه تبارك وتعالى نبى الإسلام ويقول بأن النصارى بعد بيان كلّ هذه الامور بشـكل منطقى ومسـتدل لو لم يقبلوا الإسـلام واختاروا طريقاً آخر وأصـرّوا على عنادهم فعليك بمباهلتهم ليتّضح الحقّ.

۲- ماذا تعنى المباهلة؟

۲- ماذا تعنى المباهلـة؟ «المباهلـة» من مادة «بَهْل» ويعنى فى لغـة العرب ترك الشـىء، والعرب عندما تلد الناقة يشدون على ثدييها لئلّا

یشرب طفلها جمیع اللبن فی ضرعها ولکن أحیاناً یفتحون الضرع لیشرب طفل الناقة ما یشاء من اللبن، فیقال حینئذٍ لهذه الناقة التی انفتح ضرعها «ابل باهل». وأما فی الإصطلاح فلها معنی آخر فهو: عندما یتقدم شخصان للحوار فیما بینهما بأدلة عقلیة ومنطقیة ولا یستطیع أحدهما إقناع الآخر برأیه وعقیدته فهنا یحقّ لکلٍّ واحد منهما أن یباهل الآخر ویقول: «إذا کنت أنا علی الحقّ وأنت علی الباطل فعلیک غضب اللَّه»، ویکرر الآخر هذه العبارة، فیقال لهذا العمل مع توفر شرائطه «مباهلة». ومن الواضح أن هذا المعنی الإصطلاحی یرتبط بالمعنی اللغوی لأن الشخص الذی یدّعی أنه علی حقّ یقول: إننی أترک الطرف الآخر لقضاء اللَّه واحیله إلی قدرة اللَّه.

الشرح والتفسیر: الدعوة إلی المباهلة

الشرح والتفسیر: الدعوة إلی المباهلة «فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ» أی: أیّها النبی بعد البحث والمناقشة مع هؤلاء النصاری عن عیسی ابن مریم علیهما السلام وبعد تقدیم الأدلّة المتقنة والبراهین الساطعة حول تفاصیل حیاة عیسی ابن مریم فإنهم إذا أصرّوا مع ذلک علی عنادهم ولجاجتهم ولم یبصروا الحقّ والحقیقة فهناک طریق آخر لاستمرار الدعوة الإلهیة وهو اختیار المباهلة معهم. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۵۷ «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ». فی هذا المقطع من الآیة الشریفة یعیّن القرآن الأشخاص الذین سیشترکون فی مراسم المباهلة، وعلیه یوجّه الخطاب إلی النبی الأکرم ویقول: أیّها النبی قل لهؤلاء تعالوا لنتباهل ولیأتی کلُّ طرف منا بأربع فئات من جماعته وأهل ملّته لیشترکوا فی هذه المراسم: ۱- رئیس المسلمین، أی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله من جهة ورئیس نصاری نجران من جهة اخری. ۲- أبناءنا وأبناءکم. ۳- نساءنا ونساءکم. ۴- أنفسنا وأنفسکم. وسیأتی فی الأبحاث اللاحقة الکلام عن المراد من «أبنائنا» و «نسائنا» و «أنفسنا» بشکل مفصل. «ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ» فبعد أن ذکرت الآیة الشریفة الطوائف الأربع المفروض اشتراکهم فی مراسم المباهلة، ذکرت کیفیة إجراء هذه المراسم بأن تتم بهذه الصورة: إن کلُّ شخص کاذب ویدّعی أنه علی الحقّ کذباً وزوراً فإن علیه لعنة اللَّه وعذابه، لیتّضح الحقّ للناس وتتجلّی معالم الحقیقة للجمیع.

هل تحققت المباهلة؟

هل تحققت المباهلة؟ وهنا یثار سؤال: هل تحققت مراسم المباهلة وفقاً للشروط التی ذکرها القرآن الکریم؟ وفی صورة تحقّقها فماذا کانت النتیجة؟ الجواب: إنّ القرآن الکریم لم یذکر شیئاً عن وقوع المباهلة فی الواقع الخارجی ولا یمکننا استیحاء وقوعها من سیاق الآیات الکریمة، ولکنّ هذه الواقعة معروفة ومشهورة فی تاریخ الإسلام. فطبقاً لما ذکرته کتب المؤرخین أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله طرح موضوع المباهلة وکیفیتها مع نصاری نجران وعیّن الیوم الخاصّ لإجراء المباهلة، ولکنّ الاسقف الأعظم للنصاری الذی یعدّ أعلی مقام دینی لدی النصاری قال لهم: آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۵۸ «انظروا محمّداً فی غدٍ، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته. وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه علی غیر شیء». وعلی أیّة حال فقد حل الیوم الموعود وشاهد النصاری النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قادماً ومعه طفلین هما الحسن والحسین علیهما السلام وکذلک علی وفاطمة علیهم السلام، فقال الأسقف الأعظم عندما رأی هذا المنظر: «إنی أری وجوهاً لو دعوا اللَّه لاستجاب لهم وفی ذلک هلاککم» «۱». وهکذا امتنع من المباهلة ووافق النبی الأکرم علی انسحابهم وتراجعهم. لقد ذکرت کتب التواریخ قصة المباهلة بشکل مختصر کما مرّ آنفاً، یقول أبوبکر الجصّاص من علماء القرن الرابع الهجری فی کتابیه «أحکام القرآن» و «معرفة علوم الحدیث» عبارتین جمیلتین فی هذا الصدد: ۱- قال فی کتاب «أحکام القرآن»: إنّ رواة السّیر ونقلة الأثر لم یختلفوا فی أنّ النبی صلی الله علیه و آله أخذ بید الحسن والحسین وعلی وفاطمة ودعا النصاری الذین حاجّوه إلی المباهلة «۲». ۲- ویقول أیضاً فی کتاب «معرفة علوم الحدیث»: قد تواترت الأخبار فی التفاسیر عن عبداللَّه

بن عبّاس وغیره أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أخذ یوم المباهلة بید علی والحسن والحسین وجعلوا فاطمة ورائهم ثمّ قال: هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا «۳». وعلی هذا الأساس هناک روایات وأحادیث کثیرة جدّاً فی شأن نزول وتفسیر آیة المباهلة حیث نکتفی هنا بذکر روایة واحدة منها: آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۵۹ جاء فی کتاب صحیح مسلم فی باب «فضائل الصحابة» روایة مثیرة وجذّابة رواها سعد بن أبی وقاص: أن معاویة قال لسعد: «ما منعک أن تسبّ أباتراب «۱»؟ قال: أما ما ذکرت ثلاثاً قالهن رسول اللَّه فلن أسبّه لئن تکون لی واحدة منها أحبّ إلیّ من حمر النعم، ثمّ ذکر قصة تبوک عندما استخلف النبی علیاً علی المدینة، فلما قال الإمام علی: أتخلّفنی علی النساء والأطفال؟ قال له رسول اللَّه: «ألا ترضی أن تکون منی کهارون من موسی إلّاأنه لا نبی بعدی، والثانیة فی معرکة خیبر عندما أرسل رسول اللَّه الأوّل والثانی لفتح خیبر فرجعا آیسین فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لأعطینّ الرایة غداً لرجل لا یملّ من الحرب ولا- یدیر ظهره للعدو». فتطاولت الأعناق لذلک، فنظر رسول اللَّه فیهم فلم یر علیاً، فسأل عنه فقیل: هو أرمد، فقال: علیّ به، فجاء الإمام علی فتفل رسول اللَّه فی عینه فشفی من ساعته فدفع إلیه الرایة وکان الفتح علی یده. وأما «الثالثة» فهی لما نزلت هذه الآیة «قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءکم ...» حیث دعا رسول اللَّه علیاً وفاطمة وحسناً وحسیناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلی ... وقال سعد بعد ذلک لمعاویة: هل یحقّ لی بعد هذا أن أسبّ علیاً؟ فسکت معاویة وندم علی مقولته» «۲».

من هم أبناءنا، نساءنا، أنفسنا؟

من هم أبناءنا، نساءنا، أنفسنا؟ لا خلاف ظاهراً بیننا وبین أخوتنا من أهل السنّة فی أن المراد من «نساءنا» هو فاطمة الزهراء بنت رسول اللَّه علیها السلام وکذلک اتّفق علماء الشیعة وأهل السنّة أن المراد من «أبناءنا» الحسن والحسین علیهما السلام. وعلی هذا الأساس فإن المحور الأصلی فی هذا البحث یدور حول تفسیر کلمة «أنفسنا» آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۶۰ ولذلک نری من الضروری تفصیل البحث حول هذه العبارة. یقول القاضی نوراللَّه الشوشتری فی کتابه القیّم «احقاق الحقّ»: أجمع المفسّرون علی أن «أبناءنا» إشارة إلی الحسن والحسین علیهما السلام و «نساءنا» إشارة إلی فاطمة علیها السلام و «أنفسنا» اشارة إلی علی علیه السلام. وذکر آیة اللَّه العظمی المرعشی فی حاشیته علی هذا الکتاب نقلًا عن ستین کتاباً «من کتب أهل السنّة» ما یؤید هذا المطلب «۱»، والمفهوم من هذا الکلام واضح جدّاً بحیث ذکره أهل السنّة قاطبة فی کتبهم. ولکن مع الأسف نجد أن بعض مفسّری أهل السنّة وعلی الرغم جمیع هذه الروایات تورطوا بشراک التعصّب والتفسیر بالرأی فذکروا تفسیرات مدهشة لهذه الآیة الشریفة، ونکتفی هنا بذکر نموذجین منها: ۱- یقول الألوسی فی «روح المعانی» بعد اعترافه بعدم وجود شخص آخر مع النبی صلی الله علیه و آله فی المباهلة غیر علی وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام ومع تأکیده بأنه لا- ینبغی لکلّ إنسان مؤمن الشک فی هذه المسألة یستعرض دلیل علماء الشیعة ویدّعی أن المراد من «أنفسنا» هو النبی نفسه، وأما الإمام علی فیندرج فی کلمة «أبناءنا» لأن العرب تطلق علی الصهر کلمة الابن أیضاً «۲». وجواب هذا الکلام واضح جدّاً، لأنه طبقاً لهذه الآیة الشریفة فإنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قد دعی: أبناءنا وأنفسنا ونساءنا، فلو کان المراد من «أنفسنا» هو النبی نفسه فماذا یعنی أن یدعو الإنسان نفسه إلی المباهلة؟ ونظراً إلی أن القرآن الکریم هو أفصح بیان فی اللغة العربیة فمن المسلّم أنه لا یذکر کلاماً غیر فصیح مثل هذا الکلام ولا یأمر النبی صلی الله علیه و آله بأن یدعو نفسه، إذن فالمراد من «أنفسنا» لا- یمکن أن یکون هو النبی صلی الله علیه و آله نفسه قطعاً، مضافاً إلی أننا لم نقرأ فی کلام العرب أنهم یطلقون آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۶۱ کلمة الإبن علی الصهر، ومثل هذا الإستعمال غریب جدّاً ویحمل علی المجاز البعید. ولا نستغرب من هذه التأویلات والآراء التی هی من إفرازات التعصّب الأعمی بحیث إن مثل هذا التعصّب قد یدفع الإنسان أحیاناً ومن أجل حفظ عقائده والدفاع عنها أن یفرض آراءه وعقائده هذه علی القرآن الکریم. ۲- والأعجب من ذلک من نراه من نظریة «محمّد عبده» فی تفسیر المنار، فعندما یصل إلی هذه الآیة یقول فی تفسیرها: الروایات متّفقة علی أنّ النبی صلی الله علیه و آله اختار للمباهلة علیّاً وفاطمة وولدیهما ویحملون کلمة نسائنا علی فاطمة وکلمة أنفسنا علی علیٍّ فقط ومصادر هذه الروایات الشیعة ومقصدهم منها

معروف «۱». والواقع أن كلام محمّـد عبده هذا عجيب جدّاً ومتناقض مع صدر الآية وذيلها، لأنه ادّعى فى بداية كلامه اتفاق الروايات على هـذا المطلب ولكنه فى ذيلها ينسب هـذا الرأى إلى الشيعة. ومضافاً إلى ذلك «كما تقـدّم سابقاً» أنّ هذا الكلام مجانبٌ للصواب لأن أكثر الروايات المذكورة وخلافاً لمدّعاه مذكورة فى مصادر أهل السنّة. ونحن لا نملك فى مقابل هذا الكلام الواهى سوى إظهار التأسف. وعلى أيّـة حـال فـإنّ آيـة المباهلـة كمـا تقـدّم بيـانه من الآيـات المحكمـة والصـريحة الـتى تـدلُّ دلالـة واضـحة على ولاـية أميرالمؤمنين عليه السـلام وأبنائه الطاهرين عليهم السـلام. سؤال: صـحيح أن آيـة المباهلة تعد فضـيلة كبيرة لأميرالمؤمنين علىّ بن أبى طـالب عليه السـلام، ولكن مـا هو ارتباطها بمسألـة الولايـة والإمامـة لأميرالمؤمنين حيث إن البحث هنا يتعلق بالآيات التى تتحـدّث عن الولاية والإمامة؟ الجواب: رأينا فيما سبق أن المراد «أنفسنا» فى آية المباهلة هو الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وعندما يخاطب النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله ابن عمه الإمام على عليه السـلام بأنه «نفسه» فهل أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۲ مقصوده من ذلـك هـو المعنى الحقيقى للنفس أو المعنى التنزيلى والإعتبـارى؟ لاشـكّ أن المعنى الحقيقى غير مقصـود هنـا، أى أن على ليس هو النبىّ نفسه، إذن فـالمراد من ذلـك أن الإمـام علىّ عليه السـلام يتمتع بالفضائل والكمالات والمقامات المعنويـة التى يتمتع بها الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، فهو كالنبى فى الشجاعة والرشادة والشهامة والتقوى والإيثار وسائر الكمالات والمقامات المعنوية الاخرى، والنتيجـة هى أن الإمام على عليه السـلام نازل منزلـة النبى صـلى الله عليه و آله فى المقامات والكمالات وتالى تلوه. ومع الإلتفات إلى هـذا المطلب يتّضح أن الخليفة بعد رسول اللّه صـلى الله عليه و آله والذى لابدّ وأن يكون منصوباً من اللّه تعالى أو الامّة الإسـلامية هو الشـخص الـذى يحوز هذه المقامات ويكون مثل النبى فى سـماته وكمالاته أو فى مرحلة دانية منه. ألا ينبغى أن يكون الشـخص الذى ينتخبه النـاس لهـذا المقـام أو يكون منصوبـاً بالنصب الإلهى لهـذا المقام كالنبى صـلى الله عليه و آله فى فضائله وكمالاته وخاصـة فى مسألة التقوى والعصـمة؟ ومع فرض وجود مثل هذا الشـخص ألا يكون قبيحاً لدى العقل انتخاب أشـخاص آخرين لهذا المقام؟ وعلى هـذا الأسـاس فـإنّ انطبـاق كلمـة «أنفسنـا» على الإمام على عليه السـلام يؤدى إلى تجسـير العلاقـة بين هـذا المعنى وبين مفهوم الولاية والإمامـة، وبـذلك يتم إثبات الولايـة لأميرالمؤمنين. ربّنا: وفقنا لمعرفـة قـدر هـذه النعمـة العظيمة وهى ولاية أهل البيت عليهم السـلام وارزقنا عنايتهم فى الدنيا وشفاعتهم فى العقبى. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۳

آية سورة الدهر

اشارة

آية سورة الدهر ۹ [سورة الإنسان (۷۶): الآيات ۵ الى ۱۰] فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۵۹) «سورة الدهر/ الآيات ۵- ۱۰»

أبعاد البحث

أبعـاد البحث إن أحـد الفضائـل والمنـاقب المهمـة للإمـام على عليه السـلام بـل فضائل أهل البيت ومناقبهم هو ما ورد فى آيات سورة الإنسان حيث تحدّث القرآن الكريم فى ثمانية عشر آية من ۳۱ آية من هذه السورة حول هذه الفضيلة العظيمة، وبعض الآيات الشريفة هذه تحدّثت عن أصل القضيـة، وهناك أربعة عشـر آية اخرى تحدّثت عن جزاء وثواب هذا العمل العظيم الذى قامت به هذه الاسـرة الطاهرة، وسوف يأتى تفاصيل هذه الواقعة وتفسير هذه الآيات الكريمة لاحقاً.

شأن النزول

شأن النزول لقد ذكرت كتب التفسير شأن نزول هذه الآيات محل البحث، وقد أورد العلّامة الأمينى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۴ فى كتابه «الغدير» شأن نزولها من أربعة وثلاثين كتباً من كتب أهل السنّة «۱»، ونقل القاضى نوراللَّه الشوشترى هذا المطلب من ۳۶ كتاباً من كتبهم «۲»، وعلى هذا الأساس فإنّ شأن النزول لهذه الآيات متواتر تقريباً، وخلاصة ما ورد فى شأن نزولها والمتّفق عليه فى جميع المصادر الروائية والتفسيرية هو مايلى: إنّ الحسن والحسين مرضا فعادهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر على وفاطمة وفضة إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علىّ ثلاثة أصوع شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اهْلَ بَيْتِ محمّد مسكينٌ من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم اللَّه من موائد الجنّة، فآثاروه وباتوا لم يذوقوا إلّاالماء «۳»، فأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم سائل يتيم فآثاروه ووقف عليهم أسير «۴» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۵ فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علىّ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلما أبصرهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤنى ما أرى بكم وقام وانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل إليه جبرئيل وقال: خذها يا محمّد هنئك اللَّه فى أهل بيتك فأقرأه السورة.

الشرح والتفسير: الخصائص الخمسة لأهل البيت عليهم السلام

الشرح والتفسير: الخصائص الخمسة لأهل البيت عليهم السلام إنّ أربعة آيات من الآيات الثمانية عشر فى هذه السورة تتحدّث عن أصل العمل الذى قام به هؤلاء الأشخاص، وأربعة عشر آية منها تتحدّث عن الأجر والثواب الإلهى الذى ينتظر هؤلاء، وفى البداية نستعرض تفسير الآيات الأربع منها حيث يشير القرآن فيها إلى خمس خصال من فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام: ۱- الوفاء بالعهد «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» فأوّل عمل أخلاقى لهؤلاء هو الوفاء بالنذر بحيث ينبغى أن يكون هذا العمل اسوة لسائر أتباعهم وشيعتهم، حيث نرى بعض أفراد الشيعة ينذرون فى حالة مواجهتهم للمصائب والبلايا والمشاكل ولكنهم عند زوال هذه البلايا والمشاكل ويحين وقت العمل بالنذر فإنهم يتحركون من موقع التغافل وعدم الإهتمام، فتارةً يشككون فى صيغة النذر، واخرى يترددون فى التنفيذ العملى للنذر، والخلاصة يمتنعون من الوفاء بالنذر بكلّ ذريعة، كما هو الحال عندما يواجه الشخص خطراً محدقاً بحيث يكون احتمال بقائه على قيد الحياة قليلًا جدّاً، فحينئذٍ يتوجه إلى اللَّه تعالى بالنذر الثقيل ويعاهده على العمل به ثمّ يتفق أن ينجو من هذا الخطر، وعندها يتوجه هذا الشخص إلى مرقد الإمام الذى نذر له ذلك النذر ويقول مخاطباً له: أيّها الإمام، لقد نذرت فى تلك اللحظات الخطيرة نذراً ثقيلًا، فلماذا صدّقت بكلامى وطلبت من اللَّه أن ينقذنى؟ أجل، إن بعض المسلمين هم مصداق الآية الشريفة: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۶ «فَإِذا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ» «۱». ولكن أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا كذلك، فهم لا يكتفون بالوفاء بالنذر فقط بل يوفون بجميع تعهّداتهم والتزاماتهم الأخلاقية ومسؤولياتهم الإجتماعية، لأن ذلك من علامات الإيمان «۲» والمسلم الحقيقى يجب أن يتصف بهذه الصفة الأخلاقية وهى الوفاء بالعهد والنذر حتّى لو كان ذلك بضرره. ۲- الخوف من القيامة «وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً» والخصلة الثانية من خصائص هؤلاء الأشراف والأولياء هو أنهم يخافون من يوم القيامة، وطبعاً ليس ذلك بسبب خوفهم من احتمال أن يتوجه إليهم ظلم بحقّهم بل يخافون من محكمة العدل الإلهية لأن جميع أعمال الإنسان الصغيرة والكبيرة ستعرض فى ذلك اليوم ويُحاسب عليها الإنسان كما ورد فى قوله تعالى «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» وهذا هو الذى يخيفهم ويثير فى أنفسهم الفزع والخشية لأن ذلك اليوم يُحاسب الإنسان على ما قدّم وأخر، وفى تلك المحكمة الإلهية سيحاسب الصغير والكبير، المرأة والرجل، الغنى والفقير، العالم والجاهل، والخلاصة جميع أفراد البشرية، فالإعتقاد بتحقّق ذلك اليوم المهيب يثير فى الإنسان الخوف والرهبة. ۳- معونة الفقراء والمساكين «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً» الخصلة الثالثة التى ذكرتها هذه الآيات الشريفة لأهل البيت عليهم

السلام والتى تعتبر محور هذا البحث هو مواساتهم للمساكين وتقديمهم يد العون للمحرومين فى المجتمع الإسلامى، فهؤلاء الأولياء بالرغم من احتياجهم إلى الطعام نراهم يؤثرون الفقراء والمساكين على أنفسهم ويقدمون ما لديهم من الطعام إلى المسكين واليتيم والأسير، وفى هذه الآية الشريفة إشارة إلى ثلاث طوائف من المحرومين والمحتاجين فى المجتمع: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۷ الف- «المسكين» وهذه الكلمة مشتقة من مادّة «سكون» أى الفقر والحاجة الشديدة بحيث تدع الإنسان ساكناً وقابعاً إلى الأرض من شدّة الحاجة والفاقة، فيجب على المسلمين والمؤمنين أن يأخذوا بيد هؤلاء المحرومين والفقراء والمساكين الذين لا يستطيعون أن يوفروا لأنفسهم وأهلهم ما يحتاجونه من أوّليّات الحياة والمعيشة، وأن يمدوا يد العون لهؤلاء المحرومين ويشاركوهم فى النعم التى يعيشون فيها ويواسونهم بها. ب- «اليتيم» وهو الطفل الذى فقد وليه وأباه، فرغم أنّ اليتيم قد لا يكون محتاجاً من الناحية المادية ولكنه يعيش أزمة عاطفية وهو فى أشد الحاجة إلى المحبّة والحنان من الآخرين، وقد ذكروا أنه فى إحدى الزلازل التى وقعت أخيراً وكثرت فيها الضحايا من أهالى المدينة أو القرية عثروا على صبى فقد خمسين شخصاً من عائلته وأرحامه كالأب والامّ والأخوات والاخوة والأعمام والعمات والخالات وذرياتهم، والخلاصة أنه فقد جميع أرحامه وأقربائه، فمثل هذا الشخص يعيش الحاجة الشديدة إلى المحبّة والعاطفة وسوف ينهار حتماً إن لم يجد من يعوّضه عن هذه الخسارة المعنوية والروحية. ج- «الأسير» ومعناه واضح حيث يقال للشخص الذى ابتعد عن بيته ووطنه ومدينته وعاش فى بلد آخر غريباً ووحيداً، فيمكن للأسير أن يكون ثرياً فى وطنه ولكنه بعد وقوعه فى الأسر فانه يستحق المساعدة والمحبّة. وعلى أيّة حال فإنّ الإنسان المؤمن والمسلم يجب أن يمد يد العون فى دائرة استطاعته وامكانيته إلى جميع الأفراد المحرومين والمتضررين فى المجتمع، وفى هذا الزمان قد لا يوجد مصداق لأحد هذه الطوائف الثلاث المذكورة فى الآية الشريفة، ولكن هناك طوائف اخرى تعيش الفاقة والحاجة الشديدة إلى المساعدة والمعونة، المرضى بالسرطان، والجذام والأمراض المزمنة الاخرى، السجناء، البنات اللواتى فى سن الزواج ولكنهنّ محرومات من الذهاب إلى بيت العرس لفقدانهن الجهيزية ووسائل المعيشة، وهناك طوائف اخرى محتاجة أيضاً. فهل نحن نتحرك من موقع الإيثار والشفقة على هؤلاء المحرومين كما رأينا فى سلوك أهل البيت عليهم السلام؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۸ هل نعلم بحالة الجيران وما هم عليه من الفاقة والحاجة؟ هل نعلم بكيفية معيشتهم وإفطارهم وسحورهم؟ هل نحن مطلعون على أحوال وأوضاع أرحامنا وأقربائنا؟ إذا كان جواب هذه الأسئلة بالنفى (والعياذ باللّه) هل يمكننا مع ذلك أن ندّعى بأننا من شيعة أهل البيت؟ ۴- الإخلاص «إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً» الفضيلة الرابعة للإمام على وزوجته وطفليه هى مسألة «الإخلاص» للّه تعالى فى عملهم هذا، وهى فضيلة عظيمة جدّاً، حيث قالوا: إننا نتقدم إليكم بهذه المساعدة والمعونة تقرباً إلى اللّه تعالى وطلباً لرضاه ومن دون أى دافع آخر من الدوافع الدنيوية ولذلك لا نطلب منكم شيئاً دنيوياً ولا نتوقع منكم حتّى الشكر. عندما نقرأ هذه الكلمات ونكررها فى أذهاننا هل يمكننا أن نتصور أن إنساناً من أفراد المجتمع يمكنه أن يدّعى هذا الإدعاء غير الأولياء؟ والأكثر من ذلك لو أن الطرف المقابل تحرك نحوهم من موقع الإهانة وتجاسر عليهم بدل أن يتقدّم إليهم بالشكر فإن حالهم لا يتفاوت أبداً عن السابق. إنّ الإخلاص هو جوهر العمل الصالح، ولذلك أكد عليه الإسلام كثيراً وتقدّم إلى المسلمين بتعليماته وتوصياته أن يهتموا بكيفية العمل لا بكميته وعدده، أى أن ركعة واحدة يصليها المسلم بإخلاص أفضل عند اللّه من ألف ركعة يصليها بدون إخلاص. ۵- الخوف من اللّه «إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً» الخامس من خصائص هؤلاء هو: الخوف من اللّه تعالى. ولعلك تسأل: تقدّم فى الخصلة الثانية أنهم يخافون من المعاد والقيامة وهنا نجد الخوف من اللّه تعالى فما هو الفرق بينهما؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۶۹ الجواب: لا- يلزم أن يكون الخوف من اللّه تعالى متلازماً ومتزامناً مع الخوف من جهنم والقيامة والعذاب الاخروى بل يمكن أن يعيش الإنسان الخشية والهيبة من عظمة اللّه، فعندما يفكر الإنسان المؤمن بعظمة اللّه تعالى فإنّ الخوف والخشية والمهابة تسرى فى جميع أركان وجوده ومفاصل بدنه، ويكون حاله كما لو توجه لملاقاة شخصية مهمة وأراد أن يقول له شيئاً، فمن المحتمل أن تستولى عظمة ذلك الشخص عليه فلا يستطيع النطق والكلام حينها رغم أن ذلك الشخص هو إنسان عطوف وحسن الأخلاق جدّاً، وعليه فإنّ هذه الخصلة الخامسة تتفاوت

مع الخصلة الثانية والخوف من اللّه تعالى يراد به هنا الخوف من عظمة اللّه وكبريائه.

آيات الأجر والثواب

آيات الأجر والثواب تقدّم أنّ فى هـذه السورة أربعـة عشـر آيـة من آياتها تتحـدّث عن الأجر العظيم الـذى ينتظر هؤلاء الأولياء جزاءاً لإيثارهم وتضـحيتهم اتجاه المحرومين، ولا نجـد فى القرآن الكريم مثل هذا الثواب العظيم بأى عمل من الأعمال الصالحة التى تصدر من المؤمنين، بمعنى أننا نرى أن خمسـة عشـر نوعاً من الثواب ورد بصورة متوالية فى هذه السورة، ولو أمعنا النظر أكثر فى هذه الآيات الأربعـة عشـر لوجدنا عشـرين نوعاً من الثواب على ذلك العمل، وسوف نسـتعرض هذه المثوبات فى ١٢ فقرة لاحقـاً، ولكن قبل بيان هذه المثوبات نرى من الضرورى تقديم مقدّمة:

المقارنة بين الثواب الدنيوى والاخروى

المقارنـة بين الثواب الـدنيوى والاـخروى بلاـ شكّ أنّ نعم ومواهب الآخرة تختلف عن نعم ومواهب الـدنيا، لأنه بالرغم من اسـتخدام الألفاظ البشـرية والقوالب الدنيوية فى شـرح وتوضـيح تلكم المواهب الاخروية ولكن يبقى مفهومها ومحتواها له ماهية غيبية واخروية، وعلى هـذا الأسـاس فمـا نسـمعه ونتصوره من النعم والمواهب الاخرويـة ليس سوى شـبح من حقـائق ذلك العالم، ولا ينبغى أن نتوقع إدراك حقـائق تلـك النعم فى هـذه الـدنيا كمـا هو الحـال فى الجنين فى بطن امّه حيث لا آيات الولايـة فى القرآن، ص: ١٧٠ يمكنه إدراك حقائق هذا العالم الدنيوى مهما بالغت امّه فى إفهامه حسب الفرض ومهما كان ذكياً كابن سينا، فإنه لا يستطيع تصور ما يجرى فى هـذا العالم سوى اشـباح وأوهام، ولذلك ورد عن النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله قوله: «إنَّ اللَّهَ يَقُولُ: اعْدَدْتُ لِعِبادِىَ الصّالِحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا اذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» «١». وعلى هذا الأساس فمن الممكن أن يكون لكلمة معنىً خاص فى عالمنا الـدنيوى هـذا ولكنه يحمل معنىً آخر عنـد اسـتعماله فى مورد النعم والمواهب الاخروية فى الجنّة، وسـيأتى توضـيح أكثر فى البحوث اللاحقة حول هذا الموضوع. وبعد بيان هذه المقدّمة نستعرض النعم الاثنى عشر فى الجنّة لهؤلاء الأولياء:

النعم الاثنا عشر فى الجنّة

النعم الاثنا عشـر فى الجنّة ١- السـكينة والهـدوء النفسـى «فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» فأوّل نعمة ينالها هؤلاء الأولياء فى الجنّة هى نعمة الإسـتقرار والهدوء النفسـى حيث يدفع عنهم اللّه تعالى شـرور ذلك اليوم ومشـكلاته ومصاعبه ويغرقهم فى أجواء الفرح والسـرور، ويتّضح من ذكر الآيات الشـريفة نعمة الهدوء النفسى والسكينة الروحية باعتبارها أوّل نعمة من النعم الإلهية فى الجنّة كونها نعمة مهمة وثمينة جدّاً، والحقيقة هى أنها كذلك حيث إنّ الاطمئنان الروحى للإنسان يمثل أغلى شـىء يناله الشخص فى الـدنيا والآـخرة، ويتـبين هـذا المعنى فى الأشـخاص الـذين يمتلكون مختلف المواهب والنعم فى الـدنيا ولكنهم لاـ يعيشون الإسـتقرار والهدوء النفسى فإنّ هذه النعم والإمكانات المادية والدنيوية تتحول إلى أدوات لتثوير حالة القلق والإضطراب والعذاب النفسى لهؤلاء، ولهذا نرى أن الكثير من الأثرياء وأبناء الامراء قد يتوجهون نحو الإنتحار للتخلص من عناصـر القلق والإضـطراب النفسـى، ويقال آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٧١ أن إحدى الغابات فى أمريكا الواقعة إلى جانب إحدى المدن الامريكية تسمّى غابة الانتحار حيث يتوجه إليها الأشـخاص الأثرياء الذين يمتلكون كلّ شـىء فى الدنيا سوى الإسـتقرار والهدوء النفسـى وينتحرون هناك ويقضون على حياتهم البائسـة. وفى المقابـل نرى أن بعض الأشـخاص بـالرغم من كونهم يعيشون الفقر المـدقع ولا يمتلكون من وسائل الحياة إلّاالقليل جـدّاً ومع ذلك يعيشون الإسـتقرار الروحى فى درجات عاليـة فى حياتهم الفرديـة والإجتماعيـة. فلو أنك تسأل: كيف يمكن تحصـيل هـذه النعمـة المهمـة فى حركـة الحيـاة؟ نقول: إنّ اللّه تبارك وتعالى ذكر فى الآيـة ٨٢ من سورة الأنعام أن هـذه النعمـة العظيمـة تكون من

نصيب المؤمنين الـذين يتحركون فى خـط الطاعـة والتقوى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ». وفى الآيـة ۲۸ من سورة الرعـد يقرر أن ذكر اللّه وعـدم الغفلـة عنه بمثابـة المنبع الـدائم للخير والبركة والأمن والإسـتقرار النفسـى. ۲- بساتين الجنّة «وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً». وإحـدى المواهب الاخروية للأفراد هى أنهم يسـكنون فى بساتين الجنّة التى تختلف فى جميع امورها عن بساتين الـدنيا، تلك البساتين التى يجرى من تحتها الأنهار، والأشـجار الخضـراء اليانعة طوال السـنة وتؤتى ثمارها فى جميع الفصول، الأشـجار التى لاـ تحتـاج لقطف ثمارهـا أن يتحمـل الإنسان بعض التعب فى ذلك بل تحضـر بنفسـها بمجرد إرادة الإنسان المؤمن وتضع نفسـها بين يديه. ۳- الراحـة والرفاهيـة «مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ». «أرائك» جمع «أريكة» والأصل فيها التخت الذى تجلس عليه العروس ثمّ اطلقت على جميع الكراسـى الجميلة، فأهل الجنّة يجلسون فى بساتينها على أرائك جميلة ويتكئون عليها ويتنعمون بنعيم الجنّة، وعبارة «متكئين» تعبير ظريف وجميل لأن الإنسان لا يعيش هـذه الحالـة من الجلوس متكئاً على الأريكة إلّاوهو ناعم البال مرتاح الضـمير آمن الخاطر، فلو كان قلقاً ومضـطرباً فإنه لا يمكنه الجلوس فى مثل هذه الحالة والإتكاء على الأريكة بل تراه يقوم ويقعـد ويتحرك من هنا ومن هناك. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۲ ۴- الأجواء المعتدلة والنسيم العليل «لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً». هواء الجنّة معتـدل جدّاً فليس هناك شـمس الصـحراء المحرقة ولا يحتاج الإنسان إلى أجهزة التبريد، وليس الجو بارداً جـدّاً ليحتـاج الإنسـان أجهزة للتدفئـة بـل يعيش الإنسـان هنـاك الربيع الـدائم والنسـيم العليل، ولا شكّ أن فى الجلوس والاتكاء على الأرائك الجميلة فى مثل هذا الجو الناعم وتحت ظلال الأشـجار المثمرة واليانعة، لذّة لا توصف وسـعادة لا تتصور. سؤال: هذه الآيات الشـريفة تنفى وجود الشـمس فى الجنّة، ولكن الآيـات اللاحقـة تتحـدّث عن وجود ظلال لأشـجار الجنّة، فلو لم تكن هناك شـمس فكيف يُعقل أن تكون هناك ظلال للأشـجار، أليس هذا من التناقض؟ الجواب: أوّلًا: إنّ القرآن لا يقول أن فى الجنّة لا يوجد شمس، بل يقول أن أهل الجنّة لا يرون الشـمس، أى أن أشـجار الجنّة متراكمـة الأغصان وكثيفـة الأوراق إلى درجـة أن أهل الجنّة لا يرون الشـمس بسـبب كثافـة هـذه الأشـجار وارتفاعها. ثانياً: إنّ المراد بقوله «لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً» أنهم لا يحسون بحرارة الشـمس الشديدة، فالآية لا تنفى وجود شمس معتدلة، وعليه فلا يوجد هناك تناقض فى البين. ۵- الظلال والفواكه «وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا». إنّ أشـجار الجنّـة تظلل على هؤلاء المؤمنين بأغصانها وتدنى إليهم ثمارها حتّى ينالون منها ما يشاؤون دون أن يتعبوا أنفسـهم فى الصعود عليها وقطف ثمارها. ۶- الخدم من الغلمان «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ». وكلّما أرادوا شـيئاً أمروا الخدم والغلمان من الولـدان المخلـدون الـذين هم فى جمالهم كاللؤلؤ المنثور ليحققوا لهم ما يريـدون، بل لا يحتاج هؤلاء الغلمان إلى الأمر والنهى لأنهم يتحركون من موقع الخدمة لصاحبهم وسيّدهم دائماً. ۷- الثياب الجميلة جدّاً «عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ». حيث يلبس أهل الجنّة أنواع الملابس الجميلة والبرّاقة والمصـنوعة من الحرير الناعم ومن السـندس والإستبرق، فحتّى الملابس التى كانت حرام عليهم فى الـدنيا فإنه يباح لهم لبسـها وارتداؤها فى الآخرة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۳ ۸- الزينة «۱» «وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ». فيباح لهم فى الجنّة التزيّن بأنواع الزينة ولبس الأسورة من الذهب والفضة. ۹- أدوات الضيافة الراقية «وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا». إنّ الأدوات التى يسـتخدمها الإنسان فى تناول غـذائه والآنية التى يسـتخدمها فى طعامه لها أهمية خاصّة، فلو أن أفضـل الأغذية وأطيب الأطعمة والأشـربة وضـعت فى آنية وأقداح غير مناسبة ووسخة فإنّ ذلك بإمكانه أن يسلب الشهية من الإنسان حتّى لو كان جائعاً، ولكن على العكس من ذلك إذا كان الغـذاء عادياً ولكن تمّ تقـديمه بآنيـة جميلـة ومناسـبة ونظيفة فإنّ ذلك من شأنه أن يثير فى الإنسان الشـهيّة للأكل، ولـذلك نجد أن آنية الجنّة وأكوابها التى يسـتخدمها أهالى الجنّة مصـنوعة من الفضة والذهب والبلور وعلى هيئـة جميلـة وجذّابـة جدّاً، وطبعاً الفضة فى ذلك العالم تختلف عن الفضة فى هذه الدنيا حيث إن تلك الآنية من الفضة شـفافة كالزجاج. ۱۰- أنواع النِعم والمواهب «وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً». فعنـدما يرد المؤمن الجنّة ويرى المواهب العظيمـة والنِعم الكـثيرة الـتى توضـع تحت اختيـاره فـإنه يرى مـا لاـ يمكن وصـفه من النعيم. ۱۱- الملـك العظيم «وَ مُلْكاً كَبِيراً» إنّ أهـل الجنّة بالنسـبة إلى الإمكانـات والخـدم والحشم والمنزلـة العظيمـة التى لـديهم يعيشون الملـك والسـلطنة العظمى وكـأن كلّ واحـد منهم يعيش السـلطنة

والملك على دولة مستقلة ومملكة عظيمة. ۱۲- أنواع المشروبات: إنّ إحدى النعم والمواهب المقررة لأهل الجنّة والتى ذكرها القرآن فى موارد متعدّدة هى أنواع الخمور والمشروبات الخاصة بأهل الجنّة، الخمر الذى لا ـ يزيل عقل الإنسان بل يثير فيه روح النشاط والوجد والسرور، ونقرأ فى هذه الآيات من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۴ سورة الدهر أن هناك ثلاث أنواع من الأشربة فى الجنّة: ألف- شراب الكافور «إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً». وهنا تتحدّث الآية عن شرابٍ ممزوج بعطر الكافور وهو المادة التى تضاف إلى الماء فى تغسيل الميت ولها خاصية مضادّة للتعفن، ولكنها تستخدم فى لغة العرب بمعنى أوسع، فتطلق على كلّ شيء معطر ذى رائحة طيبة، وعليه فالمراد من شراب الكافور هو الشراب المعطّر الذى يثير لدى أهل الجنّة لذّة كبيرة عند تناوله. ب- شراب الزنجبيل «وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا». الزنجبيل أيضاً يستعمل فى معناه المتداول والمعروف وكذلك بمعنى عطور خاصّة، ولكن هنا ورد بالمعنى الثانى حيث يتناول أهل الجنّة شراباً ممزوجاً بعطر الزنجبيل. ج- الشراب الطهور «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً». النوع الثالث من أنواع الأشربة التى يتناولها أهل الجنّة هو الشراب الطهور حيث يسقيهم اللَّه تعالى هذا الشراب فى الجنّة. هذه التعبيرات المتنوعة فى مفردة الشراب تستحق الدقّة والتأمل، فعندما يتحدّث عن شراب الكافور يعبر عنه بجملة «يشربون» أى أن أهل الجنّة يتناولون هذا الشراب بأيديهم، أما فى مورد شراب الزنجبيل وردت العبارة بجملة «يسقون» أى أن خدم الجنّة يقدّمون هذا الشراب لهؤلاء المؤمنين، وبالنسبة إلى الشراب الطهور ورد التعبير ب «سقاهم ربّهم» أى أن اللَّه تعالى هو الذى يسقيهم هذا الشراب الطاهر فى الجنّة.

ماذا يعنى الشراب الطهور؟

ماذا يعنى الشراب الطهور؟ ورد فى رواية أن أهل الجنّة عندما يشربون هذا الشراب فإنه: «يُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَوَى اللَّهِ» «۱». ويقول النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى حديث آخر عن آثار هذا الشراب الطهور فى نفوس أهل آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۵ الجنّة أنه: «فَيُطَهِّرُ اللَّهُ بِهَا قُلُوبَهُمْ مِنَ الْحَسَدِ». «۱» إنّ الحسد يُعد أحد الرذائل الأخلاقية التى يبتلى بها البشر فى حركة الحياة الدنيا، فأحياناً يمتلك الإنسان جميع النعم الدنيوية والإمكانات المعيشية فى هذه الحياة ولكنه مع ذلك لا يتحمل أن يرى الآخرين يمتلكون أيضاً مثل هذه الإمكانات والنعم ويعيشون براحة وسعادة، فالحسد بمثابة السجن الذى يسلب من الحاسد طعم الراحة والإستقرار ويورده فى وادى الضلالة والشقاء، وعلى أيّة حال فإنّ أحد المعطيات المهمّة للشراب الطهور هى إزالة هذه الرذيلة من واقع الإنسان وتطهير قلبه من هذه الصفة الأخلاقية الذميمة. سؤال: إنّ الآيات الشريفة محل البحث قد ذكرت نِعم ومواهب مختلفة وتطرّقت إلى ذكر التفاصيل والجزئيات لبعض هذه النِعم بصورة دقيقة ولكنّها لم تذكر أحد النِعم المهمّة التى طالما ذكرها القرآن الكريم لأهل الجنّة، وهى النعمة التى تخطر على بال كلّ إنسان، أى نعمة «حور العين» فلا نجد كلاماً حول هذه النعمة المهمة فى هذه الآيات الشريفة، فما هو السبب فى ذلك؟ الجواب: يرى بعض المفسّرين «۲» أنّ الآيات الشريفة أعلاه نزلت لتتحدث عن فاطمة الزهراء عليها السلام، ولم يذكر اللَّه تعالى نعمة «حور العين» فيها احتراماً لفاطمة الزهراء، وهذا شاهد آخر فى شأن نزول هذه الآيات وأنها نزلت فى الإمام على عليه السلام وأهل بيته، وإلّا فلا مبرر لعدم ذكر الحور العين فى عداد النعم والمواهب الإلهية فى الجنّة. والخلاصة أنّ هذه النِعم الإثنى عشر الواردة ضمن أربعة عشر آية من هذه السورة خاصة ب «الأبرار» الذين يقف على رأسهم الإمام على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

شبهات وردود

اشارة

شبهات وردود آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۷۶ ومع الأسف فإنّ البعض طرح فى ذيل هـذه الآيات المتعلّقـة بفضائل أهل البيت عليهم السلام وكذلك آيات الولايـة والإمامة شبهات وعلامات استفهام لا نشاهد مثيلها لدى تفسيرهم لسائر آيات القرآن الكريم، وطبعاً فإنّ الغرض من طرح هذه الشبهات معلوم مسبقاً، لأنهم إذا قبلوا بأن هذه الآيات واردة فى فضائل الإمام على وسائر الأئمّة عليهم السلام فلابدّ أن يقولوا بإمامتهم وخلافتهم بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، لأنه كما تقدّم سابقاً أن الإمامة لو كانت انتصابية من اللَّه تعالى فإنه عزّوجلّ لا يختار أىّ شخص لهذا المقام سوى الأفضل والأعلم والأشجع، ولا يمكن أن يترك الأفضل ويختار المفضول فإنّ ذلك على خلاف مقتضى الحكمة الإلهية، وإذا كانت الإمامة انتخابية فإنّ العقلاء ينبغى أن يختاروا لهذا المقام الأفضل من بين الأفراد، ومع وجود الأفضل لا يصحّ أن يختاروا المفضول، ولكن هـذه الحقيقة تتقاطع مع أهواء البعض ومسبوقاتهم الفكرية، ولذلك يتحركون فى تفسيرهم لهـذه الآيات من موقع التشكيك بهـذه الفضائل أو السعى لتهميش هـذه المناقب الواردة فى هـذه الآيات لئلّا يتورّطوا بعذاب الوجدان وتأنيب الضمير، ومن هنا نستعرض بعض هذه الشبهات والذرائع التى تمسّكوا بها:

۱- سورة الإنسان مكّية

۱- سورة الإنسان مكّيـة قالوا: إنّ سورة الدهر لم تنزل بالمدينة بل فى مكّة، ومن المعلوم أن الإمام الحسن والحسين عليهما السلام قد ولـدوا بعد الهجرة فى السنة الثانيـة والثالثـة من هجرة النبى إلى المدينـة، وعليه فإنّ زمان نزول هذه السورة كان قد سبق ولادة هذين السيّدين بعدّة سنين، فما ذكر فى شأن نزولها لا يتناسب مع كونها مكّية، ولذلك ذهب البعض إلى أن شأن نزول هذه الآيات كالتالى: «جاء رجل من الحبشة إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال له رسول اللَّه: سل واستفهم، فقال: يا رسول اللَّه: فضلتم علينا بالألوان والصور والنبوّة، أفلا رأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إنى لكائن معك فى الجنّة؟ قال: نعم والـذى نفسى بيده انه ليُرى آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۷۷ بياض الأسود فى الجنّة من مسيرة ألف عام» «۱» ثمّ نزلت عليه السورة «هل أتى» «۲». والخلاصـة أن مـا ذكر فى سبب النزول السابق لا يتناسب مع كون السورة مكّيـة. الجواب: أوّلًا: إنّ الكثير من المفسّرين والمحدّثين والمؤرّخين يرون أن سورة الـدهر نزلت فى المدينة، وقد صرّح البعض بهذا المعنى ولكن البعض الآخر لم يصرّحوا بذلك بل ذكروا أن شأن نزولها كان فى على وأهل بيته عليهم السلام وهـذا يدلّ بالملازمة أن سورة الدهر مدنيّة. وقد ذكر القاضى نوراللَّه الشوشترى فى المجلد الثالث من كتابه «احقاق الحقّ» الصفحة ۱۵۷ فصاعداً أسماء هؤلاء العلماء الذين نشير إلى طائفة منهم: ۱- «الزمخشرى» وهو من المفسّرين المعروفين لـدى أهل السنّة ومن مشاهيرهم فقد صرّح فى كتابه المعروف «الكشّاف» بأن سورة الإنسان مدنية «۳». ۲- «الواحدى» وهو عالم آخر من مشاهير أهل السنّة حيث اختار هذا الرأى فى «أسباب النزول» «۴». ۳- «ابن الجوزى» هو الآخر من علماء أهل السنّة حيث يرى مدنية سورة الدهر «۵». ۴- «الگنجى» حيث اختار هـذه النظرية فى كتابه «كفاية الطّالب» «۶». ۵- «الطبرى» حيث اختار هـذه الرأى فى «ذخائر العقبى» «۷». ۶- «الآلوسى» يرى أيضاً بأن هذه السورة مدنية «۸». ۷- «الفخر الرازى» الذى هو أشهر مفسّرى أهل السنّة حيث اختار هذه النظرية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۷۸ أيضاً «۱». ۸- «القرطبى» المفسّر المعروف حيث ذكر فى تفسيره هذه العبارة: ذكر الثّعلبى فى تفسيره: وقال أهل التفسير انّها نزلت فى على وفاطمة وجارية لهما اسمها فضّة «۲». وقال أهل التفسير أنها نزلت فى علىّ وفاطمة وجارية لهما اسمها فضة. والخلاصة انه طبقاً لشهادة علماء الإسلام هؤلاء فإنّ سورة الدهر مدنية بلا شكّ. ثانياً: ويستفاد من الآية الشريفة «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً» أن هذه السورة مدنية، لأن الأسير لم يكن له وجود فى مكّة حينذاك بل وجـد بعد هجرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين إلى المدينة وتشريع حكم الجهاد وبعدما حدثت معارك وغزوات النبى صلى الله عليه و آله، وعليه فإنّ وجود كلمة «أسير» فى هذه الآيات يدلُّ على أن هذه السورة مدنية. وأمّا مـا ذكر فى شأن النزول من الغلام الحبشى فإنه لا يتناسب إطلاقاً مع آيات سورة الـدهر، لأنّ شأن النزول هـذا ليس له ارتباط بإطعام المسكين واليتيم والأسير، وعليه فإنه لا ينسجم مع آيات هذه السورة ولا ينبغى الإعتناء بما يخالف القرآن الكريم من شأن النزول.

٢- التعارض بين الوجوب والإستحباب

٢- التعارض بين الوجوب والإستحباب وهنا يثار سؤال: هل يليق بالإمام على عليه السلام أن يدفع طعامه وطعام أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه إلى السائل؟ فى حين أن اللَّه تعالى يقول فى الآية ٢١٩ من سورة البقرة ضمن الإجابة على السؤال الذى تقدّم به بعض المسلمين إلى النبى صلى الله عليه و آله عمّا يصحّ لهم إنفاقه، فقال: آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٧٩ «قُلِ الْعَفْوَ» أى ما زاد على الضرورى واللازم فى حياة الإنسان. فإذا كانت آيات سورة الدهر نزلت فى حقّ علىّ وأهل بيته عليهم السلام إذن فلماذا تبرع الإمام بالطعام الذى يحتاجونه إلى السائل؟ الجواب: إنّ هذا الكلام يثير العجب واقعاً وخاصّةً فيما لو صدر من شخص يدّعى المعرفة والعلم، لأنّ مثل هذه المعاذير والحجج تشير إلى معالم الجهل وعدم الإطلاع، وتوضيح ذلك أن «الإنفاق» شىء و «الإيثار» شىء آخر، ومع الأسف أن من يطرح هذا الإشكال لا يدرك التفاوت بين الإنفاق والإيثار. ونقرأ فى الآية التاسعة من سورة الحشر فى وصف الأنصار: «وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ». إنّ بعض الأشخاص قد يصلون فى مرتبة الكمال المعنوى إلى درجة ومقام «الإيثار»، فعلى رغم حاجتهم الشديدة ينفقون ما يحتاجونه على الآخرين. وقد ورد فى شأن نزول هذه الآية: «أن شخصاً أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فشكى إليه الجوع، فبعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى منزله، فقالت له زوجته: ما عندنا إلّاالماء، فقال رسول اللَّه: من لهذا الرجل الليلة؟ فتعهده رجل من الأنصار وصحبه إلى بيته ولم يكن لديه إلّاالقليل من الطعام لأطفاله، وطلب أن يؤتى بالطعام إلى ضيفه وأطفأ السراج، ثمّ قال لزوجته: نوّمى الصبية، ثمّ جلس الرجل وزوجته على سماط الطعام فتظاهروا بالأكل ولم يضعوا شيئاً فى أفواههم، وظنّ الضيف أنهم يأكلون معه، فأكل حتّى شبع وناموا الليلة، فلما أصبحوا قدموا على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فنظر إليهم وتبسّم (دون أن يتكلم)، فنزلت الآية أعلاه وأثنت على إيثارهم» «١». وعلى هذا الأساس فإن من يطرح مثل هذه الشبهة فإنه لم يقرأ جميع آيات القرآن الكريم، وإلّا فلا ينبغى الشكّ بأن مقام الإيثار أعلى مرتبة من مقام الإنفاق بحيث لا يناله إلّا من اوتى حظاً عظيماً من الإيمان والخلوص، ولذلك يعد الإيثار من الصفات الخاصّة بالمؤمنين الحقيقيين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٨٠ مضافاً إلى أن الإمام على عليه السلام كما ورد فى قصة سورة الدهر لم يقدم إلى السائل سوى طعامه فقط لا طعام جميع أفراد الاسرة، ثمّ إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قدّمت طعامها إلى السائل بكلّ اختيار ورغبة وهكذا صنع الحسن والحسين عليهما السلام وهذا يدلُّ على غاية الإيثار الذى يذكره القرآن الكريم من موقع الثناء والمدح. وأمّا فى مورد قوله تعالى «قُلِ الْعَفْوَ» فهناك نظريتان فى المراد منها، إحداهما أن المراد من «العفو» هو الشىء الزائد عن حاجة الإنسان «١»، ولكن الإحتمال الثانى هو أن يكون «الْعَفْوُ هُوَ الطَّيِّبُ مِنَ الْمالِ» ولذلك لابدّ من التصدّق على الفقير والمسكين من هذا النوع من الأموال «٢» لا كلّ ما زاد عن حاجة الإنسان واستغنى عنه فى حياته فإنّه يقوم بالتصدّق به إلى الفقراء، لأنه فى هذه الصورة سوف لا يصل إلى حقيقة البر والإحسان فى قوله تعالى «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» «٣». وعليه فإنّ قوله «قُلِ الْعَفْوَ» يحتمل قوياً أن يراد به التوصية ببذل أفضل ما بأيدى الإنسان من أموال ووسائل إلى الفقراء لا أنه يتصدّق بما لا يحتاج إليه، وهذا هو معنى الإيثار الذى أشارت إليه آيات سورة الدهر. وبالإلتفات إلى ما تقدّم آنفاً فإننا لا نجد تنافياً بين آية «قُلِ الْعَفْوَ» وبين شأن نزول آيات سورة الدهر، بل وأكثر من ذلك فإنها منسجمة معها ومؤيدة لها.

٣- آيات سورة الدهر عامة أو خاصّة؟

٣- آيات سورة الدهر عامة أو خاصّة؟ سؤال: هل أن آيات سورة الدهر التى وردت فى وصف «الأبرار» وما ذكر من أنواع المثوبات والجزاء فى الجنّة لهؤلاء تختص بالإمام على عليه السلام وزوجه وابنيه، أو هى عامة وشاملة لجميع الأشخاص الذين يتصفون بصفة «الأبرار»؟ وإذا كان الإحتمال الثانى هو آيات الولاية فى القرآن، ص: ١٨١ المتعيّن «١» إذن فلماذا نحصر الآيات الشريفة بأهل بيت

النبوّهٔ؟ الجواب: أوّلًا: إنّ الشواهد والقرائن الموجودهٔ فی الآیات الشریفهٔ لا- یمکن تطبیقها علی جمیع الأبرار، بل تنطبق علی أبرار معینین، مثلًا یستفاد من هذه الآیات أن الأبرار المقصودین فیها هم الذین نذروا للّه تعالی وعملوا بذلک النذر وتحرکوا من موقع الإیثار العظیم فی إنفاقهم علی المسکین والیتیم والأسیر، وعلیه فإنّ الآیات محل البحث لا تستوعب الأبرار الذین لم یتصفوا بهذه الصفات کالنذر وأشباهه. ثانیاً: علی فرض أن الآیات المذکورهٔ عامّهٔ وشاملهٔ لجمیع الأبرار ولکن بدون شک أنها شاملهٔ لشأن نزولها أیضاً بل إنّ الإمام علیّ وفاطمهٔ والحسن والحسین علیهم السلام من أبرز مصادیق الأبرار قطعاً. والخلاصهٔ إنّ آیات سورهٔ الدهر تعد من مناقب أهل البیت علیهم السلام وفضائلهم ومن معالم أحقیتهم لمقام الإمامهٔ والخلافهٔ بعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله.

توصیات الآیهٔ

۱- أهمیّهٔ إسداء المعونهٔ إلی المحتاجین

۱- أهمیّهٔ إسداء المعونهٔ إلی المحتاجین إنّ المحور الأساس الذی تدور حوله الآیات الثمانیهٔ عشر فی هذه السورهٔ والذی استوجب کلّ هذه المثوبات العظیمهٔ هو مسألهٔ إسداء ید العون إلی المحتاجین والمحرومین، وهذا یدلُّ بوضوح علی أهمیّهٔ هذه المسألهٔ فی دائرهٔ المفاهیم القرآنیهٔ وأن اللّه تعالی یولی أهمیهٔ خاصّهٔ إلی هذا الموضوع، فکلُّ من أراد الدخول تحت مظلّهٔ عنایهٔ اللّه ورحمته الواسعهٔ یجب أن یهتم بقضاء حوائج المحتاجین وإشباع جوعهٔ الجائعین ورفع حرمان المحرومین، ولو انه ارتفع فی مدارج الکمال أکثر من ذلک وتحرّک من موقع الإیثار إلی المحتاجین فلا شکّ أنّ عنایهٔ اللّه ولطفه ورحمته ستشمل هذا الإنسان، ومن أجل توضیح هذا الموضوع وبیان أهمیهٔ مساعدهٔ المحرومین والمحتاجین نذکر روایتین فی هذا المجال: آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۱۸۲ ۱- یقول الإمام علی علیه السلام فی کتابه ووصیته إلی ابنه الإمام الحسن علیه السلام: وَاعْلَمْ أَنَّ امَامَکَ عَقَبَهً کَؤُوداً، الْمُخِفُّ فِیهَا احْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، وَ الْمُبْطِیءُ عَلَیْهَا اقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَانَّ مَهْبِطَکَ بِهَا لَا مَحَالَهَٔ امَّا عَلَی جَنَّهٍٔ أَوْ عَلَی نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِکَ قَبْلَ نُزُولِکَ، وَوَطِّیءِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِکَ، فَلَیْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَی الدُّنْیَا مُنْصَرَفٌ «۱». وهکذا نری أن أفضل وسیلهٔ لعبور هذا المضیق الخطر والعقبهٔ الکؤود وأفضل زاد لسفر القیامهٔ والورود فی صحراء المحشر هو مساعدهٔ الفقراء والمحتاجین والإحسان إلیهم، فهذا العمل فی الحقیقهٔ یشبه ما إذا دفعنا ما نحتاجه فی صحراء المحشر إلی هؤلاء الفقراء والمساکین فی الدنیا لیحملوه عنا ثمّ یعیدونه إلینا فی ذلک الیوم العسیر، فهل هناک أفضل من هذه المعاملهٔ المربحهٔ؟ ۲- وینقل المحدّث الکلینی وهو من کبار علماء الشیعهٔ حدیثاً فی الکافی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال: ثَلَاثٌ مَنْ اتَی اللَّهَ بِوَاحِدَهٍٔ مِنْهُنَّ اوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّهَٔ؛ الْانْفاقُ مِنْ اقْتَارٍ «۲»، وَالْبِشْرُ لِجَمِیعِ الْعَالَمِ «۳»، وَالْانْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ. «۴» وهکذا ندرک أهمیهٔ أن یری الإنسان حقّه وحقوق الآخرین بعین واحدهٔ وینصف الناس من نفسه، ولهذا ورد فی روایهٔ اخری قوله علیه السلام: انَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ الَّذِی یُحِبُّ لَاخیهِ ما یُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَیُکِرْهُ لَهُ مَا یُکْرِهُ لِنَفْسِهِ. «۵» آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۱۸۳

۲- المعیار فی العمل لیس کمیّته

۲- المعیار فی العمل لیس کمیّته والشیء الآخر الذی یمکن أن نستوحیه من آیات سورهٔ الدهر هی أن الإسلام یری أن المعیار الصحیح للأعمال یکمن فی کیفیهٔ العمل لا کمیته ومقداره، لأن جمیع ما أنفقه هؤلاء الأولیاء فی هذه الاسرهٔ الطاهرهٔ لا یتجاوز عدّهٔ کیلوغرامات من الشعیر، ولکن بما أن هذا العمل کان متوائماً مع الأخلاص وکان بدافع رضا اللّه تعالی فقط فإنّ هذا الدافع هو الذی رفع قدر ذلک العمل وترتبت علیه تلک المثوبات العظیمهٔ التی وردت فی هذه السورهٔ، فعنصر «الإخلاص» یحقّق معجزهٔ فی تغییر ماهیّهٔ العمل، فأحیاناً یوصل قیمهٔ العمل إلی ألف ضعف وأحیاناً اخری إلی ملیون ضعف وثالثهٔ إلی ملیارد ضعف، وقد یصل بالعمل

أحیاناً إلی مـا یسـتوعب فی قیمته جمیع عبادات الجن والانس إلی یوم القیامـة «۱»، وعلامـة مثل هـذا الأخلاص هی أن الإنسان الذی یتحرک فی عمله من موقع الإخلاص لا یری سوی اللَّه تعالی فی عمله هـذا ولا یتوقع أجراً من أحد غیره بل لا یتوقع الشـکر علیه، وقد یصل الإنسان بدرجـة من الإخلاص أن یتساوی عنـده الشـکر مع الإهانـة فلا یفرح بالشـکر ولا یتألم من السبّ والإهانـة فی مقابل هذا العمل، فهنیئاً لمن یعیش هذا المقام وهذه الروحیة المخلصة.

۳- إنعکاس آیات سورة الدهر فی الأشعار

۳- إنعکاس آیات سورة الـدهر فی الأشـعار إنّ شأن نزول آیات سورة الدهر فی الإمام علی علیه السـلام وأهل بیته علیهم السـلام کان إلی درجـة من الوضوح والبداهـة حتّی أننا نجـدها فی أشـعار الشـعراء أیضاً، حیث نقرأ فی أشـعار محمّد بن إدریس المطلبی الشافعی الـذی هو من أئمّة أهل السـنّة «۲» أنه قال هـذه الأشـعار فی الإمام آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۱۸۴ علی علیـه السـلام: إلی مَ إلی مَ وَحَتّی مَتی اعاتَبُ فِی حُبِّ هذَا الْفَتی وَهَلْ زُوِّجَتْ فاطِمُ غَیْرَهُ وفِی غَیْرِهِ هَلْ أَتی «هَلْ أَتی»؟ «۱» آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۸۵

آیة التوبة لآدم

اشارة

آیة التوبة لآدم ۱۰ [سورة البقرة (۲): آیة ۳۷] قُمِ اللَّیْلَ إِلاَّ قَلِیلًا (۲) «سورة البقرة/ الآیة ۳۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآیة الشریفة أعلاه تبین من جهة بعض زوایا قصة آدم علیه السلام ومن جهة اخری تعتبر دلیلًا مهماً علی مشروعیة التوسل وطلب الشفاعة، ومن جهة ثالثة تتحدّث عن عنصر التوبة والإنابة إلی اللَّه تعالی، وتعدّ من آیات الفضائل للخمسة الطاهرین ومضافاً إلی الامور المـذکورة آنفاً فی هذه الآیة الشـریفة فهناک روایات واردة فی کتب العامّة والخاصّة تشـیر إلی ارتباط هذه الآیة الشـریفة بأهل البیت علیهم السلام کما سیتّضح ذلک فی طیّات البحث.

الشرح والتفسیر: التوبة والإنابة إلی اللَّه تعالی

الشرح والتفسیر: التوبة والإنابة إلی اللَّه تعالی «فَتَلَقَّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ» فبعد أن جری ما جری من وسوسة إبلیس وإخراج آدم وحـواء مـن الجنّـة التفت آدم إلی أنه ظلم نفسه، وبسـبب وسـاوس الشـیطان تمّ إخراجه من تلکم الأـجواء المرفّهـة وذلـک النعیم العظیم حیث خرج بعـدها إلی أجواء المشـقّة والبلاء فی الحیـاة الـدنیا، ثمّ إنّ آدم فکّر هنا وصـمم علی جبران الخطأ الـذی صـدر منه وتوجه آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۱۸۶ بکلِّ وجوده إلی اللَّه تعالی فی حالـة من الندم الشدید والحسـرة العظیمة، فشـمله لطف اللَّه تعالی فی هـذا الحال کما تقول الآیة الشـریفة: «فَتَلَقَّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ». وأما ما هی هذه الکلمات وما هو المراد منها؟ فسیتّضح ذلک فی المباحث اللاحقة. «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ» التوبة فی الأصل بمعنی «الرجوع» ووردت فی الآیات القرآنیة بمعنی الرجوع من الذنب، هذا فیما لو نسبت هذه الکلمة إلی الشخص المذنب، ولکن أحیاناً تنسب هذه الکلمة إلی اللَّه تعالی وتعنی حینئذٍ الرجوع بالرحمة علی العبد، أی الرحمة التی سـلبت من العبد بسبب معصیته وارتکابه للذنب تعود إلیه عندما یتحرک هذا الإنسان فی خطّ الطاعة والإنابة إلی اللَّه تعالی. وعلی أیّة حال فإنّ الجملة أعلاه «انَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ» هی السبب فی قبول توبة آدم.

دروس من قصة آدم وحواء

دروس من قصة آدم وحواء ونستوحى دروساً مهمة من قصة آدم وحواء الواردة فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة «۱» وتتضمن مفاهيم بنّاءة ومؤثرة فى حياة الإنسان المعنوية والأخلاقية ينبغى الإلتفات إليها: ۱- إنّ اللّه تعالى يقرّر جعل آدم بعنوانه خليفة اللّه فى الأرض «إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» «۲». فما هى الشروط التى لابدّ أن تتوفر فى هذا الخليفة؟ وهل أن جميع أفراد البشر هم خلفاء اللّه، أو أن هذا المقام السامى وهذا اللباس الفاخر لا يناله ولا يرتديه إلّامن اوتى حظاً عظيماً منهم؟ لابدّ من التدبّر فى الآيات الشريفة لمعرفة هذه الامور والمعارف المهمة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۷ ۲- إنّ الملائكة سألوا اللّه تعالى من موقع الإستفهام لا من موقع الإعتراض: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ» «۱». فمن أين علمت الملائكة بسوابق الإنسان وأنه سيرتكب الجرائم فى الأرض؟ ۳- إنّ اللّه تعالى خاطب الملائكة بقوله «إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» «۲» ثمّ إنه تعالى علّم الأسماء لآدم ثمّ سأل الملائكة عن هذه الأسماء فأظهروا جهلهم بها وعدم اطلاعهم عليها، وهنا أمر اللّه تعالى آدم أن يعلمهم بالأسماء فعندما علّمهم وعرّفهم بها أدرك الملائكة خطأهم واعترفوا بجهلهم وقصورهم، فهنا قد يتساءل: ما هو علم الأسماء؟ ماذا كان يتضمن العلم بأسرار الخلقة والكائنات بحيث رفع مقام آدم إلى تلك الدرجة السامية؟ ۴- ثمّ إنّ اللّه تعالى أمر جميع الملائكة بالسجود لآدم «قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا» «۳» فكيف نال آدم ذلك المقام الرفيع بحيث أصبح مسجوداً لجميع الملائكة؟ ومن هنا ندرك التفاوت والفرق بين المذهب الذى يرفع من قدر الإنسان إلى ذلك المستوى الرفيع وبين المذاهب الأرضية التى تهبط بالإنسان إلى مستوى القردة والحيوانات. ۵- فى بداية الخلقة سكن آدم وحواء الجنّة، فأين كانت هذه الجنّة؟ هل كانت بستان من بساتين الدنيا، أو أنها جنّة الآخرة؟ وفى هذه الصورة كيف تمّ إخراج آدم وحواء منها؟ ۶- كيف استطاع الشيطان خداع آدم؟ وبأى شكل تمكّن الشيطان من دفع آدم باتجاه التلوّث بالخطيئة وترك الأولى «أى العمل الذى تركه أولى من فعله»؟ ۷- عندما أكل آدم من الشجرة الممنوعة فإنه وجد نفسه عرياناً وسقطت جميع ملابسه عنه ولهذا اضطر إلى التستر بأوراق الشجر فماذا كانت الشجرة الممنوعة؟ ومن أين صنعت تلك الملابس وما هو جنسها ونوعيتها؟ ۸- عندما وجد آدم نفسه عرياناً التفت إلى خدعة الشيطان وندم على فعله. ۹- ولأجل جبران خطئه وجب عليه التوبة والإنابة إلى اللّه تعالى، وينبغى عليه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۸ لتحقيق هذا الغرض أن يتقرب إلى اللّه تعالى بشخص معيّن فمن هو هذا الشخص؟ ۱۰- ورغم أن توبة آدم قد قُبلت ولكنه اخرج من الجنّة وسكن فى الأرض، فهل أنه سكن الجنّة هو وزوجته بشكل مؤقت من البداية، أو أن المقرر أن يخلّد فيها ولكنه بسبب ارتكابه لترك الأولى اخرج منها؟ إنّ النقاط العشرة المتقدّمة تحتاج جميعها إلى دراسة دقيقة وبحث وافر ومفصّل، ولكننا هنا سنشير فقط إلى النقطة التاسعة منها بما يتناسب مع الآية مورد البحث، أى مسألة توسل آدم فى هذه الآية.

توسل النبى آدم

توسل النبى آدم عندما تم إسكان آدم وحواء فى الجنّة أباح لهما اللّه تعالى الإستفادة من جميع النعم والمواهب فيها إلّاشجرة واحدة أمره بالإبتعاد عنها وعدم تناول شىء منها، وهكذا استمر آدم وحواء فى حياتهما السعيدة فى الجنّة ولم يقتربا من الشجرة الممنوعة، ولكنّ الشيطان الذى تلّقى ضربة قاصمة عند خلق آدم وتمّ إخراجه من الجنّة وأصبح مورد اللعنة الأبدية كان يتحين الفرصة للانتقام من آدم، ولهذا شرع بالوسوسة لآدم وحواء ليدفعهما نحو الشجرة الممنوعة والتلوّث بالخطيئة. ونعلم أن الشيطان عندما يوسوس للإنسان بالخطيئة فإنه لا يتقدم بالإنسان باقتراح ممارسة الذنب بصورة مباشرة بل يغطّى الذنب بأقنعة زائفة وبرّاقة وجذّابة بحيث إنّ الإنسان عندما يتحرّك نحو الذنب يتصور أنه يقدم على عبادة ويؤدى وظيفته الشرعية كما يحدّثنا القرآن الكريم عن ملكة سبأ وقومها المشركين الذين كانوا يعبدون الشمس: «وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ» «۱». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۸۹ وعلى هذا الأساس تقدّم الشيطان فى خداعه ووسوسته لآدم بالقول:

«هَلْ أَدُلُّکَ عَلی شَجَرَةِ الْخُلْدِ» «۱». إنّ الإنسان یطلب البقاء والخلود بفطرته ویفزع من الفناء والعدم، والأشخاص الذین یعیشون الخوف من الموت فإنهم یتصورون أن الموت یعنی الفناء والعدم، ولکنّ المؤمنین وأتباع أهل البیت لا ـ یرون الموت سوی قنطرة ینتقلون منها إلی عالم أکبر وأوسع، ولذلک فلا یشعرون بالخوف من الموت. وعلی أیّة حال فإنّ الشیطان وبهذه الحیلة والخدعة من أن الشجرة الممنوعة تورث البقاء والخلود فی الجنّة استطاع إغفال آدم عن النهی الإلهی وجرّه إلی التناول من الشجرة، ثمّ إنّ آدم أدرک خدعة الشیطان وندم بشدّة علی ما صدر منه وأراد التوبة إلی اللّه والإنابة إلیه ولکنه لم یکن یعرف طریق التوبة هذا، فعلّمه اللّه تعالی کیفیة التوبة والتوسل بأن ألقی إلیه کلمات استخدمها آدم فی عملیة التوبة، فکانت النتیجة أن قبل اللّه تعالی توبته وأعاده إلی مقامه الکریم لدی اللّه تعالی، واستطاع آدم بهذه التوبة أن یوجّه ضربة قاصمة اخری للشیطان الرجیم والعدو الرئیسی للإنسان.

ماذا کانت الکلمات؟

ماذا کانت الکلمات؟ أما المراد من «الکلمات» التی تلّقها آدم من اللّه تعالی وتوسل بها إلی اللّه لیقبل توبته فهناک آراء مختلفة فی تفسیرها، ونکتفی هنا بالإشارة إلی ثلاث نظریات منها: ۱- إنّ المراد من الکلمات هو ما ورد فی الآیة ۲۳ من سورة الاعراف فی قوله تعالی: «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ». فعندما نطق آدم وحواء بهذه الکلمات قبل اللّه تعالی توبتهما «۲». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۹۰ ۲- إنّ المراد من الکلمات کما یری «مجاهد» هی هذا الدعاء: اللّهُمَّ لا الهَ إلّاانْتَ، سُبْحانَکَ وَبِحَمْدِکَ رَبِّ انّی ظَلَمْتُ نَفْسی فَاغْفِرْ لِی انَّکَ خَیْرُ الْغافِرِینَ. اللّهُمَّ لا الهَ إلّاانْتَ، سُبْحانَکَ وَبِحَمْدِکَ رَبِّ انّی ظَلَمْتُ نَفْسی فَارْحَمْنِی، انَّکَ انْتَ ارْحَمُ الرّاحِمِینَ. اللّهُمَّ لا ـ الَهَ الّا انْتَ، سُبْحانَکَ وَبِحَمْدِکَ رَبِّ انّی ظَلَمْتُ نَفْسی، فَتُبْ عَلَیَّ انَّکَ انْتَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ. «۱» ۳- إنّ المراد من الکلمات هو: النبی محمّد، الإمام علیّ، فاطمة، الحسن والحسین علیهم السلام أی أن آدم توسل إلی اللّه تعالی بهؤلاء الخمسة الطاهرین واستشفع إلی اللّه بهم فقبل اللّه تعالی توبته ببرکتهم «۲». وهناک أحادیث کثیرة وردت فی مصادر الشیعة وأهل السنّة تؤید النظریة الثالثة هذه، رغم إمکانیة الجمع بین النظریات الثلاث المذکورة آنفاً ولا منافاة فیما بینها، أی أن آدم توسل بهؤلاء الخمسة الأطهار، ولکنّ صیغة التوبة وردت علی لسانه کما رأینا فی النظریة الاولی والثانیة. وکما رأینا أن بعض علماء أهل السنّة رجّحوا النظریة الثالثة التی هی مورد اتفاق علماء الشیعة وأوردوا روایات تدلُّ علی هذا المطلب، نشیر هنا إلی ثمانیة منهم: ۱- العلّامة البیهقی فی کتاب دلائل النبوّة «۳». ۲- العلّامة ابن عساکر فی المسند «۴». ۳- العلّامة السیوطی فی تفسیر الدرّ المنثور «۵». ۴- العلّامة السیوطی فی جمع الجوامع «۶». ۵- العلّامة الکاشفی فی معارج النبوّة «۷». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۹۱ ۶- العلّامة القندوزی فی ینابیع المودّة «۱». ۷- العلّامة ابن المغازلی فی المناقب «۲». ۸- العلّامة النطنزی فی الخصائص العلویّة «۳». ونکتفی هنا بذکر عدّة نماذج من هذه الروایات الشریفة: الف) ینقل ابن المغازلی عن ابن عبّاس قوله: سُئِلَ رَسُولُ اللّه صلی الله علیه و آله عَنِ الْکَلِماتِ التی تَلَقّاها آدَمَ، قال: سَئَلَهُ آدَمُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِیٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَیْنِ الّا ما تُبْتَ عَلیّ فَتابَ عَلَیْهِ. «۴» ب) وینقل ابن عساکر فی مسنده عن الخلیفة الثانی قوله: قالَ آدَمُ: اسْئَلُکَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ الّا غَفَرْتَ لِی- إلی قوله علیه السلام- وَلَوْ لا هُوَ ما خَلَقْتُکَ. «۵» ورغم أن عمر بن الخطاب لم ینسب هذه الروایة إلی النبی الأکرم ولکنّ مثل هذه المفاهیم والمطالب لا یطلّع علیها غیر النبی أو الإمام المعصوم علیهم السلام ولذلک فمن المسلّم أنه سمعها من نبی الإسلام صلی الله علیه و آله. ج) وینقل العلّامة النطنزی هذه الروایة فی «الخصائص العلویة»: إنَّ الْکَلِماتِ الَّتی تَلَقّاها آدَمُ مِنْ ربِّه: اللّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِیٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَیْنِ الّا تُبْتَ عَلَیْهِ فَتابَ اللَّهُ عَلَیْهِ. «۶» وفی ذیل هذه الروایة ورد أنه عندما قُبلت توبة آدم صنع آدم لنفسه خاتماً وکتب علی فصه اسم نبی الإسلام بعنوان «رسول اللّه» واسم علی بن أبی طالب بعنوان «أمیرالمؤمنین». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۹۲ الخلاصة أنه طبقاً للروایات الکثیرة الواردة فی کتب الفریقین «وما ذکر آنفاً کانت نماذج من روایات کثیرة فی هذا الباب» أن المراد من الکلمات التی توسل بها آدم إلی اللّه تعالی وقبلت توبته ببرکة هذه الکلمات هم «الخمسة الأطهار» فهل أن هذا المقام السامی فی عالم الوجود تحقّق لشخص

آخر غیر أهل البیت علیهم السلام؟ ألا تدلّ هذه الفضیلة العظیمة علی أن هؤلاء الأشخاص هم أفضل البشر علی الإطلاق؟ إذا کان کذلک (وهو کذلک حتماً) وأراد اللّه تعالی أن یختار خلیفة لنبیّه الکریم فهل یعقل أن تسمح حکمة اللّه تعالی بأن یکون أشخاص آخرون خلفاء لرسول اللّه مع وجود الشخص الأفضل؟ وإذا أراد الناس أن یختاروا لأنفسهم شخصاً بعنوانه إماماً وخلیفة علیهم فهل یجیز العقل أن یختار العقلاء أشخاصاً آخرین مع وجود الأفضل منهم؟ والحکم إلیکم.

هل أن التوسل مشروع؟

هل أن التوسل مشروع؟ مع الأسف أن مکّة المکرمة والمدینة المنورّة ومقدّرات هاتین المدینتین المبارکتین قد وقع بید الوهابیین الذین یعیشون الإعتقادات الجافّة والخشنة ویرتدون ثیاب القداسة الزائفة فی مخالفتهم الشدیدة لمسألة التوسل هذه ویمنعون المسلمین من زیارة قبر النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله والتوسل بمقامه وکرامته عند اللّه تعالی وکذلک زیارة قبور أئمّة البقیع الطاهرین علیهم السلام وسائر عظماء الإسلام المدفونین فی البقیع، فمن أین لهم الحقّ فی تحمیل عقائدهم الخشنة علی سائر المسلمین حتّی علی الکثیر من أهل السنّة أیضاً؟ لو کان لهم مثل هذا الحقّ فلماذا لا یتحرکون لفرض کیفیة الصلاة التی یعتقدون بها فی وجوب التکتف علی سائر المسلمین؟ هذه بعض الأسئلة وعلامات الإستفهام التی تراود کلّ مسلم یزور مکّة والمدینة ولا یجد جواباً لها ... أجل إن الوهابیین یخالفون بشدّة مسألة التوسل ویرون أنها تتنافی مع التوحید وأنها من قبیل الشرک باللّه تعالی! وقد حان الکلام لبحث مسألة التوسل ومشروعیته من خلال الآیات القرآنیة وروایات المعصومین علیهم السلام. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۹۳

أقسام التوسل

أقسام التوسل للتوسل أقسام مختلفة: ۱- تارةً یکون المخاطَب لنا هو النبی أو الإمام نفسه، من قبیل ما ورد فی دعاء التوسل حیث یخاطب الداعی کلُّ واحد من المعصومین فرداً فرداً ویطلب من هؤلاء الطاهرین أن یشفعوا له عند اللّه بما لدیهم من الجاه والمقام والکرامة عنده، ففی هذا النوع من التوسل نحن نطلب حاجتنا فی الحقیقة من اللّه تعالی ونجعل هؤلاء المعصومین وسائط فی هذا الطلب. ۲- وتارةً اخری یکون المخاطَب هو اللّه تعالی، ولکنّ الداعی یخاطب اللّه تعالی بحقِّ الشخص الذی یعتبره وجیهاً عند اللّه لیضمن استجابة حاجته وطلبه کما توسل آدم إلی اللّه تعالی بالخمسة الطاهرین: «اللّهُمَّ یا حَمیدُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَیا عالِیُ بِحَقِّ عَلِیٍّ وَیا فاطِرُ بِحَقِّ فاطِمَةَ وَیا مُحْسِنُ بِحَقِّ الْحَسَنِ وَیا قَدیمَ الْاحْسانِ بِحَقِّ الْحُسَیْنِ». وفی هذا النحو من التوسل یطلب المتوسل حاجته من اللّه أیضاً ویجعل کرامة هؤلاء الأولیاء واسطة لضمان الإستجابة. ۳- وفی قسم ثالث یکون اللّه تعالی هو المخاطَب أیضاً ولکننا نقسم علیه بحقِّ الشخص الذی له وجاهة عند اللّه لیستجیب لنا دعاءنا ویقضی حاجتنا، من قبیل أن یقال: إلهنا نقسم علیک بنبی الإسلام أو بالقرآن الکریم أو بغیر ذلک من المقدّسات، إلّاما قضیت حاجتنا. ولکنّ الوهابیین یحرّمون جمیع أقسام وأنواع التوسل هذه ویعتبرونها نوعاً من الشرک، وهنا نلفت النظر إلی بعض مقولات رموزهم وعلمائهم: ۱- یقول محمّد بن عبدالوهاب فی کتابه «التوحید» الذی ینبغی أن یسمّی بکتاب «الشرک»: إنّ هذا الشّرک الأکبر «۱» (أی التوسل). آیات الولایة فی القرآن، ص: ۱۹۴ ۲- یقول الصنعانی أحد علماء الوهابیة أیضاً: من توسّل بمخلوق فقد أشرک مع اللّه غیره واعتقد ما لا یحلّ اعتقاده. «۱» ۳- ویقول ابن تیمیة المؤسس الحقیقی للفکر الوهابی: من توسّل بعظیم عند اللّه ... فهذا من أفعال الکفّار والمشرکین. «۲» والخلاصة هی أن من یعتقد بمذهب الوهابیة یری أن أی نوع من التوسل هو شرک باللّه تعالی وأن المتوسل منحرف عن الإسلام الحقیقی، ولذلک یتحرکون فی مکّة والمدینة بذریعة «الشرک» و «البدعة» من موقع إلحاق الأذی وإیجاد المشاکل لحجاج بیت اللّه الحرام وزوار المدینة المنورّة.

مقام التوحید ومکانته السامیة

مقام التوحيد ومكانته السامية ولأجل بيان هذه الحقيقة وهى أن التوسل لا يتنافى إطلاقاً مع التوحيد نرى من اللازم فى البداية توضيح معنى التوحيد وبيان مقامه السامى فى دائرة المعتقدات الإسلامية، وباعتقادنا أن التوحيد هو أصل وأساس الدين ويلعب دوراً أساسياً فى جميع الامور المتعلّقة بالدين والسلوك الدينى، إنّ اللّه تعالى واحد، وجميع الأنبياء دعوا أقوامهم إلى شىء واحد، وأن جميع الناس سوف يبعثون بعد الموت، وأن الكعبة هى قبلة المسلمين، والقرآن لدى جميع المسلمين واحد، والخلاصة أن التوحيد يمثل الأصل والأساس لجميع اصول الدين وفروعه، ولهذا فإنّ التوحيد ليس أصلًا من اصول الدين فقط بل يستوعب جميع اصول الدين وفروعه، والتوحيد بمثابة خيط المسبحة الذى يربط جميع حباتها بحيث لولا ـ التوحيد لا ـ يبقى للدين من معنى كما أنه لولا خيط المسبحة لا يبقى معنى لوجود المسبحة، وبالالتفات إلى هذا المعنى للتوحيد ومكانته العليا بين العقائد والمفاهيم الإسلامية فإننا نعتقد بأن كلّ أمر يتنافى مع التوحيد فهو مرفوض ومردود. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۵

أقسام التوحيد

أقسام التوحيد للتوحيد أقسام ومراتب متعدّدة، ونشير هنا إلى أربعة مراتب مهمّة للتوحيد: ۱- توحيد الذات: يعنى الإعتقاد بأن اللّه تعالى واحد فى ذاته، وليس المراد بأنه واحد فى العدد أى موجود واحد لا إثنين لأنه على أساس المعنى الأوّل للتوحيد أن اللّه واحد، بمعنى أن الإنسان لا ـ يتصور له شبيه ومثيل، ولكن على المعنى الثانى يمكن تصور الشبيه والمثيل رغم انعدام الوجود الخارجى لهذا الشبيه. وعلى هذا الأساس فإنّ الآية الاولى من سورة التوحيد «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تفسر بمعنى قوله تعالى فى هذه السورة أيضاً «لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» فلا ـ نظير له ولا ـ شبيه ولا يمكن تصور النظير والشبيه له. ۲- توحيد الصفات: فجميع صفات اللّه تعالى تعود إلى حقيقة واحدة، فليست صفة العلم شىءٌ آخر غير القدرة، والقدرة الإلهية أيضاً ليست شيئاً آخر غير الأزلية، وهكذا سائر الصفات الاخرى تعود فى الحقيقة على الذات، ولكن بالنسبة إلى الإنسان فيمكن القول أن علمه فى روحه، وشجاعته وقدرته فى عضلاته، ورحمته فى قلبه، ولا يصحّ هذا القول بالنسبة إلى اللّه تعالى فإنّ ذاته المقدسة هى علم وقدرة وحياة وغير ذلك. ۳- توحيد الأفعال: إنّ كلُّ فعل أو حركة أو ظاهرة فى هذا العالم هى فى الواقع من تجليّات الذات المقدسة ولا ـ شىء بإمكانه أن يؤثر فى عالم الوجود بدون إذنه ومشيئته «لا مُؤَثِّرَ فِى الْوُجُودِ الَّا اللَّهُ» فعندما تحرق النار شيئاً فإنّ ذلك بإذن اللّه، ولذلك رأينا أن نار نمرود لم تستطع إحراق إبراهيم لأن اللّه تعالى لم يأذن لها بذلك، وعندما يطفىء الماء النار فذلك أيضاً بمشيئة اللّه، وكلُّ ما نعمل من عمل فإن ذلك بإذن اللّه لأنه تعالى هو الذى أقدرنا على ذلك ومنحنا الإختيار والحرية والقدرة والعقل لنتصرف كيف ما نريد، فكلُّ ذلك حصلنا عليه من اللّه تعالى، وكلُّ حركة من حركاتنا تعود إلى ذاته المقدسة، والخلاصة أن المؤثر للاستقلال هو اللّه تعالى وما بقى من الأسباب فليس لها قدرة على التأثير إلّابمشيئة اللّه وإرادته. ۴- توحيد العبادة: إنّ العبادة لا ـ ينبغى أن تكون إلّاللّه تعالى ولا يوجد موجود يليق آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۶ بالعبادة غير اللّه تعالى، كما يشاهد من بعض الشيعة عندما يدخلون المشاهد المشرّفة لأحد الأئمّة الأطهار عليهم السلام فإنّهم يقبلون الأرض أو عتبة الباب، فهو فى الحقيقة من قبيل سجدة الشكر للّه تعالى أنه وفقهم لزيارة أوليائه لا أنها سجود للإمام (والعياذ باللّه) لأن الشيعة لا يعتقدون بأى موجود يستحق العبادة والسجود غير اللّه تعالى ولا يسجدون لغير اللّه، ولذلك نوصى الشيعة أن يتركوا هذا العمل أيضاً أى سجدة الشكر أمام الضريح المقدّس دفعاً لهذا التوهم وألا يكون ذلك ذريعة بيد البعض ليتحركوا ضد الشيعة من موقع التهويل والإتهام، وعلى أيّة حال فإنّ العبادة لا تكون إلّاللّه تعالى. هذه المراتب الأربع للتوحيد تعتبر المراتب الأصلية للتوحيد رغم وجود مراتب اخرى متفرعة عليها نظير: توحيد الحاكمية «۱»، توحيد الشارعية «۲»، توحيد المالكية «۳»، وأمثال ذلك «۴». ومن هنا يتضح أن الإنسان المسلم إذا اعتقد بما ذكر أعلاه من حقيقة التوحيد فإنه كامل الإيمان وموحد فى نظر الإسلام، ولكن الوهابيين الذين يدّعون التوحيد ويرفضون الشرك لم يدركوا عمق هذه المراتب للتوحيد الواردة فى تعاليم أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولذلك فهم يتهمون الآخرين بالشرك دائماً.

الأشاعرة والتفسير الخاطىء للتوحيد الأفعالى

الأشاعرة والتفسير الخاطىء للتوحيد الأفعالى الأشاعرة وهم أحد مذاهب أهل السنّة عندما لم يستوعبوا الفهم الصحيح للتوحيد آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۹۷ الأفعـالى ذهبوا إلى الجبر وأن الإنسـان مجبور على أفعـاله، لأنهم تصوروا إنّ الإنسان إذا كان مختاراً فى أفعاله فإنّ ذلك يعنى الشـرك فى دائرة التوحيد الأفعالى، فى حين أن هذه العقيدة (وهو الجبر) تثير علامات الإستفهام فى كافة اصول العقيـدة من النبوّة والقيامة والإمامة والعبادات التى أمر بها الإسـلام. والحقيقة أن الإنسان لو كان مخيّراً ومجبوراً فى أفعاله وكان يعيش فقـدان الإرادة والإختيـار فى حركته فى الحيـاة فما معنى مؤاخـذته ومساءلته يوم القيامـة؟ كيف يمكننا توجيه عقاب المـذنبين وثواب المطيعين فى الحيـاة الآخرة؟ لأن كلًا من المطيع والعاصـى كانا يتحركان فى سـلوكهما من دون اختيار وإرادة، فلا المـذنب اختار أن يكون مـذنباً ولا المطيع اختار أن يكون مطيعاً، فلماذا إذن يسـتحق الأوّل العقوبـة والثانى المثوبة؟ إذا قلنا بالجبر فلا ينبغى لأى محكمة أن تعـاقب المجرم على جريمته لأنه مجبور حسب الفرض على ذلك. هل يصـحّ أن نعاقب النار على إحراقها لإنسان برىء؟ هل يعقل أن نحـاكم البحر ونقضـى عليه بالعقـاب الصـارم لأن إنسانـاً بريئـاً غرق فى مياهه؟ هل يمكننا محاكمـة الكهرباء فيما لو أدّت إلى قتل شخص برىء؟ بـديهى أن جواب هـذه الأسـئلة بالنفى وسـتكون مثل هـذه المحاكمة مضـحكة ومدعاة للسـخرية، وهكذا حال الإنسان المجبور على أفعـاله فـإنه يكون حاله حال الماء والنار والكهرباء فيما لو أقـدم على ارتكاب جريمـة. والملفت للنظر أن أصـحاب هـذه النظريـة يخـالفون نظريتهم فى مقـام العمـل والممارسـة، فلو أن أحـداً صـفعهم لرأينـاهم يعترضون عليه، ولو أنّ لصـاً دخل إلى بيوتهم وسـرق منهـا شـيئاً لقـاموا بتقـديمه إلى المحكمـة، فى حين أن الإنسان إذا كان مجبوراً وفاقـداً للإرادة فلا معنى للاعتراض والشـكاية، ولكننا نرى هذا التناقض بوضوح بين قول أصـحاب عقيدة الجبر وبين أفعالهم وممارساتهم. لعلّ القارئ العزيز يتصور أن هذه المطالب ما هى إلّاأفكار وتوهمات تجول فى مـدارات آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۱۹۸ الذهن فقط من دون أن يكون لها رصـيد واقعى من الأشـخاص المؤيـدين لهـا، ولكن مع الأسف فهناك الكثير من الأشـخاص المغفلين الـذين يتحركون فى دائرة العقيـدة والمـذهب من موقع الـدفاع الشديـد عن هذه النظرية الباطلة وقد كتبوا فى ذلك كتباً متنوعة. أجل، فإنّ هؤلاء الأشـخاص عندما لم يسـتطيعوا إدراك مغزى التوحيـد الأفعـالى ذهبوا إلى الجبر وغفلوا عن أن اللَّه تعالى هو الـذى وهب للإنسان الإختيار والإرادة، وعنـدما نقول أن الإنسان حرٌّ ومختـار فى أفعـاله فإنمـا ذلـك على أساس أنّ كلّ هـذه الامور متصـلة باللَّه تعالى وبمشـيئته، وبـذلك لا يكون هناك تقاطعاً بين اختيار الإنسان والتوحيـد الأفعالى. وقـد ذهب الأشاعرة والجبريـة إلى أكثر من ذلك، فقد أنكروا عالم الأسـباب والمسـببات وقالوا: إنّ النار لا تحرق أبـداً بل اللَّه تعالى هو الذى يحرق، وكذلك ذهبوا إلى أن الحجر لا يكسـر الزجاج بل بمجرد أن يقترب منه ويمسه فإنّ اللَّه تعـالى يقوم بكسـر الزجـاج. أجل، فإنهم أنكروا مثل هـذه الامور البديهيـة بسـبب تفسيرهم الخاطىء للتوحيـد الأفعالى، ورأينا أن التوحيـد الأفعـالى لاـ يتنـافى إطلاقـاً مع إختيـار الإنسـان وإرادته، وكـذلك لاـ يتنـافى مع عـالم الأسـباب لأن الإرادة السـببية فى عالم المخلوقـات كلّهـا تعود فى الأصل إلى اللَّه تعالى، فإنه هو الـذى وهب الإنسان القـدرة والقوّة والعقل والإختيار والإرادة، وبما أن هـذه الامـور جميعـاً من اللَّه تعـالى إذن يصـحّ نسـبتها جميعـاً إليه رغم أن الإنسان لا يتجرد من المسؤوليـة وحريـة الإنتخاب فى دائرة الفكر والعقيدة والممارسة. ولأجل توضـيح المطلب أكثر نضرب لذلك مثالًا: عندما يدفع الأب بعض المال لولده لينفقه فى مصارفه ومعيشته فالأب من جهة يمكنه فى أى لحظة أن يأخذ هذا المال باعتباره ماله وملكه رغم أن الإبن إذا اشترى بهذا المال شيئاً فإن المسؤولية تقع عليه لا على الأب. والنتيجة هى أن التوحيد الأفعالى لا يتنافى مع اختيار الإنسان وإرادته ولا ينبغى أن نتصور أن ذلك يدخلنا فى دائرة الشرك.

هل ينسجم التوسل مع التوحيد؟

هل ينسجم التوسل مع التوحيد؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۱۹۹ سؤال: لماذا يتصور الوهابيون أن التوسل هو نوع من الشرك؟ وكيف يتقاطع التوسل مع أحد مراتب التوحيد المتقدّمة؟ وهل أن التوسل يتنافى مع توحيد الذات، أو مع توحيد الصفات؟ بلا شكّ أن التوسل لا يتنافى إطلاقاً مع توحيد الذات والصفات، ولكن هل يثير التوسل مشكلة فى دائرة العبادات والتوحيد الأفعالى؟ إذا كان الجواب بالإيجاب من قبل الوهابيين فينبغى القول بأنهم وقعوا فى اشتباه كبير لأن الشيعة عندما يتوسلون بالنبى أو الأئمّة المعصومين أو القرآن الكريم لا يرون أن ذلک من العبادة لهؤلاء إطلاقاً كما هو الحال فى عبادة المشركين للأصنام والأوثان وتصورهم أنها شفعاء لهم عند اللَّه، بل نحن نطلب من هؤلاء الأولياء أن يتوسطوا لنا بما لديهم من جاه ومقام عند اللَّه تعالى لحلِّ مشاكلنا واستجابة دعائنا، وعلى هذا الأساس فإنّ الفرق بين التوسل وبين عبادة المشركين واضح جدّاً، والشخص الذى يتصور أن توسل الشيعة إنما هو مثل عبادة المشركين للأوثان فى الحقيقة هو إنسان بعيد عن الإنصاف وجادة الصواب. مضافاً إلى ذلک أن التوسل بالخشب والحجر لا يعود على الإنسان إطلاقاً بالنفع والضرر، وهذا المعنى لا يقبل القياس بالتوسل بالإمام والنبى والقرآن والتقرّب بهم إلى اللَّه تعالى، والنتيجة هى أن التوسل لا يتنافى مع توحيد الذات ولا توحيد الصفات ولا التوحيد فى العبادة. إذن فما هو مقصود الوهابيين من قولهم بأن التوسل شرک؟ وما هى المرتبة من مراتب التوحيد التى يرون أنها تتنافى مع التوسل؟ الجواب: الظاهر أن مقصود الوهابيين من أن التوسل شرک هو أنه يتنافى مع التوحيد الأفعالى، لأن الشخص الذى يتوسل بالنبى أو الإمام ويطلب منه حلّ مشكلته فإنه يرى أن غير اللَّه تعالى له تأثير فى عالم الخلق، ونعلم أن التأثير منحصر باللَّه تعالى ولو أن الإنسان اعتقد بأن غير اللَّه يمكنه أن يؤثر فى عالم الوجود فهو نحو من أنحاء الشرک. والجواب على هذا الكلام هو أن الشيعة لا يرون للنبى والإمام والقرآن تأثيراً فى عالم الخلقة فى عرض اللَّه تعالى، بل فى طول القدرة الإلهية، ولا تكون قدرتهم مؤثرة إلّاباذن اللَّه ومشيئته، وهذا المعنى لا يتنافى إطلاقاً مع التوحيد الأفعالى، نعم إذا قلنا إنّ النبى أو الإمام يؤثر فى عالم الخلقة بالإستقلال «نعوذ باللَّه» فهذا هو الشرک، ولكن لا أحد يقول بهذا المعنى، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۰ فعندما نقول أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يشفع لنا عند اللَّه ويتوسط فى حلِّ مشكلاتنا ليكون اللَّه تعالى هو الذى يحلّ هذه المشكلة أو يشافى المريض أو يرزق الفقير فإنّ ذلک ليس من الشرک بل هو عين التوحيد. وبما أن هذا المعنى انعكس فى دائرة المفاهيم القرآنية بوضوح فينبغى القول بأن هؤلاء الوهابيين لا يقبلون بالقرآن أيضاً، لأن الآية ۴۹ من سورة آل عمران تردّهم ردّاً قاطعاً وتبطل إدعاءاتهم الفارغة واتهاماتهم الباطلة وذلک فى قوله تعالى: «أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ». فنرى أن عيسى عليه السلام يخاطب بنى إسرائيل ويقول باننى بعثت رسولًا إليكم من قبل اللَّه تعالى ومعى معجزة، ثمّ يذكر ثلاث معجزات: ١- «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ». وهكذا نرى أن المسيح عليه السلام يقول بأننى أصنع لكم طيراً من طين ثمّ أنفخ فيه الحياة والروح فيتحول هذا التمثال الطينى إلى طائر حى بإذن اللَّه، أى إننى لا أستطيع التأثير فى هذه الأشياء فى عرض قدرة اللَّه ومشيئته بل إن قدرتى وتأثيرى إنّما هى بإذن اللَّه وليست مهمتى سوى أن أنفخ فى هذا التمثال ليتحول إلى طائر فيه حياة وشعور بإذن اللَّه. ٢- «وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ». المعجزة الاخرى لعيس بن مريم عليه السلام هى شفاء المرضى المزمنين والأعمى والأبرص وإحياء الموتى، وطبعاً كلّ هذه الأعمال إنّما أقوم بها بمشيئة اللَّه وإذنه ولا تتصوروا أننى إله أو ابن إله فلست سوى وسيلة لتحقيق هذه الأغراض، والمصدر الحقيقى هو اللَّه تعالى، فإحياء الموتى وشفاء المرضى كلّها صادرة من ساحته المقدسة. ٣- «وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ». العلامة الثالثة لنبوّة عيسى ابن مريم انه كان يخبرهم بما لديهم من أطعمة وأغذية فى بيوتهم ويخبرهم بما يأكلون من طعام وشراب كلُّ ذلک بتعليم اللَّه تعالى. وهذه الآية الشريفة تمثل ردّاً حاسماً على من ينكر الولاية التكوينية أو ينكر مشروعية التوسل ويتصور بأن ذلک يتنافى مع التوحيد الأفعالى، وعليه فإذا نسبنا هذه الأفعال إلى غير اللَّه تعالى واعتقدنا بأن الإنسان يمكنه أن يؤثّر فى عالم الأسباب والمسببات بإذن اللَّه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۱ ومشيئته فإن هذا المعنى لا يتنافى مع التوحيد إطلاقاً.

التوسل فى القرآن

التوسل فى القرآن ومضافاً إلى ما تقدّم فهناك آيات قرآنية عديدة تذكر مسألة التوسل بصراحة وإليك بعض النماذج والأمثلة على ذلك: ١- نقرأ فى الآية ٩٧ من سورة يوسف قوله تعالى: «قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ». عندما وصل خبر يوسف وأنه فى كامل الصحّة والعافية إلى أبيه واخوته تحرّك الأخوة لجبران خطئهم واشتباههم من موقع التوبة والإستغفار وجاءوا إلى أبيهم وتوسطوا إليه ليستغفر لهم اللّه تعالى وجعلوه واسطتهم إلى اللّه تعالى ليغفر لهم شنيع فعلتهم، فأجابهم يعقوب بقوله: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». «١» وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ أبناء يعقوب المذنبين توسلوا إلى أبيهم النبى وطلبوا منه أن يتوسط لهم إلى اللّه تعالى ليغفر لهم ويعفو عنهم، وعليه فلا إشكال فى أن نتوسل بنبى الإسلام صلى الله عليه و آله أو الأئمة المعصومين عليهم السلام أو القرآن الكريم أو المقدسات الاخرى ونجعلها واسطتنا إلى اللّه تعالى لطلب الفرج واستجابة الدعاء وأمثال ذلك. ٢- ونقرأ فى الآية ۶۴ من سورة النساء: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً». إنّ اللّه تعالى فى هذه الآية الشريفة يعلّم الناس طريق التوسل، وفى مقابل هاتين الآيتين آيات الولاية فى القرآن، ص: ٢٠٢ من القرآن الكريم نرى أن الوهابيين يحرّمون ويمنعون التوسل، فما هو المسوغ لهم لهذا المنع؟

التوسل بالعظماء والأولياء بعد وفاتهم

التوسل بالعظماء والأولياء بعد وفاتهم إنّ الوهابيين يفتقدون إلى الجواب المنطقى فى مقابل هذه الآيات القرآنية والبراهين العقلية ولذلك اضطروا إلى تعديل مواقفهم من مسألة التوسل وأجازوا التوسل بالنبى فى حياته ومنعوه بعد وفاته. إنّ هؤلاء لم يلتفتوا إلى لوازم هذا الرأى، لأن ذلك يعنى أن الشرك وفقاً لهذه العقيدة مباح فى حياة النبى ولكنه حرام بعد وفاته، وبعبارة اخرى أن لازم ذلك أن يكون الشرك على نحوين: ١- الشرك المباح، ٢- الشرك المحرّم والممنوع. فهل سمعتم عالماً ينطق بمثل هذا الكلام؟ هل سمعتم أحد المسلمين يقول بأن الشرك مباح فى بعض الأحيان؟ إنّ بطلان الشرك بمثابة قانون عقلى كلّى لا يقبل الإستثناء، ولكنّ الوهابيين هم طائفة متخلّفة فكرياً وعلمياً دون سائر المذاهب الإسلامية حيث لا يمكن قياسهم بعلماء دمشق ولا بعلماء الأزهر ولا بعلماء الشيعة وفضلاء الحوزات العلمية. مضافاً إلى ذلك نقول: كيف اختلف الحال بين وجود النبى على قيد الحياة وبعد الوفاة؟ فرغم أن بدن النبى قد مات ودفن فى التراب ولكن بدون شكّ أن روحه بعد خروجها من البدن الشريف ستكون أقوى على مستوى التأثير والإدراك. والقرآن الكريم يقرر الحياة البرزخية للشهداء ويقول فى الآية ١۶٩ من سورة آل عمران: «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ». فعندما يكون الشهداء أحياءاً بعد موتهم ويتناولون الطعام عند ربّهم كما تقول الآية التى بعدها أنهم يشهدون أعمال أحبتهم ورفقاءهم فى هذه الحياة الدنيا، فهل أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى يتمتع بمقام أسمى بكثير من مقام الشهداء لا تكون له حياة برزخية؟ بلا شكّ أن النبى يعيش الحياة البرزخية فى أعلى المستويات، ولذلك نرى أن المسلمين فى ختام كلّ صلاة يسلمون عليه ويقولون: آيات الولاية فى القرآن، ص: ٢٠٣ «السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ». فلو لم يكن النبى حيّاً فلماذا هذا السلام، وعلى من يكون، وماذا يعنى؟ النتيجة هى أن التوسل بالأولياء جائز فى حال حياتهم وبعد موتهم، ولا فرق هناك بين موت هؤلاء وحياتهم فى هذه المسألة.

التوسل فى الروايات

التوسل فى الروايات لقد ورد التوسل فى روايات الفريقين الشيعة والسنّة بشكل واسع، ونشير هنا إلى بعض هذه الروايات الواردة فى مصادر أهل السنّة: ١- ينقل البيهقى أحد علماء أهل السنّة عن أنس «الخادم الخاصّ للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله» قوله: جاء رجل من الأعراب إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنشد يقول: اتَيْناكَ وَالْعُذْراءُ يُدْمِى لِبانَها وَقَدْ شَغَلَتْ امُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ وَلَيْسَ لَنا

الّا الَیْکَ فِرارُنا وَایْنَ فِرارُ الْخَلْقِ الّا الَی الرُّسُلِ فعنـدما سـمع النبی صـلی الله علیه و آله بحال هـذا الرجل المؤلمـۀ تأثّر کثیراً وتوجّه إلی المسـجد وهو یجرّ بردائه من شدّة الهمّ والحزن، فصعد المنبر ورفع یدیه للدعاء، وما زال یدعو حتّی نزل المطر ونجی الناس من القحط «۱». فطبقاً لهذه الروایۀ فإنّ ذلک الأعرابی توسل فی زمان حیاة النبی صـلی الله علیه و آله به، ولم یمنعه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من ذلک أو ینهاه. ۲- ویورد البخاری فی کتابه روایۀ فی هذا المجال، وهی أن الناس أصیبوا بالقحط فی أیّام رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فجاؤوا إلیه یشـکون إلیه حالهم، فـدعا رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله فنزل المطر، فقال النبی صـلی الله علیه و آله: آیات الولایۀ فی القرآن، ص: ۲۰۴ «لَوْ کانَ أَبُو طالِبٍ حَیّاً لَقَرَّتْ عَیْناهُ» «۱». وهذه الجملۀ من کلام النبی صـلی الله علیه و آله إشارة إلی ما کان من النبی قبل البعثـۀ من دعاء أبی طالب لنزول المطر وکان النبی یومـذاک رضـیعاً، فأخذه أبوطالب وأقسم علی اللَّه تعالی بحقّ هذا الطفل إلّاما أنزلت علینـا المطر. فاسـتجیب دعـاؤه ونجـا النـاس من الهلاـک والقحـط، ثمّ إن أبا طالب أنشـد أبیاتاً من الشـعر مطلعها: وَابْیُضُ یُسْتَسْقَی الْغَمامُ بِوَجْهِهِ ثَمالُ الْیَتامی عِصْمَۀٌ لِلْأَرامِلِ «۲» والخلاصۀ أن الناس طبقاً لهذه الروایۀ کانوا قبل البعثۀ وبعدها یتوسلون إلی اللَّه تعالی بالنبیّ الکریم صـلی الله علیه و آله ولن یتحرک النبی الأکرم لمنعهم من هـذا العمل بل إنه أثنی علیه بحیث إنه طلب من البعض أن یقرأوا أشـعار أبی طالب التی قالها بمناسـبۀ واقعـۀ الإستسـقاء فتکفل الإمام علی علیه السـلام بهذه المهمۀ. ۳- قال السمهودی أحد کبار علماء أهل السـنّۀ فی کتابه «وفاء الوفاء» عن مالک أحـد أئمّۀ المذاهب الأربعۀ لأهل السـنّۀ: ناظر أبو جعفر أمیرالمؤمنین مالکاً فی مسـجد الرسول صـلی الله علیه و آله فقـال مالـک: یا أمیرالمؤمنین لا ترفع صوتک فی المسـجد فإن اللَّه تعالی أدب قوماً فقال: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاـ تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ وَ لاـ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ» «۳»، ومـدح قومـاً فقـال: «إِنَّ الَّذِینَ یَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِکَ الَّذِینَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوی لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ» «۴»، وذمّ قومـاً فقـال: «إِنَّ الَّذِینَ یُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ» «۵». فقال منصور: هـذا کان فی حیاته لا بعـد مماته. آیات الولایـۀ فی القرآن، ص: ۲۰۵ فقـال مالـک: «حُرْمَتُهُ مَیِّتاً کَحُرْمَتِهِ حَیّاً». «۱» وطبقـاً لهـذا الکلاـم فإن احترام النبی واجب فی حال حیـاته وبعـد مماته والتوسل به جائز أیضاً علی أیّۀ حال. ۴- وقـد ذکر «ابن حجر» من علماء أهل السـنّۀ المعروفین والإنسان المتعصـب جـدّاً فی کتابه «الصواعق المحرقۀ» اعترافات مهمۀ لصالح الشـیعۀ، ومن تلک الإعترافات ما أورده من شـعر الإمام الشافعی حیث یقول: آلُ النَّبِیِّ ذَرِیعَتی وَهُمْ الَیْهِ وَسیلَتِی ارْجُو بِهِمْ اعْطی غَداً بِیَدِ الْیُمْنی صَحیفَتِی «۲» النتیجۀ: أن التوسل بأولیاء الدین والمقدّسات کالقرآن الکریم لا تتنافی إطلاقاً مع التوحید الأفعالی، وقد ورد التمجید والترغیب فی القرآن والروایات الشریفۀ للمسلمین لمثل هذا العمل.

لا تجوز العبادة لغیر اللَّه

لاـ تجوز العبادة لغیر اللَّه سؤال: لقـد قلتم أن العبادة خاصّـ ۀ باللَّه تعالی ولا ینبغی عبادة غیر اللَّه لأن ذلک یحسب من الشـرک فی حین أننا نجـد فی بعض الآیات القرآنیـۀ أنها تتحدّث عن السـجود لغیر اللَّه تعالی من قبیل: ۱- ما ورد فی قصـۀ آدم وحواء عنـدما خلق اللَّه آدم وأمر الملائکۀ بالسجود له: «فَسَجَدَ الْمَلائِکَۀُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ». «۳» فلو کانت العبادة لغیر اللَّه تعالی شرک فلماذا ورد الأمر فی هذه الآیۀ الشریفۀ بالسجود لآدم؟ ۲- وفی سورة یوسف عنـدما تحرک الاخوة مع الوالدین من الصـحراء متوجهین إلی مصـر بعد أن علموا بحیاة یوسف، حیث یحدّثنا القرآن الکریم عن اللحظۀ التی التقی فیها آیات الولایۀ فی القرآن، ص: ۲۰۶ هؤلاء بالنبی یوسف وقال: «وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً». «۱» فطبقاً لهـذه الآیـۀ الشـریفۀ فإنّ أبناء یعقوب سـجدوا لیوسف، فلو کان السـجود لغیر اللَّه شرکاً، فکیف نفسـر ما ورد فی هـذه الآیـۀ الشـریفۀ؟ ۳- عنـدما ورد بنو إسـرائیل بیت المقـدّس فإنّ الآیـۀ تـذکر هـذه الواقعۀ وأن بنی إسـرائیل سجدوا عند ورودهم المعبد فی بیت المقدّس کما نقرأ ذلک فی الآیۀ ۵۸ من سورة البقرة: «وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْیَۀَ فَکُلُوا مِنْها حَیْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّۀٌ نَغْفِرْ لَکُمْ خَطایاکُمْ وَ سَنَزِیدُ الْمُحْسِنِینَ». والخلاصۀ أن هذه الآیات الثلاث تتحـدّث عن السـجود لغیر اللَّه فکیف یتناغم ذلک مع التوحید فی العبادة؟ الجواب: تقدم أن حرمۀ الشـرک وعدم جواز السـجود لغیر

اللَّه واختصـاص العبـادة بـاللَّه تعـالى إنّما هو قانون كلّى لا يقبل الإسـتثناء، فالشـرك لا يمكن أن يتواءم مع التوحيـد فى أى مرتبـة من مراتبه، وعليه فـإنّ السـجود الوارد فى الآيـات المـذكورة لاـ يعنى العبـادة بـل هو سـجود الشـكر والتعظيم للَّه تعـالى على نعمه ومواهبه العظيمة. عندما سـجد الملائكة لآدم ففى الحقيقة أنهم سـجدوا للَّه تعالى الذى خلق مثل هذا المخلوق العظيم، إذن فالسجود فى الواقع كـان للَّه تعالى ولكن بسـبب خلق آدم. وهكـذا فى اخوة يوسف فإنهم سـجدوا شـكراً للَّه تعالى لأجل النعمـة العظيمـة التى أولاها اللَّه تعـالى لأخيهم يوسف، ولأجل نجاتهم من الحياة الصـعبة والشاقّة فى صـحراء كنعان ورؤيتهم أخيهم بعـد سـنوات من الفراق وبالتالى انتقالهم إلى مصـر ليعيشوا حياة طيبـة ومرفهـة وكريمـة، فلأجل ذلك سـجدوا شـكراً للَّه تعالى، كما هو الحال فى بنى إسـرائيل الـذين سجدوا للَّه تعالى لا لمسـجد بيت المقدّس. عندما يقوم المسـلمون والحجاج بأداء صـلاة الجماعة حول الكعبة ويسجدون للَّه تعالى فى صلاتهم هـذه أمام بيت اللَّه الحرام، فهل معنى هذا أنهم سـجدوا للكعبة، أو أن أحداً من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۷ المسلمين لا يسـجد للكعبـة بل يسـجد للَّه تعالى ويعبده وحده ولكن فى مقابل الكعبة؟ وعلى هذا الأساس فإنّ السـجود فى جميع الموارد هو للَّه تعالى، وفى الحقيقـة هو مصـداق بارز لعبادة اللَّه رغم أن الـدوافع قد تكون متفاوتة ومختلفة، والنتيجة هى أن الآيات الثلاثة المذكورة آنفاً لا تعدُّ استثناءاً من القاعدة الكليّة فى توحيد العبادة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۰۹

الفصل الثالث آيات الفضائل الخاصّة بالإمام علىّ عليه السلام

آية ليلة المبيت

اشارة

آية ليلة المبيت ۱ [سورة البقرة (۲): آية ۲۰۷] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ (۷) «سورة البقرة/ الآية ۲۰۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآية الشـريفة المعروفة بآية «ليلة المبيت» تعتبر إحدى أهم الآيات الواردة فى فضائل أميرالمؤمنين عليه السـلام، وهى الفضـيلة العظيمة التى لم تتحقق لأحد من المسلمين غير الإمام على عليه السلام حيث تشير الآية الشريفة أعلاه إلى ما قام به الإمام على فى ليلة هجرة النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة ومنامه فى فراشه كما سيأتى توضيحه لاحقاً.

شأن النزول

شأن النزول يرى كثير من علماء الشيعة وأهل السنّة أن الآيـة مورد البحث نزلت فى حقِّ علىّ بن أبى طالب عليه السـلام، حيث ذكروا هـذا الموضوع فى كتبهم إلى درجـة أن هذه الواقعة قد وصـلت إلى حدّ التواتر، أى أنها من الكثرة بحيث لا يمكن إنكارها. وخلاصـة قصة ليلة المبيت كما يلى: عندما أحسّ أعداء الإسـلام ومشـركوا مكّة المعاندون بخطر الإسلام والدعوة السماوية بدأوا يتحركون على مسـتوى التآمر والتخطيط لقمع هـذا الـدين الجديد فى المهد وطرحوا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۲ ثلاث خطط خطرة لمواجهة دعوة النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله، فقـالوا: «إمـا أن نقتـل هـذا النبى، أو نلقيه فى السـجن بحيث لاـ يتمكن أىُّ شـخص من رؤيته والحـديث معه، أو نقـوم بإبعـاده عن أرض الحجـاز» «۱». إنّ الشواهـد التاريخيـة تشـير إلى أنهم اختـاروا الرأى الأـوّل الـذى هو أخطر الثلاثة، واختاروا من أجل تجسـيد هذه الفكرة على أرض الواقع الخارجى أربعين شـخصاً من مختلف قبائل العرب يتصـفون بالشجاعة

والمهارة ليقوموا بمحاصرة بيت النبوّة ليلًا ثمّ يتمكنوا من قتل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وهكذا صنع هؤلاء الأشخاص وجاءوا ليلًا وأحاطوا ببيت النبوّة ثمّ تسلّقوا الجدار أو نفذوا من كوة فيه وانتظروا حتّى تحين الفرصة المناسبة لقتل النبى. ولكنّ اللَّه تعالى أخبر نبيَّه الكريم بواسطة الوحى بمؤامرة المشركين فعزم النبى صلى الله عليه و آله على الخروج من مكّة، ولكنه لتحقيق هذا الهدف والتخلّص من هذه المؤامرة الشيطانية ينبغى أن يقوم بأمرين: الأوّل: أن يقوم بالتوجّه إلى خارج مكّة وفى الطريق المعاكس لطريق المدينة، أى أنه بدلًا من أن يتوجّه شمالًا نحو المدينة فإنّه تحرك إلى الجنوب منها لكى لا- يلتفت الأعداء إلى خروجه من مكّة وهجرته إلى المدينة وليمنعهم من ملاحقته. الثانى: لابدّ وأن يجد الشخص المناسب لينام فى مكانه لإيهام الأعداء بعدم خروج النبى من البيت فيؤخرهم عن ملا-حقته والقبض عليه. ولهذا الغرض قال لعلى ابن أبى طالب عليه السلام: «اتشح ببردى الأخضر ونم على فراشى». فقال الإمام على عليه السلام: إذا نمت على فراشك فهل ستنجو من الخطر وتصل إلى المدينة بسلام؟ «۲» فقال النبىّ: نعم يا علىّ، فسجد الإمام على عليه السلام شكراً للَّه تعالى، ويقال أنها أول سجدة شكر كانت فى الإسلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۳ وبعد أن وضع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عليّاً فى فراشه خرج من مكّة متستّراً وتحرّك إلى جهة الجنوب على عكس مسير المدينة حتّى وصل إلى غار ثور، وبعد أن يأس الأعداء من العثور عليه تحرّك إلى المدينة ووصل إليها بسلام. لاشكّ أن ليلة المبيت كانت ليلة حسّاسة ومهمة جدّاً ومصيرية بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين وكان بطل هذه الليلة هو أميرالمؤمنين عليه السلام وعندما كان النبى متوجّهاً إلى المدينة أوحى اللَّه تعالى إليه بهذه الآية محل البحث حيث تحدّثت هذه الآية عن إيثار وتضحية الإمام على عليه السلام العظيمة.

اعترافات علماء أهل السنّة

اعترافات علماء أهل السنّة رأينا آنفاً ما ورد فى شأن نزول هذه الآية الشريفة ولا يختص ذلك بعلماء الشيعة بل نقله الكثير من علماء أهل السنّة، ومنهم: «الطبرى» «۱»، «ابن هشام» «۲»، «الحلبى» «۳»، «اليعقوبى» «۴» (وكلّهم من مشاهير مؤرّخى أهل السنّة) و «أحمد» «۵» من فقهاء أهل السنّة و «ابن الجوزى» «۶»، و «ابن الصبّاغ المالكى» «۷». والملفت للنظر ما أورده «أبو جعفر الإسكافى» الشارح المشهور لنهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى، حيث قال فى هذا الصدد: قد ثبت بالتّواتر حديث الفراش ... ولا يجحده إلّامجنون أو غير مخالط لأهل الملّة ... وقد روى المفسّرون كلّهم: إنّ قول اللَّه تعالى: ومن النّاس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللَّه انزلت فى علىّ عليه السلام ليلة المبيت على الفراش «۸». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۴ والنتيجة هى أن جميع علماء الإسلام من الشيعة والسنّة متفّقون على أن آية ليلة المبيت نزلت فى شأن أميرالمؤمنين عليه السلام وما قام به من تضحية وإيثار عظيم.

الشرح والتفسير: التجارة الرابحة

الشرح والتفسير: التجارة الرابحة «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» فبعض الناس يضحّون بأنفسهم فى سبيل مرضات اللَّه والتقرّب إليه، وكما تقدّم أن علىّ بن أبى طالب قام بهذا العمل العظيم وباع نفسه فى تلك الليلة ابتغاء مرضات اللَّه وكان المشترى هو اللَّه تعالى، وقيمة هذه البضاعة هو رضا اللَّه تعالى. «وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» فهل يمكن أن يتصور مفهوم اللطف والرأفة أعلى من كون اللَّه تعالى هو الذى يشترى روح الإنسان بأغلى ثمن؟

المعاملة مع اللَّه

المعاملة مع اللَّه هناك ثلاث آيات فى القرآن الكريم تتحدّث عن المعاملة مع اللَّه تعالى ولابأس بالإشارة إليها وإجراء مقارنة بين مضامينها: الآية الاولى: ما ورد فى سورة التوبة الآية ۱۱۱: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ». فى هذه المعاملة والتجارة العظيمة نرى أن اللَّه تعالى من جهة هو المشترى، والمؤمنون والمجاهدون هم البائع، والبضاعة الموضوعة للتجارة هى نفوس المؤمنين وأرواحهم، والثمن هو الجنّة، واللطيف فى الأمر أن سند أو وثيقة هذه المعاملة مكتوبة فى ثلاث كتب سماوية معتبرة (القرآن والإنجيل والتوراة)، وهذه المعاملة المباركة تحدّثت عنها هذه الآية الشريفة بأنها «فوز عظيم» وباركت للبائعين على هذه الصفقة، والحقيقة أن هذه المعاملة والتجارة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۵ عظيمة جدّاً، لأن المشترى فيها يشترى ما يتعلّق به وما هو ملكه بأغلى الأثمان من البائع، ألا تعتبر هذه المعاملة من قبيل «الفوز العظيم»، ألا تستحق التبريك والتهنئة؟ الآية الثانية: ما ورد فى الآيات ۱۰– ۱۳ من سورة الصف من موضوع تجارة اخرى بين اللَّه وعباده حيث نقرأ فى هذه الآيات الأربع: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَ أُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» فى هذه المعاملة المربحة نجد أيضاً أن البائع هو المؤمنين، والمشترى هو اللَّه تعالى، والبضاعة أو المبيع هو نفس روح الإنسان المؤمن، وقيمتها غفران الذنوب ودخول الجنّة، المساكن الطيبة فيها، النصر القريب (فتح مكّة)، وهكذا نرى أن اللَّه تعالى يعبّر عن هذه المعاملة والتجارة الكبيرة بعبارة «الفوز العظيم» ويبارك ويهنىء هؤلاء المتاجرون. الآية الثالثة: ما ورد فى سورة البقرة الآية ۱۰۷ (الآية محل البحث)، وكما رأينا أن البائع هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام والمشترى هو اللَّه تعالى، والبضاعة فى هذه المعاملة هو روح علىّ بن أبى طالب عليه السلام، والثمن هو رضا اللَّه تعالى.

المقارنة بين المعاملات الثلاث

المقارنة بين المعاملات الثلاث رأينا أن الآيات الكريمة تتحدّث عن ثلاث معاملات وردت فى سورة التوبة، الصف، البقرة، وقد تقدّم شرحاً لما ورد فيها ونجد أوجه للتشابه فيما بينها من قبيل أن اللَّه تعالى فى كلّ هذه المعاملات الثلاث هو المشترى، والبائع هم المؤمنون، والبضاعة مورد المعاملة هى أرواح المؤمنين وأنفسهم، ولكن هنا تفاوت فى قيمة هذه الأجناس فى كلٍّ واحدة منها، فتارة يشترى اللَّه تعالى نفوس المؤمنين فى مقابل الجنّة، واخرى يشتريها بثمن أعلى، فمضافاً إلى الجنّة هناك المساكن الطيبة وغفران الذنوب والنصر الدنيوى، ولكن فى المعاملة الثالثة وهى الآية محل البحث (آية ليلة المبيت) نرى أعلى الأثمان والقيم ألا وهو رضا اللَّه تعالى، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۱۶ وبديهى أن رضا اللَّه تعالى لا يمكن قياسه مع الجنّة وأمثالها من المواهب الاخروية، واللطيف أن هذا الثمن متناسب جدّاً مع روحية الإمام على عليه السلام حيث نقرأ فى كلماته الجذّابة يخاطب اللَّه تعالى ويقول: «إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً فى جنّتك ولكنى وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك». «۱»

مقارنة اخرى

مقارنة اخرى بالرغم من أن الإمام على عليه السلام كان يواجه خطراً كبيراً فى ليلة المبيت ولكنه نام على فراش النبى صلى الله عليه و آله وهو مسرور ولم يسمح للخوف أن يتسرب إلى نفسه، وفى الصباح الباكر عندما هجم الأعداء على بيت النبى صلى الله عليه و آله ورأوا بكامل الدهشة أن خطتهم قد أجهضت وأن النائم فى الفراش هو علىّ بن أبى طالب، فما كان منهم إلّاأن خاطبوا الإمام على بكلمات موهنة، فأجابهم من موقع الدفاع عن الدين والنبى بكلمات جميلة جدّاً تعكس شجاعة أميرالمؤمنين وعقله الكبير وبأسه الشديد وسوف يأتى لاحقاً ما ورد فى هذا الصدد إن شاء اللَّه. وأما أبو بكر فقد خرج مع النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وتخلص من الخطر ولجأ إلى غار ثور، وعندما سمع صوت أقدام الأعداء الذين خرجوا من مكّة فى أثر النبى، اصفر لونه وملأ الخوف والرعب قلبه

ووجوده بحیث یمکن إدراک ذلک بنظرة بسیطة إلی وجهه، ولهذا بدأ النبی صلی الله علیه و آله بتسلیته لیزیل بعض الوحشة والخوف الذی سیطر علیه، وعلیک أن تدرک مضمون هذه الحادثة من هذا المختصر.

جمال التعبیر فی آیة لیلة المبیت

جمال التعبیر فی آیـة لیلة المبیت نقرأ فی آیات سورة التوبة وسورة الصف قوله تعالی: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَری» و «هَلْ أَدُلُّکُمْ آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۱۷ عَلی تِجارَةٍ» ففی هـذه العبـارات نفهـم أن اللّه تعـالی هـو المشـتری، وهـو الـذی یرغّـب البـائعین إلی بیـع متـاعهم وبضاعتهم، ولکننا نقرأ فی آیـة لیلة المبیت «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْـرِی نَفْسَهُ» ومعنی هذه العبارة أن البائع هنا یتقدّم بعرض بضاعته ویبتدأ بالمعاملـة. ومن الواضـح أن التعبیر الأـدبی فی هـذه الآیـة الشـریفة أروع وألطف، لأن الشـخص الـذی یقـدم نفسه علی طبق الإخلاص ویعرضها للبیع لا یجد فی نفسه رغبة إلّابعد ترغیب المشتری رغم أن عمله هذا لا یخلو من التقدیر بلاشک. مضافاً إلی ذلک فإنّ الآیة محل البحث تبدأ بکلمة «مِنْ» التبعیضـیة فی قوله «وَمِنَ النّاسِ» أی أن هذا العمل العظیم لا یتمکن من أداءه إلّابعض الناس فی حین أن الآیتین السابقتین تطرح مسألة المعاملة مع اللّه والمعاوضة بالجنّة والنجاة من النار فی إطار عام وشامل «اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنینَ».

إرتباط آیة لیلة المبیت مع الآیات التی قبلها

إرتباط آیـة لیلـة المبیت مع الآیات التی قبلها إذا دققنا النظر فی الآیات الثلاث قبل آیـة لیلة المبیت أدرکنا عظمة عمل الإمام علی علیه السـلام ومقامه الرفیع عنـد رسول اللّه صـلی الله علیه و آله وفی ذلک یقول تعالی: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا». أی أن بعض المنافقین الـذین یتمتّعون بظاهر جمیل وخادع عنـدما یرونک یظهرون المحبّة والتملق ویتحدّثون بشـکل تشـعر فیه بالإعجاب فی حین أن بـاطنهم شـیء آخر. «وَ یُشْـهِدُ اللَّهَ عَلی مـا فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصـامِ». فـإن اللّه تعـالی عـالم بمـا یخفی هؤلاـء المنـافقین المخادعین رغم أنهم یشـهدون اللّه علی ما فی قلوبهم، هؤلاء الأشـخاص ذوو الظاهر الأنیق والکلام الجمیل هم ألدّ «۱» أعداء الإسلام وهم منـافقون، وتشـیر هـذه الآیـات إلی «الاـخنس بن شـریق» المنـافق المعروف الـذی یظهر من کلامـه غیر مـا یبطن بحیث إنّ ظاهره وکلامه یجـذب کلَّ مخاطب إلیه لحسن بیانه وجمال آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۲۱۸ مظهره حیث کان یتظاهر بالقداسـة والإیمان والتقوی ولکنه فی الواقع شخصـیة منحطّـة وسافلـة ولا یعتقد باللّه ولا برسوله إطلاقاً «۱». وفی الآیـة التی تلیها یشیر اللّه تعالی إلی واقع هذا الشـخص «الأخنس» ونفاقه فی حرکة الحیاة والواقع الإجتماعی: «وَ إِذا تَوَلَّی سَـعی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا ـیُحِبُّ الْفَسـادَ». فمن علامـات نفـاق الأـخنس وسـائر المنـافقین هو أنهم عنـدما یخرجون من مجلسـک یتحرکون فی حیـاتهم الفردیـة والإجتماعیـة من موقع الإفسـاد فی الأـرض وإهلاـک الحرث والنسل رغم علمهم بأن اللّه تعالی لا یحبُّ هـذه الأعمال القبیحة «۲»، وطبعاً هنـاک احتمـال أن کلمـة «تـولّی» تعنی الولایـة والحکومـة، أی أن هؤلاـء الأشـخاص إذا اسـتلموا زمـام الامـور وتولّوا أمر الحکومـة والسـلطة أفسـدوا فی الأرض وزرعوا بـذور النزاعات والفساد والإنحطاط وعملوا علی تخریب المزارع وإهلاک الأنعام. وقد ورد أنّ «الأـخنس» جـاء إلی منطقـة فی بلاـد الإسـلام وشـرع فی الإفسـاد وتخریب مزارع المسـلمین فی تلـک المنطقـة وقتـل أغنامهم وحیواناتهم «۳»، ولکنه عندما جاء إلی النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله شـرع بالتملّق والتحدّث بکلمات معسولة خادعة. «وَ إِذا قِیلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْـبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ». وعندما یسـعی المؤمن فی نصیحة هؤلاء الأشخاص وتحذیرهم من مغبّة هذه الأعمال ویحثّهم علی تقوی اللّه تعالی واجتناب الأعمال الإجرامیـة، والخلاصـة عنـدما یتحرّک علی مستوی أمرهم بالمعروف ونهیهم عن المنکر فـإن هؤلاـء المنـافقین لیس فقـط لا یسـتمعون إلی آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۲۱۹ النصـیحة بـل یزدادون عناداً وغروراً وتعصّـباً ویصـرّون علی أعمـالهم الدنیئـة من موقـع العنـاد والتکبّر، ومن الواضـح أن مصـیر هؤلاـء الأشـخاص لاـ یکـون سوی جهنم. والخلاصة أن القرآن الکریم یصوّر لنا فی هذه الآیات الثلاث عناد أعداء الإسـلام وسلوکیاتهم المنحرفة، وعندما نضع هذه الآیات إلی

جانب آية ليلة المبيت فلابدّ أن يتحول الكلام إلى استعراض أحبّ الأشخاص إلى اللّه وأكثرهم إيماناً وانشداداً للإسلام والمسلمين، وعليه فإنّ الإمام على الـذى نزلت فى حقّة آيـة ليلة المبيت وقدّم نفسه على طبق الإخلاص فداءاً للنبى هو أحبّ الأشخاص إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وبلا شكّ إنّ علاقة النبى صلى الله عليه و آله بالأشخاص لا تكون إلّاعلى أساس إيمانهم وحبّهم للّه تعالى لا على أساس العواطف الساذجة والميول الدنيوية.

ارتباط آية ليلة المبيت بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام

ارتباط آيـة ليلة المبيت بولاية أميرالمؤمنين عليه السـلام سؤال: ما هى علاقة الآية الشـريفة «ليلة المبيت» مع إمامة وخلافة أميرالمؤمنين عليه السـلام بعنوانه أوّل خليفة بعد رسول اللّه وإمام المسـلمين؟ وبعبارة اخرى إنه على فرض قبول أهل السنّة بأن الآية أعلاه نزلت فى شأن على بن أبى طالب، ولكن كيف يمكن إثبات أن هذه الآية تدلُّ على خلافة وإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله مباشرة؟ الجواب: رأينا فى الأبحاث المتقدّمة أن الإمام على عليه السـلام يعتبر أشـجع المسلمين وأكثرهم تضحية وإيثاراً وأخلصهم للّه تعالى، ومن جهة اخرى نعلم أن إمام المسلمين وخليفة رسول اللّه يجب أن يكون أعلم الناس وأشجعهم وأكثرهم إيماناً وإيثاراً، وعلى هـذا الأساس فإنه إذا كانت مسألـة الإمامـة والخلافـة انتصابيـة، أى أن اللّه تعالى هو الذى ينصب الخليفة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله فإنه مع وجود الإمام على عليه السـلام الذى يحوز على الشرائط المذكورة للإمامة، فلا معنى لأن يختار اللّه شخصاً آخر غيره ويعمـل على خلاف مقتضيـات الحكمـة الإلهيـة، وإذا كانت هـذه المسألـة انتخابيـة (كما يعتقـد الاخوة من أهل السنّة) فإنّ مقتضـى العقل هو أن لا يختار المسـلمون شـخصاً آخر غير من تتوفر فيه هذه الصـفات، وعليه فإنّ انتخاب غير الإمام على عليه السـلام يكون على خلاف مقتضيات العقل والشرع. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۲۰

الجواب عن بعض الشبهات

اشارة

الجواب عن بعض الشـبهات وقـد نرى من البعض أنهم يسـعون فى تفسـير الآيـة الشـريفة بعيداً عن المفهوم منها والمدلول الحقيقى لها وذلك لما تحمل هـذه الآيـة الشـريفة من مضامين تتعلق بمسألـة الخلافـة والإمامة، حتّى لا يتمكن أحد من الإسـتدلال بها على خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام، وهنا نستعرض بعض الشبهات وعلامات الإستفهام ونجيب عنها:

۱- آية ليلة المبيت تتعلق بالآمرين بالمعروف

۱- آية ليلة المبيت تتعلق بالآمرين بالمعروف العلّامة الطبرسـى وهو المفسّـِر الشـيعى المعروف نقل رواية مرسلة عن أهل السنّة تتحدّث عن هـذه الآيـة الشـريفة وأنهـا نزلت فى شأن من قتل فى طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «۱» وعليه فإنّ الآيـة محل البحث لا ترتبط بشـكل أو بآخر بخلافة أميرالمؤمنين وإمامته. الجواب: إن سـياق آيـة ليلـة المبيت يدلُّ على أن الآية المذكورة ليست واردة فى شـأن الآـمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لأنه طبقاً لما تقـدّم من الشـرح والتفسـير أن هناك خطر كبير يهـدد الشـخص مورد نظر الآيـة، وهو الخطر الـذى يصـل إلى حـدّ الموت والقتل، ومثل هـذا الخطر قلّما يتفق للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعليه فإن سياق الآية الشـريفة يوحى إلى أنها لا ترتبط بمسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مضافاً إلى أن الرواية المذكورة مرسلة وليست بحجّة.

۲- إنّ الآية مورد البحث واردة في شأن أبي ذرّ

۲- إنّ الآيـة مورد البحث واردة في شأن أبي ذرّ ويرى البعض أن الآية الشـريفة واردة في شأن أبي ذرّ الغفاري «۲» الصحابي المعروف للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله ولاـ ترتبط بمسألـة إمامـة أميرالمؤمنين عليه السـلام وخلافته. آيـات الولايـة في القرآن، ص: ۲۲۱ الجواب: إنّ هـذا الرأي بعيـد عن الصواب ومجانب للواقع، لأن الشواهد التاريخية تدلُّ على أن أبا ذرّ الغفاري لم يتعرض لحادثة مهمة تهدد حياته بالخطر في عصـر النبي الأكرم صـلى الله عليه و آله، وعليه لا يمكن التصديق بأن هذه الآية الشـريفة نازلة في حقّه رغم أن شخصيـة أبي ذرّ وخدماته العظيمة وخاصّة بعد رحلة النبي الأكرم صـلى الله عليه و آله وفي عصر السكوت والإرهاب لا غبار عليها ولا يمكن إنكارها.

۳- إنّ الآية الشريفة تتعلّق بجميع المهاجرين والأنصار

۳- إنّ الآيـة الشـريفة تتعلّق بجميع المهاجرين والأنصار وذهب البعض إلى أن آيـة ليلـة المبيت تتعلّق بجميع المهاجرين والأنصار «۱»، أي أن جميع المسـلمين في زمان النبي الأكرم صـلى الله عليه و آله وحين نزول هـذه الآية كانوا مشـمولين لمضـمونها، وعليه فإنّ الآية محـل البحث لاـ تختص بالإمام على ابن أبي طالب عليه السـلام «۲». الجواب: إنّ بطلان هـذا الكلام من أوضـح الواضـحات لأن الآية الشـريفة تصـرّح بأن هذا الإفتخار والكرامة يختصّ ببعض المسـلمين وغير شاملة لجميع أفراد المجتمع الإسلامي، وعليه لا يمكن إدعاء أن جميع المهاجرين والأنصار مشمولين لآية ليلة المبيت

۴- هل يعلم الإمام على عليه السلام بموته أو حياته؟

۴- هل يعلم الإمام على عليه السـلام بموته أو حياته؟ سؤال: هل إنّ الإمام على عليه السـلام كان عالماً بعاقبة هذا العمل؟ وهل إنه كان يعلم بـأنه سوف ينجو من هـذا الخطر الكبير ويبقى حيّاً بعـد هـذه الواقعـة أم لا؟ إذا كان يعلم أن المشـركين لا يتمكنون من قتله وانه سيبقى على قيـد الحياة فإن مبيته في فراش النبي لا يمثّل قيمـة وافتخار كبير، وإن لم يكن يعلم فسـيكون لهـذا العمل قيمة كبيرة ولكنّ الإشـكال يردُ من جهة اخرى، وهو أن الأئمّة يعلمون الغيب فكيف لم يعلم الإمام على عليه السـلام بعاقبة هذا العمل؟ آيات الولاية في القرآن، ص: ۲۲۲ الجواب: طبقاً لتحقيقات العلماء وتصريح بعض الروايات أن علوم الأئمّة بالنسبة إلى الغيب والمستقبل هي من العلوم الإراديـة، أي أنهم لو أرادوا أن يعلموا لعلموا، وإن لم يريـدوا ذلـك لا يعلمونه «۱»، فمن الممكن في هـذه الواقعـة إنّ الإمام على عليه السلام لم تتعلق إرادته بمعرفة عاقبة هذا العمل ونهايته، ولذلك كان احتمال الخطر مرتسماً في ذهنه، ومع ذلك كان مستعداً للتضحية والإيثار العظيم، وعلى هذا الأساس فإن الواقعة المذكورة تعدّ افتخاراً كبيراً لأميرالمؤمنين عليه السـلام ولا تتنافى مع علم الغيب للأئمّة، والإلتفات إلى هـذه النكتـة بإمكانه أن يزيل الكثير من الشـبهات والإشـكالات حول علم الأئمّة للغيب. سؤال: لقد قلت «إنّ الإمام على عليه السـلام لم تتعلق إرادته بـأن يعلم مصـيره ولـذلك فـإنّ احتمـال الخطر موجود ومع ذلك بات الإمام على عليه السـلام على فراش النبي صـلى الله عليه و آله وكان ذلك فضيلة كبيرة ومنقبة عظيمة له» في حين أنه قد ورد في بعض الروايات إنّ الإمام كان مطّلعاً على أنه سوف لا تصـيبه مصـيبة وسوف لا يواجه مشـكلة في هذه العمل وقد ضـمن له النبي الأكرم صلى الله عليه و آله السلامة والنجاة من الخطر «۲»، وعليه فكيف تعـدّ آيـة ليلـة المبيت فضـيلة ومنقبة لأميرالمؤمنين عليه السـلام؟ الجواب: يمكننا الجواب على هذا الإشـكال بصورتين: الف: إنّ هذه الرواية مرسلة ولا سند لها وقد أوردها العلّامة الأميني بصورة مرسلة عن تفسير الثعلبي «۳»، وبما إنها تفتقد إلى السند فلا يمكن الإعتماد عليها «۴». ب: هناك ثلاث شروط لقبول الرواية: الأوّل هي أن يكون سند الرواية معتبر، الثاني: آيات الولاية في القرآن، ص: ۲۲۳ أن لا تكون الرواية مخالفة لآيات القرآن الكريم، الثالث: أن تكون مقبولة لدى علماء الدين، والرواية المذكورة

مضافاً إلی ضعف سندها فهی غیر مقبولة ومخالفة للقرآن الکریم، لأن اللَّه تعالی ذکر هذا العمل لأمیرالمؤمنین فی آیة لیلة المبیت من موقع المدح والثناء والتمجید وعبّر عنه بأنه معاملة مع اللَّه تعالی فی حین أن الروایة المذکورة علی فرض اعتبار سندها فإنّ عمل أمیرالمؤمنین علیه السلام وفقاً لهذه الروایة لیست له قیمة وأهمیّة خاصّة بل هو بمثابة أمر عادی، وعلیه لا یمکن الإعتماد علی هذه الروایة المخالفة لآیة من آیات القرآن الکریم بحیث یمکن من خلالها تهمیش هذا العمل العظیم الذی قام به أمیرالمؤمنین علیه السلام (فتدبّر).

۵- من هو المخاطب للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله؟

۵- من هو المخاطب للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله؟ سؤال: ویری البعض أن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عندما أراد أن یضع شخصاً مکانه فی الفراش فی تلک اللیلة قال للمسلمین: أیکم مستعد لأن یبیت فی فراشی فی هذه اللیلة؟ ولم یتقدّم أحد سوی علی بن أبی طالب علیه السلام حیث أظهر موافقته علی استقبال هذا الخطر. فهل هذا المطلب صحیح، أو أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله تحدّث فی هذا المورد إلی الإمام علی علیه السلام خاصّة؟ الجواب: نحن لم نر فی الکتب المعتبرة أن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله طرح هذا الموضوع بین أصحابه، مضافاً إلی أن هذا المطلب لا ینسجم مع العقل، لأن هذا الموضوع لو سمعه جمیع الأصحاب فسوف یفتضح الأمر ویصل الخبر إلی أعداء الإسلام الذین کانوا یتآمرون علی حیاة النبی صلی الله علیه و آله وبالتالی سیتحرکون للتصدی لهذا العمل وإجهاضه، ولهذا نعتقد بأن هذه الخطّة والفکرة تمّت بسریّة کاملة، ولم یعلم بها سوی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله والإمام علی علیه السلام وبعض الأشخاص الآخرین، وأما سائر المسلمین فکانوا لا یعلمون بها.

بقی هنا امور

۱- أشعار حسّان ابن ثابت فی وصف الواقعة

۱- أشعار حسّان ابن ثابت فی وصف الواقعة کان حسّان ابن ثابت «۱» من الشعراء المعاصرین للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله وله علاقة خاصّة فی آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۴ الخلیفة الحقیقی للنبی فقد أنشد قصائد رائعة فی فضائل أمیرالمؤمنین علیه السلام وخاصّة فی واقعة غدیر خم التاریخیة وبعض أبیاتها یتعلق بحادثة لیلة المبیت کما وردت فی کتب المؤرّخین: مَنْ ذا بِخاتَمِهِ تَصَدَّقَ راکِعاً وَاسَرَّها فِی نَفْسِهِ إسْراراً مَنْ کانَ باتَ عَلی فِراشِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ اسْری یَؤُمُّ الْغارا مَنْ کانَ فِی الْقُرْآنِ سُمّیَ مُؤْمِناً فِی تِسْعِ آیاتٍ «۱» تُلینَ غَزاراً «۲» والخلاصة إنّ حادثة لیلة المبیت کانت معروفة ومشهورة إلی درجة أنها انعکست فی قصائد شعراء العرب.

۲- مصیر الإمام علی علیه السلام فی تلک اللیلة

۲- مصیر الإمام علی علیه السلام فی تلک اللیلة بعد أن عقد أعداء الإسلام العزم علی مؤامرتهم فی القضاء علی النبی صلی الله علیه و آله قرروا أن یهجموا علی بیته لیلًا وینفذون مؤامرتهم، ولکن أحد قادة المشرکین «أبوجهل أو أبو لهب» منعهم من هذا العمل وقال: لا تهجموا علیه لیلًا لأن من المحتمل أن تکون فی البیت زوجته وأطفاله وسیصیبهم الخوف والرعب وهم أبریاء «۳». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۵ ولهذا السبب أخّروا هجومهم إلی بواکر الصباح، وعندما حانت اللحظة المناسبة وهجموا علی بیت النبی صلی الله علیه و آله وهم یقصدون قتله، قام الإمام علی علیه السلام من الفراش قبل أن یصلوا إلیه وصاح بهم: ماذا تریدون؟ وعندما تفاجأ المشرکون بهذا الأمر ورأوا علی ابن أبی طالب فی فراش النبی أخذتهم الدهشة وقالوا: یا علیّ نحن نرید محمّداً فأین هو؟ فأجابهم:

هل أودعتموه عندی حتّی تطلبوه منی؟ فتحیّروا فی جوابه وماذا یصنعون به، هل یقتلونه أو یترکونه؟ فقال أبو جهل: لنترک هذا الشاب المغامر فقد خدعه محمّد وأنامه فی فراشه لینجو بنفسه. فلمّا سمع الإمام علی علیه السلام بهذه الکلمات الموهنة له ولرسول اللَّه قال بمنتهی الشجاعة والجرأة: أَلی تَقُولُ هذا یا ابا جَهْل! إن اللَّه قَدْ اعْطانِی مِنَ الْعَقْلِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلی جَمیعِ حُمَقاءِ الدُّنْیا وَ مَجانینِها لَصارُوا بِهِ عُقلاءَ، وَمِنَ الْقُوَّةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلی جَمیعِ ضُعَفاءِ الدُّنْیا لَصارُوا بِهِ اقْویاءَ، وَمِنَ الشُّجاعَةِ ما لَوْ قُسِّمَ عَلَی جَمیعِ جُبَناءِ الدُّنْیا لَصارُوا بِهِ شَجْعاناً. «۱» فأنا قد عرفت نبی الإسلام صلی الله علیه و آله وآمنت بالإسلام عن معرفة ولذلک تقدّمت إلی هذا العمل بکلِّ إخلاص وإیمان، وبعد أن حدثت بینهما مشادّة خرج أعداء الإسلام من بیت النبوّة خجلین وآیسین وخرج الإمام علی علیه السلام من هذه الواقعة مرفوع الرأس ومسروراً لأدائه المهمة الرسالیة.

۳- اللَّه تعالی یباهی بإیثار أمیرالمؤمنین علیه السلام

۳- اللَّه تعالی یباهی بإیثار أمیرالمؤمنین علیه السلام لقد أورد «الثعلبی» وهو أحد مفسّری أهل السنّة المعروفین للآیة مورد البحث، روایة جمیلة وجذّابة حول حادثة لیلة المبیت نذکرها هنا کما رواها هو: آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۶ «لما عزم النبی صلی الله علیه و آله علی الهجرة إلی المدینة، ترک علی بن أبی طالب فی مکّة لیؤدی الدیون التی علیه والأمانات إلی أهلها، وأمره لیلة خرج إلی الغار وقد أحاط المشرکون بالدار، أن ینام علی فراشه، وقال له: اتشح ببردی الأخضر ونم علی فراشی فإنه لا یصل منهم إلیک مکروه إن شاء اللَّه، ففعل ذلک علی علیه السلام فأوحی اللَّه تعالی إلی جبرئیل ومیکائیل أنی آخیت بینکما وجعلت عمر أحدکما أطول من الآخر، فأیکما یؤثر صاحبه بالحیاة؟ فاختار کلاهما الحیاة، فأوحی اللَّه تعالی إلیهما: أفلا کنتما مثل علی؟ آخیت بینه وبین محمّد فبات علی فراشه یفدیه بنفسه ویؤثره بالحیاة، أهبطا إلی الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فکان جبرئیل عند رأسه ومیکائیل عند رجلیه ینادی: بَخٍّ بَخٍّ لَکَ یَابْنَ ابِی طالِبٍ، مَنْ مِثْلُکَ؟ وَقَدْ باهَی اللَّهُ بِکَ مَلائِکَةَ السَّماواتِ وَفَاخَرَ بِکَ». «۱» فهل یتصور مقام أعلی من هذا المقام؟! ومن هنا ندرک أن الشیعة عندما یعظّمون أهل هذا البیت ویتبعون أمیرالمؤمنین علیه السلام فإن ذلک لا یعنی التعصّب الأعمی علی مستوی الحساسیّة المذهبیة بل بسبب مقاماته المعنویة السامیة وفضائله الکثیرة.

توصیة الآیة

کلّ شیء فی سبیل نیل رضا اللَّه

کلّ شیء فی سبیل نیل رضا اللَّه بالرغم من أن الآیة الشریفة کما أشرنا سابقاً، نزلت فی لیلة هجرة النبی صلی الله علیه و آله وفی شأن الإمام علی علیه السلام، ولکنها کسائر الآیات القرآنیة تتضمن حکماً کلیاً وعاماً، فمن حیث إن هذه الآیة تقع فی مقابل الآیة السابقة «وَمِنَ النّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ ...» فیتضح جیداً أن هذه الطائفة من الناس التی تشیر إلیها هذه الآیة محل البحث تقع فی مقابل الطائفة السابقة، ویتمتع أفرادها بصفات وخصائص تقع فی النقطة المقابلة لصفات اولئک وخصائصهم، آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۷ فاولئک أفراد یتسمون بالأنانیة والغرور والعناد والتکبر ویتعاملون مع الناس بلغة النفاق والریاء ویتظاهرون أنهم إنما یریدون الإصلاح ویتحرکون فی خطّ الإیمان ظاهراً ولکنّ سلوکهم وأفعالهم لیس فیها سوی الإفساد فی الأرض وهلاک الحرث والنسل، ولکن هذه الطائفة فی آیة لیلة المبیت لا یتعاملون مع أحدٍ سوی اللَّه تعالی ولا یبخلون بشیءٍ فی سبیله ولا یطلبون سوی رضاه ولا یرون العزّة والکرامة إلّاتحت ظلّه وعنایته، ولذلک فإنّ أمر الدین والدنیا یتقوّم بتضحیة هؤلاء وحرکتهم الإصلاحیة فی خطّ الرسالة والمسؤولیة والحقّ والحقیقة «۱». إنّ توصیة هذه الآیة الشریفة لجمیع المسلمین هو أن یخرجوا من أجواء الطائفة الاولی ویدخلوا فی أجواء الطائفة الثانیة ... وطبعاً لیس هذا بالأمر الهیّن. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۲۹

آیة سقایة الحاج

اشارة

آیة سقایة الحاج ۲ [سورة التوبة (۹): الآیات ۱۹ الی ۲۲] ثانِیَ عِطْفِهِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ لَهُ فِی الدُّنْیا خِزْیٌ وَ نُذِیقُهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ عَذابَ الْحَرِیقِ (۹) «سورة التوبة/ الآیات ۱۹– ۲۲

أبعاد البحث

أبعاد البحث فی هذه الآیة الشریفة التی تعرف بین المفسّرین بآیة «سقایة الحاج» نواجه فضیلة اخری من فضائل الإمام علی علیه السلام حیث تفضی إلی إثبات إمامته وخلافته بعد رسول اللَّه، وتبیّن أن الأشخاص الذین یرون أن سقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام تساوی الإیمان باللَّه والهجرة والجهاد فی سبیله، بعیدون عن طریق الصواب، وسیأتی تفصیل ذلک فی طیّات البحث.

شأن النزول

شأن النزول إنّ آیة «سقایة الحاج» تخبرنا عن حادثة وقعت فی عصر الرسالة ولا تهدف إلی بیان آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۳۰ قانون کلّی فی ذلک، أی أن هذه الحادثة والمقارنة المذکورة فی الآیة الشریفة وقعت عملًا فی الواقع الخارجی، فللآیة الشریفة شأن نزول خاصّ ولهذا ذکر لها موارد عدیدة فی شأن نزولها وخلاصة ما ورد فی شأن النزول المعروف لها هو: إنّ العبّاس ابن عبدالمطلب وشیبة قعدا یفتخران فی المسجد الحرام فقال العبّاس لشیبة: أنا أشرف منک، أنا عمّ رسول اللَّه ووصی أبیه وساقی الحجیج «۱». فقال شیبة: أنا أشرف منک أنا أمین اللَّه علی بیته وخازنه «۲»، أفلا- إءتمنک کما إءتمننی؟ فاطلع علیهما علیّ ابن أبی طالب علیه السلام فأخبراه بما قالا فقال علی: أنا أشرف منکما، أنا أوّل من آمن وهاجر «وعلیه فإنه لا افتخار فی سقایة الحاج أو عمارة المسجد الحرام» بل الفخر بالإیمان باللَّه والهجرة فی خطّ الإیمان به والجهاد فی سبیله. فلما سمع العبّاس ذلک انطلق إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وذکر له ما جری بینه وبین الإمام علی علیه السلام وشکاه عنده علی أساس أن الإمام علی علیه السلام قد ادحض حجّته وأهمل مقامه ومنزلته. فأرسل النبی الأکرم صلی الله علیه و آله شخصاً فی طلب الإمام علی فعندما حضر بین یدیه سأله النبی عن الواقعة وقال له: ماذا قلت لعمّیک العبّاس حتّی أغضبته؟ فقال علیّ علیه السلام: لم أقل سوی الحقّ ولکن عمّی غضب من کلام الحقّ، ثمّ بیّن لرسول آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۳۱ اللَّه صلی الله علیه و آله المحادثة التی جرت بینهم وأضاف إننی لم أکن فی مقام التظاهر بالفخر والتعریف بنفسی بل أردت أن أقول أن سقایة الحاج وعمارة المسجد الحرام لا- تعتبر أرقی افتخار یناله الإنسان بل هناک مقامات أعلی وافتخارات أکبر من ذلک، وهنا نزلت الآیة الشریفة محل البحث وأیّدت کلام الإمام علی علیه السلام «۱». وقد ورد شأن النزول هذا فی اثنی عشر کتاباً علی الأقل معروفاً لدی أهل السنّة تتحدّث عن تفسیر القرآن، أو التاریخ الإسلامی، أو الروایات الشریفة فمن ذلک: ۱– أسباب النزول لمؤلفه العلّامة الواحدی «۲». ۲– تفسیر العلّامة خازن البغدادی «۳». ۳– تفسیر العلّامة القرطبی «۴». ۴– تفسیر الفخر الرازی «۵». ۵– الدرّ المنثور للعلّامة السیوطی «۶». ۶– تفسیر أبو البرکات النّسفی «۷». ۷– الفصول المهمّة للصبّاغ المالکی «۸». ۸– کفایة الطالب للگنجی الشافعی «۹». ۹– تاریخ الخطیب البغدادی «۱۰». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۳۲ ۱۰– مناقب ابن المغازلی «۱». ۱۱– تاریخ ابن العساکر «۲». ۱۲– ربیع الأبرار للزمخشری «۳». وعلی هذا الأساس فإن شأن النزول المذکور لا یدانیه شک ولا ریب.

ملاحظة مهمّة!

ملاحظة مهمّة! بلا شکّ کان العبّاس ابن عبدالمطلب عند نزول آية سقاية الحاج مؤمناً مجاهداً وهکذا الحال مع «شيبة» فقد کان مؤمناً وله سوابق جهادية، إذن فکيف افتخر الإمام على عليه السلام بإيمانه وجهاده عليهما والحال أنهما يتصفان بصفة الإيمان والجهاد أيضاً؟ وجواب هذا السؤال هو أن الإمام على عليه السلام أراد أن يقول لهما أنا أوّل شخص آمنت باللّه وبرسوله من الرجال وأوّل شخص هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبى الکريم صلى الله عليه و آله، وأوّل مجاهد فى سبيل اللّه ورسوله، وبهذا فقد سبقهما فى الإسلام والهجرة والجهاد، وهذه الفضيلة منحصرة فى علىّ بن أبى طالب.

الشرح والتفسير: الإيمان باللّه، أفضل الامور!

الشرح والتفسير: الإيمان باللّه، أفضل الامور! «أ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ کَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ». من هذا السياق للآية الشريفة يتّضح جيّداً وقوع مثل هذه المقارنة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من جهة، وبين الإيمان باللّه والجهاد فى سبيله من جهة اخرى، ولکن اللّه تعالى قرّر أنّ هذه المقارنة غير صحيحة وغير سليمة فإنّ الإيمان باللّه واليوم الآخر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۳ والجهاد فى سبيل اللّه لا يقارن مع سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام لأن الإيمان والجهاد بلا شکّ أعلى وأفضل من السقاية والعمارة. «وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ولعلّ هذا التعبير يشير إلى أن المقارنة المذکورة ليست فقط غير صحيحة بل هى نوع من الظلم للشخص الذى سبق الناس فى الإيمان باللّه واليوم الآخر والجهاد فى سبيله. «الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْفائِزُونَ» فهؤلاء الذين تحرکوا بهدف حفظ إيمانهم ونشر الدين والرسالة السماوية من موقع الهجرة وضحّوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل اللّه وإعلاء کلمته هم أفضل عند اللّه وأعظم درجة. وبعد أن يردّ اللّه تعالى فى الآية الاولى أصل المقارنة المذکورة يعبّر عنها بأنها نوع من الظلم ويصرّح فى هذه الآية بأن الإيمان والهجرة والجهاد أهم وأعظم من السقاية والعمارة. «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوانٍ» فبعد أن يردّ على المقارنة المذکورة ويصرح بأن الإيمان والجهاد والهجرة أفضل وأعظم يشير فى الآيتين التاليتين إلى عاقبة أهل الإيمان والجهاد والهجرة ويبشّرهم بما يلى: ۱- إنّ اللّه تعالى يبشّر هؤلاء بأنهم مشمولين برحمته ومرتبة القرب منه. ۲- البشارة الاخرى هى أن اللّه تعالى قد رضى عنهم، وما أعظم النعمة فى أن يعلم الإنسان بأن محبوبه ومعبوده راضٍ عنه! ۳- «وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ* خالِدِينَ فِيها أَبَداً» وليست البشارة بجنّة واحدة بل ورد التعبير بجنّات ونِعم ومواهب خالدة فى ذلک العالم، ومعلوم أن أحد معايب النِعم الدنيوية هى أنها معرّضة للزوال والفناء ولکنّ النِعم والمواهب الاخروية خالدة وباقية أبداً. «أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» فهل أن هذه الجملة بشارة إلى نعمة اخرى قد أعدّها اللّه تعالى لأهل الإيمان والجهاد والهجرة مضافاً إلى رحمة اللّه ورضوانه والجنّات الخالدة، وهى النعمة التى لا يمکن للإنسان أن يتصورها ولا يقدر على وصفها ولذلک أجملت الآية بيانها، أو أنها إشارة إلى النِعم والمواهب المذکورة آنفاً وهى تأکيد لها. کلا الإحتمالين واردان فى مفهوم الآية الشريفة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۴

إرتباط آية سقاية الحاج مع الإمامة

إرتباط آية سقاية الحاج مع الإمامة بما أن الإمام على عليه السلام يتمتع بفضيلة السبقة إلى الإيمان والجهاد وليس أحد من المسلمين غيره يتمتع بهذه الفضيلة، فعليه يکون الإمام على عليه السلام أفضل المسلمين، ومن الواضح أن اللّه تعالى إذا أراد نصب خليفة لرسوله فإنه لا يتجاوز الأفضل فيختار المفضول بل وحتّى الفاضل، لأن اللّه تعالى حکيم وتقديم المفضول على الفاضل والفاضل على الأفضل يخالف مقتضى الحکمة الإلهية، ولو کانت مسألة الخلافة انتخابية فإنّ عقلاء الناس لا يتوجهون ويختارون الفاضل أو المفضول مع وجود الأفضل، وعليه فإنّ هذه الآية الشريفة يمکنها أن تکون دليلًا لإثبات إمامة أميرالمؤمنين.

اعتراف أحد علماء السنّة

اعتراف أحـد علماء السـنّة وقـد ذكر أحـد علماء السـنّة أنه: «أنتم الشـيعة يمكنكم إثبات جميع اصول الدين التى تعتقدون بها بواسـطة الروايات الموجودة فى كتبنا، لأن كتبنا ومصادرنا الروائيـة مليئة بالروايات التى تؤيد عقائدكم وآراءكم». ثمّ أضاف يقول: «إنّ قدماءنا كـانوا سـطحيين وساذجين حيث كانوا ينقلون أيّـة روايـة تصل إليهم فى كتبهم» «۱». ونحن نتعجب من هـذا التناقض، لأنهم يـذكرون بالنسبـة إلى كتبهم ومصادرهم وخاصّـة «الصـحاح السـتة» على مسـتوى التعريف والثناء والمـدح: «إنّ روايات هذه الكتب منتخبة بدقّة كبيرة وجميع الروايات المـذكورة فيها معتبرة لأنه أحياناً يتمُّ انتخاب عـدد قليل من الروايات من بين ألف رواية» «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۵ ألا يتناقض هـذا الكلام مع كلام ذلك العالم السـنّى المذكور آنفاً؟ إنّ هذه الأشكال من التناقض هى نتيجة نوعية التفكير لـدى الإنسان الـذى يؤمن أوّلًا ثمّ يتوجه نحو الآيات والروايات الشـريفة ويحاول إسـقاط عقائـده عليها، ولو أن الإنسان حضـر مقابـل الآيـات والروايـات وجلس متتلمـذاً عنـدها ومسـتوحياً من مضامينهـا ومرتويـاً من منهلهـا فإنه سوف لا يواجه مثل هـذا التناقض العجيب.

توصية الآية

اشارة

الإتّباع العملى لأولياء الـدين إنّ بيان فضائل ومناقب الأئمّة الأطهار عليهم السـلام وخصوصـيّاتهم الأخلاقية والإجتماعية والسياسـية أمر جيّـد وضـرورى ولكنه لا يكفى فى مقام الإعتقاد والإيمان بل ينبغى على الإنسان أن يجعلهم اسوة وقـدوة له فى ممارساته وسـلوكياته فى حركة الحياة والواقع الإجتماعى، وفى الآيات مورد البحث نقرأ ثلاثة امور بعنوان أنها أركان الدين، وأن الإمام على عليه السلام قد بلغ ما بلغ من المرتبـة الساميـة بسـبب حركته فى خطّ هـذه الأركان الثلاثة وهى: الإيمان، الهجرة، الجهاد فى سبيل اللّه بالمال والنفس. فإذا أردنا الإقتـداء بالإمام على عليه السـلام وبأولياء الـدين فلابدّ من تجسـيد هذه الاصول الثلاثة فى حياتنا العملية وإحيائها فى أعماق وجودنـا وقلوبنـا. ومن أجـل تقويـة الإيمان فى وجودنا هناك طريقان: الأوّل: مطالعـة ودراسـة الشـىء الـذى نؤمن به، مثلًا لأجل تقوية إيماننا باللّه وتعميقه فى قلوبنا لابدّ من النظر والتفكّر فى أسـرار عالم الخلقة والسـعى إلى زيادة الآفاق العلمية فى أسـرار الكون وآيات الكتـاب السـماوى كمـا يحثّنـا القرآن دائمـاً على ذلك، والخلاصـة هى أن تعميق الإيمان بأى شـىء يحتاج إلى دراسـة ذلك الشـىء والإنفتـاح الفكرى على تفاصـيله. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۳۶ الثـانى: هو طريق بناء الـذات وتهـذيب النفس وتطهير القلب من شوائب التعلّقات الدنيوية، لأن الإيمان نور يشرق على قلب الإنسان، وكلّما كانت مرآة القلب صافية وشفافة انعكس النور عليها بصورة أفضل، فلو كان القلب ملوثاً بالخطايا والذنوب فإنّ مرآة القلب لا تعكس نور الإيمان حينئذٍ بصورة جيّدة. وأما بالنسبة إلى الهجرة فقد يتصور البعض أن هذا الأصل المهم فى أجواء الدين السـماوى خاصٌّ بالمسـلمين فى صدر الإسلام، وبعد هجرة المسلمين إلى المدينة انتهى عهـد الهجرة فى حين أن روايـات أهـل البيت عليهم السـلام تقرر خلاف هـذا المطلب، حيث نقرأ فى الروايـة الواردة عن الإمام على عليه السـلام قوله: «الْهِجْرَةُ قائِمَةٌ عَلى حَدِّها الْاوَّل». «۱» وتأسـيساً على هذا فإنّ الهجرة مستمرّة كالإيمان والجهاد إلى يوم القيامة، والواجب على المسـلمين أن يهـاجروا فى مختلف الظروف والأحـوال، وطبعـاً ففى الكثير من الحالات يختلف شـكل الهجرة، ولـذلك نقرأ قول الإمـام على عليه السـلام: «يَقُولُ الرَّجُلُ هاجَرْتُ وَلَمْ يُهاجِرْ، انَّمَا الْمُهاجِرُ مَنْ هاجَرَ السَّيِّئاتِ وَلَمْ يَأْتِ بِها» «۲». أجل، فالمهاجر الحقيقى هو الشـخص الـذى ترك القبائـح والرذائـل والـذنوب وتحرّك فى خـطّ الطاعـة والعبوديـة والتقوى وهـاجر من السـيئات إلى الحسـنات والأعمال الصالحـة، والمهاجر الواقعى هو الشـخص الـذى يهجر أصـدقاء السوء ورفاق مجالس البطالين والملوثين بالـذنوب ويبتعـد عنهم، الهجرة من المـال الحرام، من المقام الحرام، من الـذنوب، واجبـة ولازمـة، وبـديهى أن هـذا النمط من الهجرة لا يختصّ

بالمسلمين فى أوائل البعثة بل هو وظيفة جميع المسلمين إلى يوم القيامة. وأمّا الأصل الثالث وهو الجهاد بالنفس والمال فذلك أيضاً مورد الإبتلاء فى كلّ عصر وزمان، فالجهاد بالنفس والمال لا يقبل التعطيل والنسخ وخاصّةً مع وجود الأعداء الحاقدين الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ» «۳»، الأعداء آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۷ الذين لا يلتزمون بأى مبدأ إنسانى وأصل أخلاقى ومستعدون لإرتكاب كلّ جناية وجريمة فى سبيل المحافظة على منافعهم اللامشروعة، ففى مقابل مثل هذا العدو الخطر ينبغى على المسلمين أن يكونوا مستعدين دائماً للتصدى له والجهاد ضده وأن يكونوا دائماً فى حيوية ونشاط وحماسة، ولهذا السبب فنحن نعتقد بأن الأشخاص الذين يتحركون على مستوى تضعيف أو إماتة روحية الشجاعة والجهاد والتصدى للظالمين فى نفوس المسلمين بذريعة الألعاب الملوّثة أو حتّى التسليات الدنيوية الرخيصة فإنّ هؤلاء يقومون بخيانة كبيرة لبلدهم ولأنفسهم ولدينهم. ربّنا، زد فى حرارة نور الإيمان فى قلوبنا حتّى نتمكن بنور الإيمان أن نهاجر من أجواء الذنوب الظلمانية وننقذ أنفسنا والآخرين بسلاح الجهاد فى سبيل اللَّه.

الإتّباع العملى لأولياء الدين

بحثان

۱- لماذا لم يرد إسم الإمام على عليه السلام فى القرآن؟

۱- لماذا لم يرد إسم الإمام على عليه السلام فى القرآن؟ سؤال: إذا كان الإمام على عليه السلام هو المنصوب من اللَّه لأمر الخلافة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مباشرة- كما تعتقدون بذلك وتسعون لإثبات هذا المطلب من خلال الآيات القرآنية- إذن فلماذا لم يرد اسم الإمام على بصراحة فى القرآن الكريم حتّى ننتهى من كلِّ هذه الأبحاث والإختلافات؟ الجواب: نظراً إلى أن إسم «على» لم يكن منحصراً بالإمام على عليه السلام كما هو الحال فى «أبو طالب» حيث لم تكن هذه الكنية منحصرة بوالده، بل هناك العديد من الأشخاص بين العرب يسمون باسم «على» و «أبو طالب» وعلى هذا الأساس لو ورد اسم «على» بصراحة فى القرآن الكريم فإن هؤلاء الأشخاص الذين لم يروق لهم قبول هذه الحقيقة سيتحركون بذرائع مختلفة إلى تطبيق هذا الإسم على شخص آخر، ولهذا كان من الأفضل ذكر الصفات والخصائص المنحصرة بالإمام على عليه السلام فى القرآن الكريم وتعريفه للناس من هذا الطريق لكيلا يتم تطبيق هذه الصفات والخصائص على غيره من الأشخاص، ولهذا اختار اللَّه تعالى فى القرآن الكريم هذا المنهج والسبيل لإرشاد الناس إلى الإمام على عليه السلام بعنوانه ولىّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۳۸ المؤمنين وخليفة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بلا فصل، رغم أن الأشخاص الذين فى قلوبهم مرض ويتحركون فى خطّ الإنحراف والزيغ يفسّرون هذه الآيات الكريمة بشكل آخر. سؤال آخر: ورد فى الحديث الشريف عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت لأبى الحسن الرضا عليه السلام: إن قوماً طالبونى باسم أميرالمؤمنين فى كتاب اللَّه عزّوجلّ، فقلت لهم: من قوله تعالى: «وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا» «۱». فقال: «صَدَقْتَ هُوَ هكَذا» «۲». فهل أن هذه الرواية تتفق مع ما ذكرتم من عدم ذكر اسم الإمام على عليه السلام صريحاً فى القرآن الكريم؟ الجواب: بلا شكّ إنّ مفردة «عليّا» الواردة فى الآية الشريفة هذه ليست اسم شخص معيّن (أى ليست اسم علم) بل هى وصف لكلمة «لسان»، وأما الرواية المذكورة فغير معتبرة من حيث السند، لأن أحد رواتها «أحمد بن محمّد السيارى» وهو ضعيف جدّاً، وهو الشخص الذى نقل الكثير من روايات تحريف القرآن، ولهذا فالروايات التى يقع فى سندها هذا الرجل غير مقبولة وغير معتبرة، ويقول العلّامة الاردبيلى فى شرح حاله: «هو رجل ضعيف وفاسد المذهب وراياته فارغة وغير قابلة للاعتماد» «۳» وعلى هذا الأساس فالرواية أعلاه غير معتبرة.

۲- لماذا لم يقضِ النبى صلى الله عليه و آله على المنافقين؟

۲– لمـاذا لم يقضِ النبى صـلى الله عليه و آله على المنافقين؟ سؤال: إنّ المنافقين وجّهوا بلا شكّ فى عصـر النبى صـلى الله عليه و آله وبعد رحلته ضـربات قاسـية للدعوة الإسـلامية وللمجتمع الإسـلامى وهـم الذين تبنوا الإنحراف الذى حصل فى مسألة الخلافة والإمامة، ولاـ شـكّ أن النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله كان يعرف هؤلاء الأشـخاص ويعلم بنفاقهم، ومع الإلتفات إلى هـذا المعنى فلماذا لم يتحرك النبى صـلى الله عليه و آله فى حـال حيـاته للقضـاء آيـات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۳۹ عليهم ليضـمن بذلك سـلامة الدعوة الجديـدة والامّة الإسـلامية؟ الجواب: إنّ النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله أجاب على هذا السؤال فى حديث شـريف حيث قال: «لولا إنّى أكره أن يقال: إن محمّداً استعان بقوم حتّى إذا ظفر بعدوّه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير» «۱». ولكن مع الإلتفات إلى هذا الإتّهام الـذى يفضـى فى الواقع إلى اهتزاز عقيدة الناس بالنبوّة والدين الجديد، فمن أجل أن لا يثور هذا التوهم والتصور فى أذهان الناس فإنّ النبى لم يحرك ساكناً ضد المنافقين بل كان يتحمل آذاهم ويصبر على مشاكساتهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۱

آية النصرة

اشارة

آية النصرة ۳ [سورة الأنفال (۸): آية ۶۲] إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (۸) «سورة الأنفال/ الآية ۶۲»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هـذه الآية الشـريفة التى تسـمّى بآية النصـرة هى آية اخرى من آيات فضائل ومناقب أميرالمؤمنين عليه السـلام. سؤال: إنّ موضوع البحث هو الآيات المتعلقـة بمسألـة الإمامـة والخلافـة لأميرالمؤمنين عليه السـلام فما هو ارتباط هـذه الآيـة مع مسألـة الإمامـة؟ الجواب: إنّ الآيات المسـتخدمة لإثبات إمامة وخلافة أميرالمؤمنين عليه السـلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله على قسمين: القسم الأوّل: الآيات التى تـدلُّ بصـراحة ووضوح على إمامـة أميرالمؤمنين مثل آيـة «إكمال الـدين» و «آيـة الولايـة» وأمثال ذلك التى تقـدّم الكلاـم عنهـا فى الفصـل الأـوّل. القسم الثـانى: الآيـات التى لاـ تـدلُّ على مسألـة الإمامـة والخلافـة بصورة مباشـرة بل تتضـمن فضائل أميرالمؤمنين الخاصّة، وبالإمكان مع الإسـتعانة بمقدمة عقلية إثبات الإمامة أيضاً بهذه الآيات الكريمة، كما تقدّم نظير ذلك فى الآيات السابقة وسيأتى أيضاً فى شرح وتفسير آية النصرة وسائر الآيات من هذا القبيل. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۲

الشرح والتفسير: التعبئة الكاملة والإستعداد التام

الشـرح والتفسـير: التعبئـة الكاملة والإسـتعداد التام لأجل توضـيح مضـمون آية النصـرة نرى من اللازم الحديث عن آيات ۶۰– ۶۳ من سورة الأنفال، وهى قوله تعالى: «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَیْلِ». هذه الآية الشريفة مطلقة وتستوعب جميع الأمكنة والأزمنـة والأدوار التاريخيـة فى المجتمعات الإسـلامية، لأنها لا تتحدّث عن أسـلحة معيّنة وخاصّة ينتهى مفعولها بانتهاء زمانها وتخرج من حيّز الإستعمال، بل ورد التعبير بكلمة «قوّة» أى أن المسلمين يجب عليهم التهيؤ دائماً للأعداء والتسلّح بأنواع الأسلحة التى تثير فيهم القوّة والقـدرة على التصـدى لأعـداء الإسـلام فيجـب عليهـم أن يتسـلحوا بالأسـلحة المتطورة ويجهّزوا جيوشـهم بالأنظمـة العسـكرية المتقدمة، وكلمة «قوّة» تشـمل مضافاً إلى الأسـلحة الأشـياء الاخرى التى تستخدم فى الحرب ضد الأعداء من قبيل: أجهزة الإعلام التى تعتبر فى العصـر الحاضـر سـلاحاً فعّالًا يسـتخدم فى القضـاء على روحيـة العـدو، كمـا أن هـذه الكلمـة تشـمل أيضاً الامور الاقتصادية والأخلاقيـة والإجتماعيـة كـذلك، والخلاصـة إنّهـا تطلق على كـلِّ مـا ينفع المسـلمين فى جهادهم ضـد العـدو ويمكّن المسـلمين من إجهـاض محاولاـته الراميـة إلى الإستيلاـء على البلاـد الإسـلامية والقضاء على الإسـلام. «تُرْهِبُونَ بِهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَ عَـدُوَّكُمْ وَ آخَرِینَ مِنْ

دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ». فى هـذا المقطع من الآية الشريفة يتحدّث القرآن عن الهدف والغاية من تهيئة وسائل القوّة والسلاح للمسلمين، فالهدف من هذا التهيؤ والإستعداد ليس هو قتل الناس وتخريب العالم والإغارة على المساكين والمحرومين بل الهدف هو الدفاع المشروع فيجب تعبئة جميع القوى والطاقات وتهيئة جميع أنواع الأسلحة لكيلا يتجرأ العدو على الهجوم على البلد الإسلامى بل لا ـ يدور فى ذهنه أن يهجم يوماً عليكم، لأن الظالمين والجبّارين متى ما وجدوا فرصة للهجوم والغارة على الضعفاء والدول الفقيرة والضعيفة فإنهم لا يجدون رادعاً أمامهم من العدوان والحرب، والقوّة العسكرية هى العامل الأساس لمنع هؤلاء من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۳ عدوانهم، ولذلك فإنّ رفع المستوى العسكرى بإمكانه أن يخيف الأعداء، أى أعداء اللَّه وأعداءكم، والعدو الظاهر والعدوّ الخفى والمستور، فالهدف من زيادة القوّة الدفاعية والقدرة العسكرية يجب أن يكون من منطلق الدفاع المنطقى والمشروع أمام تعدّى الآخرين. «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ». بلا شك فإنّ تقوية البنية الدفاعيّة للبلد الإسلامى ورفع مستوى القوّة العسكرية لجيش الإسلام واستخدام مختلف الأسلحة المتطورة ورفع المستوى الفنى، الإقتصادى، الإعلامى، الأخلاقى، الإجتماعى وأمثال ذلك رغم أنه يحتاج إلى رصيد مالى ضخم وكبير ولكن يجب على المسلمين تأمين هذه النفقات فكلّما ينفق فى هذا السبيل وفى خطّ تقوية الإسلام والبلد الإسلامى فإنّ اللَّه تعالى سيعيده إليكم وسوف لا تتضررون من ذلك حتماً. «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». فرغم أن المسلمين ينبغى عليهم تعبئة جميع طاقاتهم ورفع مستواهم العسكرى والنظامى ولكن إذا أراد العدو يوماً أن يمدّ إليكم يد الصلح فعلى المسلمين أن يقبلوا بذلك ولا ينبغى عليهم الإصرار على الحرب، فهذه الآية الشريفة تعتبر جواباً قاطعاً لبعض الأبواق الإستعمارية التى تصر على أن الإسلام دين السيف ويدعو إلى الحرب دائماً، فإنّ الإسلام إذا كان دين الحرب فلا معنى لأن يدعو إلى الصلح ويفرض على المسلمين أن يصافحوا اليد التى تمتد إليهم بالصلح والسلم. ثمّ إنّ اللَّه تعالى يحذّر المسلمين: «وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِی أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ». فرغم أن الإسلام يدعو إلى الصلح ويأمر المسلمين كذلك أن يستجيبوا لدعوات الصلح التى تصدر من العدو ولكنه يحذّر المسلمين أن يأخذوا جانب الحيطة والحذر من مكر الأعداء وخدعهم، فحتّى فى حال الصلح يجب على المسلمين أن يحتفظوا بقوّتهم العسكرية وقدرتهم الدفاعية بأعلى المستويات لكيلا يطمع فيهم العدو ويستغل هذه الفرصة فى أجواء الصلح ويهاجم المسلمين على حين غرّة، فقد يكون طلبه للصلح بسبب أنه وجد آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۴ نفسه ضعيفاً ويريد أن يجدد قواه ويزيد من قدراته العسكرية فيقترح على المسلمين الصلح الكاذب ويشغلهم مدّة لمحادثات الصلح حتّى يتهيأ من جديد لانزال ضربة قاصمة بالمسلمين، ولكنّ المسلمين إذا تحركوا فى أجواء الصلح من موقع الحذر والإحتياط واحتفظوا بقواهم العسكرية فإنهم سيأمنون من كيد العدو، الإمام على عليه السلام يوصى قائده الشجاع مالك الأشتر فى عهده له بأن يستغل أية فرصة للصلح مع العدو ولكنه يحذّره من مكر الأعداء ويقول: «ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك وللَّه فيه رضى ... ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه، فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل فخذ بالحزم، واتّهم فى ذلك حسن الظّن». «۱» ثمّ إنّ اللَّه تعالى فى ختام الآية الشريفة يقول للنبى الكريم صلى الله عليه و آله بأن اللَّه تعالى سيكفيك مكرهم فى هذه الصورة فهو الذى أيّدك بنصره وبالمؤمنين: «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». فليس بإمكانك أن تؤلف بين قلوب العرب والقبائل العربية المتنازعة والمتعادية بأدوات المال والقوّة وأمثالها فلو أنك أنفقت عليهم جميع ثروات الأرض لم تتمكن من تأليف قلوبهم ولكنّ اللَّه تعالى هو الذى ألّف بينهم، وهذه نعمة عظيمة عليك وعلى المسلمين. إنّ الآيات الأربع المذكورة آنفاً تحتاج إلى أبحاث معمّقة ودراسات كثيرة لاستكشاف مضامينها واستجلاء معانيها ولكننا نكتفى بهذا المقدار ونصرف النظر إلى مباحث اخرى.

من هم المؤمنون؟

من هم المؤمنون؟ سؤال: فى حقّ من نزلت آية النصرة هذه، ومن هو المقصود بالمؤمنين؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۵

الجواب: وردت روايات كثيرة فى هذا المجال ذكرها العلّامة الأمينى فى «الغدير» «۱»، وكذلك ذكرها صاحب «احقاق الحقّ» «۲» وهذه الروايات على قسمين: الأوّل: الروايات التى تقول: بأن أوّل ناصر ومعين للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو الإمام على عليه السلام وهذه الآية الشريفة تشير إلى الإمام على. الثانى: الروايات التى تتحدّث عن نصرة الإمام على عليه السلام للنبى ولكنّها لا تذكر شيئاً عن تطبيق آية النصرة عليه، ونكتفى بذكر رواية واحدة من كلٍّ من هذين القسمين: ۱- ما أورده ابن عساكر صاحب كتاب «تاريخ دمشق» عن أبى هريرة «۳» أنه قال: «مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ لا الهَ إلّاأنَا وَحْدِى، لا شَريكَ لى، وَمُحَمَّدٌ عَبْدى «۴» وَرَسُولى، ايَّدْتُهُ بِعَلِىٍّ وَذلِكَ قَوْلُهُ «هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ»». «۵» وهنا لابدّ من التلميح بثلاث نقاط: أوّلًا: بالرغم من أن أبا هريرة لم يصرّح بنسبة هذه الرواية إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ولكن مع الأخذ بنظر الإعتبار جملة «مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ» يتّضح جيّداً أن أبا هريرة سمعها من النبى لأنه لا يمكنه أن يدّعى هذا بنفسه. ثانياً: إنّ شأن نزول آيات القرآن على نحوين: الأوّل: شأن النزول المنحصر بفرد معيّن مثل آية «إكمال الدين» و «آية الولاية» وأمثالهما من الآيات التى نزلت فى شأن علىّ ابن أبى طالب بالخصوص ولا تستوعب فى أجواءها غيره من المسلمين. الثانى: شأن النزول العامّ والذى لا ينحصر بفرد معيّن ولكن هناك مصداق أكمل لمضمون هذه الآيات الشريفة حيث يرد ذكر هذا المصداق عادةً فى الروايات من قبيل «آية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۶ النصرة» الواردة فى حقّ المسلمين بشكل عامّ ولكنّ الإمام على عليه السلام هو المصداق البارز والكامل لها. ثالثاً: مضافاً إلى ابن عساكر هناك مؤرّخين وعلماء نقلوا فى كتبهم هذه الرواية أيضاً ومنهم: الف) محبّ الدين الطبرى فى «الرياض» «۱». ب) السيوطى فى «الدرّ المنثور» «۲». ج) القندوزى فى «ينابيع المودّة» «۳». د) العلّامة الگنجى فى «كفاية الطالب». «۴» ۲- وقد ذكر العلّامة الأمينى روايات كثيرة بأسناد اخرى أن الإمام على عليه السلام هو أوّل ناصر للنبى صلى الله عليه و آله ولكنّها لا تصرّح بأن المراد من الآية الشريفة هو علىّ بن أبى طالب، ومن جملة هذه الروايات ما ورد عن «أنس بن مالك» عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنه قال: «لَمَّا عُرِجَ بِى: رَأَيْتُ عَلى ساقِ العَرْشِ مَكْتُوباً: لا الهَ إلَّااللَّهُ، محمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، ايَّدْتُهُ بِعَلِىٍّ، نَصَرْتُهُ بِعَلِىٍّ» «۵». الحديث الشريف هذا مذكور فى مختلف كتب أهل السنّة ومنها: ۱- ذخائر العقبى «۶». ۲- مناقب الخوارزمى «۷». ۳- فرائد الحمويى «۸». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۷ ۴- الخصائص الكبرى للسيوطى «۱» وكتب اخرى «۲». امّا ما ذكر فى هذا الحديث «على ساق العرش مكتوباً» فيدلُّ على أهمية هذه المسألة بحيث أنها كتبت على ساق العرش الإلهى وذكرت إلى جانب اسم اللَّه تعالى واسم رسوله اسم على ابن أبى طالب أيضاً، وهذا يدلُّ على أن الإمام على عليه السلام هو المصداق البارز والفرد الكامل لعنوان الناصر، وبديهى أن اللَّه تعالى إذا أراد أن يختار خليفة لرسوله الكريم فإنه يختار من بين المسلمين الأفضل والأكمل منهم لهذا المقام، وإذا أراد المسلمون أن يختاروا شخصاً لهذا المقام فإنّ العقل يحكم بضرورة اختيار مثل هذا الشخص.

توصية الآية

الدفاع عن الإسلام بكلّ القوى

الدفاع عن الإسلام بكلّ القوى رأينا فى الآيات الشريفة المذكورة آنفاً دور الإمام على عليه السلام وأهميته الكبيرة فى نصرة النبى الكريم صلى الله عليه و آله وحماية الرسالة السماوية، إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد حصل على هذا المقام فى ظلّ تحركه الدائب وسعيه المستمر فى الدفاع عن قائد المسلمين فى أحلك الظروف وأشد الأزمات، وعندما كان الإسلام على شرف الإنهيار والسقوط فإنّ الإمام على عليه السلام كان يبذل كلّ ما اوتى من قوّة للدفاع عن هذا الدين الإلهى، مثلًا فى حرب احد حيث إنهزم جميع المسلمين وتركوا النبى صلى الله عليه و آله لوحده فى ميدان القتال نجد أن الإمام على عليه السلام استمر فى قتال الأعداء ومناجزتهم ولم يكن له علم بحال النبى صلى الله عليه و آله ولكنه كان يعلم أن النبى ما زال فى الميدان وأنه ليس بالإنسان الذى يفر من قتال

العدو، ولهذا ففى حين أنه كان مشغولًا فى قتال الأعداء كان يبحث عن النبى صلى الله عليه و آله فى الميدان فرآه فى أحد الجوانب وقد كسرت ثنيته المباركة وسال الدم من فمه وجبهته، فما كان من الإمام على عليه السلام إلّاأن أخذ يدور حوله ويذبّ الأعداء عنه حتّى تحمّل جراحاً بليغة فى سبيل الدفاع عن النبى صلى الله عليه و آله «۳»، وعلى الشيعة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۸ أيضاً أن يبذلوا كلّ شىء من نفس ومال وأخلاق وحُسن معاشرة ومحبّة وعلم وجميع القابليات والإمكانات التى لديهم فى سبيل الدفاع عن الإسلام لكى يردوا يوم القيامة مرفوعى الرأس ولا يردون عرصات المحشر فى حالة الخجل من النبى صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۴۹

آية علم الكتاب

اشارة

آية علم الكتاب ۴ [سورة الرعد (۱۳): آية ۴۳] وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (۳۱) «سورة الرعد/ الآية ۴۳»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآية الاخرى من آيات فضائل الإمام على عليه السلام التى يمكن اعتبارها دليلًا على إمامته هى آية «علم الكتاب» حيث تقرر هذه الآية أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله استشهد بشاهدين على صدق ادعائه: أحدهما اللَّه تعالى، والآخر «من عنده علم الكتاب» فكيف تقرر شهادة هذين على صدق دعوى النبى، ومن هو المراد ب «من عنده علم الكتاب»؟ فذلك ما سيأتى تفصيله لاحقاً، ولكن قبل استعراض تفسير الآية نرى أن من الضرورى الإشارة إلى مقدمة:

لا تقبلوا أمراً بدون دليل

لا تقبلوا أمراً بدون دليل إنّ أحد تعليمات القرآن الكريم الأساسية هو أنه يوصى جميع المسلمين بل جميع الناس أن لا يقبلوا شيئاً وفكرة وعقيدة بدون دليل، أجل فإنّ الإسلام يؤكد على قبول العقيدة إذا كانت مقترنة مع الدليل والبرهان. ونقرأ فى القرآن الكريم أربع آيات تشير إلى هذا الموضوع حيث تقول: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۰ «قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ» «۱». المخاطَب فى هذه الآيات تارةً هم اليهود والنصارى حيث يأمر اللَّه تعالى نبيّه الكريم بأن يقول لهم أن يأتوا بدليل وبرهان على صدق مدّعياتهم (من قبيل أنه لا يرد أحد غيرهم الجنّة). وتارةً اخرى يكون المخاطب هم المشركون الذين يدّعون ادعاءات زائفة فى شأن الأصنام، فهؤلاء يجب عليهم أن يقدّموا الدليل العقلى على دعواهم وإلّا فلا يقبل منهم ما يقولون. بل إنّ أحد الآيات هذه تشير إلى يوم القيامة أيضاً، فهناك لو أن أحداً إدعى شيئاً يجب أن يكون ادعاؤه مقروناً بالدليل والبرهان. وعلى هذا الأساس يستفاد من الآيات أعلاه أنه لابدّ لكلّ قوم وأتباع كلّ مذهب أن يأتوا بالدليل على أفكارهم وعقائدهم «۲»، وهذه الثقافة القرآنية الراقية إذا تمّ تجسيدها على مستوى الممارسة والعمل فإنّ من شأنها أن تقف حائلًا أمام الخرافات والأفكار الزائفة آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۱ والعقائد الواهية وحتّى أمام الشائعات وأنواع التهم والتخرّصات، وفى مثل هذا المجتمع القرآنى لا يمكن لأى فئة مغرضة إيجاد حالة من التشويش والإضطراب فى الذهنية المسلمة ليصطادوا السمك فى الماء العكر ويركبوا أمواج الضلالة والأزمات الإجتماعية وبالتالى يذبحوا الإسلام عند عتبة أغراضهم ومنافعهم الشخصية، وعلى هذا الأساس فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله استشهد لصدق دعواه بدليلين وشاهدين

معتبرين بحيث يقبل شهادتهم كلّ إنسان. ومع الإلتفات إلى هذه المقدمة نشرع فى تفسير الآية الشريفة:

الشرح والتفسير: الشهود على النبوّة

الشرح والتفسير: الشهود على النبوّة «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا» وعليه فإنه ينبغى على النبى صلى الله عليه و آله لإثبات صدق دعواه ورسالته أن يأتى بالدليل والبرهان وفقاً لما قرّره القرآن الكريم من قاعدة وقانون فى دائرة الفكر والمعتقدات، ولهذا فإنّ اللَّه تعالى يقول فى سياق الآية الشريفة: «قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ». فهنا ذكر النبى شاهدين: الأوّل هو اللَّه تعالى، والثانى هو الشخص الذى عنده «علم الكتاب» أى الشخص الذى يعلم بجميع ما فى الكتاب لا بجزء منه، وهذان الشاهدان كافيان لمن كان يتحرك فى طلب الحقّ والحقيقة.

كيفية شهادة اللَّه

كيفية شهادة اللَّه سؤال: إنّ اللَّه تعالى غائب عن الأنظار ولا يستطيع أحد من الناس أن يراه فكيف يشهد بصدق رسالة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وصدق دعواه؟ الجواب: إنّ اللَّه تعالى من خلال المعجزات التى يضعها تحت اختيار النبى صلى الله عليه و آله يمثّل شاهد صدق على رسالة نبى الإسلام لأنه من المحال على اللَّه الحكيم أن يضع أكثر من معجزة بل مئات المعاجز بيد مدّعى النبوّة الكاذب ليضل عباده، فاللَّه تعالى لا يمكن أن يضل عباده بهذه الصورة، وعليه فعندما يضع اللَّه تعالى العديد من المعجزات بيد النبى فإنه يشهد بذلك على صدقه. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۲

من هو الذى «عنده علم الكتاب»؟

من هو الذى «عنده علم الكتاب»؟ يذكر العلّامة الطبرسى فى مجمع البيان ثلاث نظريات فى هذا المجال: ۱- أن المراد بقوله «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» هو اللَّه تعالى، وفى الحقيقة فهذه الجملة بمثابة عطف تفسيرى على «باللَّه» الذى ورد فى صدر الآية، فكليهما بمعنى واحد، وعليه ففى هذه الآية الشريفة لا يوجد أكثر من شاهد واحد يشهد على صدق إدعاء نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وهو اللَّه تعالى «۱». ولكنّ هذه النظرية مردودة، لأن الأصل الأولى فى العطف هو التعدد والجملة المعطوفة تقرر مطلباً جديداً غير المعطوف عليه، والعطف التفسيرى خلاف الأصل، وهذه الحقيقة يذعن لها علماء اللغة والأدب العربى، وعليه فما لم يتوفر لنا دليل معتبر على أن الجملة أعلاه هى عطف تفسيرى، فلابدّ من حملها على معنىً آخر غير المعطوف عليه لئلّا نقع فى إشكالية التكرار، ولذلك فالنظرية الاولى غير مقبولة. ۲- ومنهم من ذهب إلى أن المراد من جملة «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» هم اولئك الأشخاص من أهل الذمّة الذين اعتنقوا الإسلام ومنهم «عبداللَّه ابن سلام» «۲» العالم اليهودى، ولكنه كان منصفاً وقد قرأ علامات نبوّة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى التوراة وعندما رآها منطبقة على محمّد بن عبداللَّه صلى الله عليه و آله وعلم أنه مرسل من اللَّه تعالى آمن به فى حين أنه لو بقى على دين اليهودية كان يحظى بمنزلة كبيرة بينهم وقد يحصل من ذلك الكثير من الأموال والثروات، ولكنه عندما علم بحقيقة الأمر سحق أهواءه النفسية واعتنق الإسلام، ولهذا فإن هذا الشخص هو الذى عنده «علم الكتاب» أى كان يعلم بعلائم النبى فى التوراة ويشهد بذلك، إذن فإن هذه الآية تقرر شاهدين على صدق ادعاء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وبعبارة اخرى إنّ اللَّه تعالى والكتب السماوية السابقة تشهد بصدق نبوّة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله. ولكنّ هذه النظرية أيضاً غير مقبولة، لأن سورة الرعد من السور المكية فى حين أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۵۳ عبداللَّه ابن سلام اعتنق الإسلام فى المدينة، وعلى هذا الأساس فإنّ زمان نزول الآية محل البحث قبل إيمان عبداللَّه بن سلام بعدّة سنوات فلا يمكن أن تشير الآية إلى إيمان هذا الشخص وشهادته. ۳- وهى النظرية التى وردت فى الكثير من كتب التفسير والتاريخ والحديث حيث تقرر أن المراد بجملة «من عنده علم الكتاب» هو الإمام على

ابن أبی طالب علیه السلام «۱». یقول أبوسعید الخدری من علماء الإسلام وصحابة النبی صلی الله علیه و آله والمقبول لدی أهل السنّة والشیعة: «سألت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عن هذه الآیة: الذی عنده علم من الکتاب «۲» قال: ذاک وزیر أخی سلیمان بن داود علیه السلام، وسألته عن قول اللَّه عزّوجلّ: قل کفی باللَّه شهیداً بینی وبینکم ومن عنده علم الکتاب، قال ذاک أخی علی بن أبی طالب» «۳». ویروی هذه الروایة مضافاً إلی أبی سعید الخدری: عبداللَّه ابن عبّاس، سلمان، سعید ابن جبیر، محمّد ابن الحنفیة، زید بن علی وآخرون أیضاً، ومن جملة من ذکر هذه الروایة فی کتابه: القرطبی «۴»، السیوطی «۵»، العلّامة الدشتکی الشیرازی «۶»، الترمذی «۷» وآخرون، وعلیه فإن أفضل تفسیر لجملة «من عنده علم الکتاب» هو أن المراد منها الإمام علی ابن أبی طالب علیه السلام.

کیف یشهد الإمام علی علیه السلام بالنبوّة؟

کیف یشهد الإمام علی علیه السلام بالنبوّة؟ سؤال: مع الإلتفات إلی الروایات الکثیرة الواردة فی شأن نزول هذه الآیة الشریفة التی آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۵۴ تؤید أنها واردة فی شأن الإمام علی علیه السلام، یثار هنا سؤال آخر وهو: کیف یمکن أن یشهد الإمام علی علیه السلام علی نبوّة ورسالة النبی محمّد صلی الله علیه و آله؟ وفی مقام الجواب عن هذا السؤال نذکر مثالین علی ذلک: ألف) إذا دخل أحد الأشخاص مدینة معیّنة ولم یکن له فیها أیُّ شخص یعرفه، وحینما یحین وقت یتوجه إلی المسجد لیدرک فضیلة صلاة الجماعة وفضیلة الصلاة أوّل الوقت، فمع العلم بأنه لا یعرف أحداً من هذه المدینة کیف یمکنه أن یتثبت من عدالة إمام الجماعة ویقتدی به؟ یقول الفقهاء: إنّ مجرد حضور مجموعة من الأشخاص من أهل الإطلاع والفضل واقتداءهم به یمکنه أن یکون بمثابة الشهادة علی عدالة إمام الجماعة، من قبیل أن مئات من رجال الدین والشیوخ یقتدون به فی صلاتهم، فمن هنا یتبیّن لنا عدالة إمام الجماعة من خلال اقتداء المأمومین هؤلاء. ب) إذا رأینا شخصاً من أهل الخبرة والفضل ومورد احترام الناس یأتی إلی استاذ من الأساتذة ویجلس بین یدیه لیتعلم ویتتلمذ علی ید هذا الاستاذ الذی لا نعرفه إطلاقاً، فمن خلال معرفتنا بعلم وفضل التلمیذ ندرک عظمة الاستاذ وعلمه الواسع، وعلی سبیل المثال إذا رأینا الشیخ الأنصاری أو العلّامة الحلّی یدرسان ویتعلمان عند استاذ غیر معروف، فمن خلال التلمیذ ندرک عظمة الاستاذ. وبالنظر إلی هذین المثالین نجیب علی السؤال المذکور: عندما نطالع شخصیة الإمام علی علیه السلام ونراه متفوقاً فی جمیع الصفات الأخلاقیة والإنسانیة نری أنّ مثل هذا الإنسان مع عظیم علمه ومعرفته بحیث إنّ الإنسان الذی یقرأ «نهج البلاغة» ویتدبر فیه وفیما یتضمنه من معارف عمیقة وعلوم غزیرة لا یصدّق أن هذا الکتاب هو حصیلة ترشحات من فکر إنسان، ولهذا قیل عن نهج البلاغة: «دون کلام الخالق وأعلی من کلام المخلوق». الإمام علی مع ذلک القضاء العجیب والمحیّر فی أدق المشکلات والمحاکمات والذی نجح بأفضل وجه فی ردّ حقوق المظلومین ... آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۵۵ الإمام علی مع شدید عبادته وتقواه والتزامه الدینی بحیث إنه فی حال الصلاة لا یلتفت إلی شیء آخر سوی اللَّه تعالی ولذلک کانوا فی الموارد التی لا یستطیعون معالجته فی غیر الصلاة ینتظرونه لیصلّی حتّی یخرجوا السهام من بدنه الشریف وهو غافل عنها ... الإمام علی مع شهامته وشجاعته المحیّرة والتی تضرب بها الأمثال بحیث لم یغلب فی أیِّ حرب وقتال ولم یفر ولا مرّة واحدة من الأعداء ... الإمام علی مع التزامه الشدید بالعدالة بحیث لا یمکن لأحد من الناس أن یخرجه عن حدّ العدالة وأخیراً استشهد بسبب هذا الإلتزام والإنضباط الأخلاقی بالعدالة. أجل، فإنّ الإمام علی علیه السلام بهذه الصفات والخصائص الاخری یمثل رمز الإنسان الکامل، وهذا الشخص قد آمن بنبی الإسلام صلی الله علیه و آله وجعل حیاته وقفاً لتبلیغ هذا الدین واعتبر نفسه عبداً من عبید محمّد، ألا یتبین لنا من خلال إیمان الإمام علی علیه السلام حقانیة إدّعاء النبی الأکرم صلی الله علیه و آله والرسالة السماویة؟ وبهذا یکون الإمام علی شاهداً آخر علی نبوّة نبی الإسلام صلی الله علیه و آله. ونعتقد أن هذا الشاهد علی نبوّة النبی محمّد صلی الله علیه و آله إلی درجة من الأهمّیة بحیث إنه لو فرضنا أن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لم یأتِ بأی دلیل آخر سوی شهادة علی ابن أبی طالب لکفی.

المقارنة بین آصف بن برخیا وعلی بن أبی طالب علیه السلام

المقارنة بین آصف بن برخیا وعلی بن أبی طالب علیه السلام کان آصف بن برخیا وزیر النبی سلیمان علیه السلام وقد وردت قصته فی سورة النمل وهی: «عندما تحرکت ملکة سبأ من الیمن باتجاه النبی سلیمان لتسلم علی یده خاطب سلیمان وزراءه ومشاوریه من الجن والإنس وقال: أیکم یقدر علی أن یأتینی بعرش الملکة من الیمن قبل أن تصل إلینا؟ فقال أحد العفاریت من الجنّ: أنا آتیک به ولکنّ ذلک یحتاج إلی مدّة من الزمان قد تصل إلی بضع ساعات وسوف أحضره عندک قبل إتمام هذه الجلسة. والظاهر أن النبی سلیمان لم یقبل هذا الإقتراح وأراد حضور العرش بأسرع من هذا الوقت ولهذا قال شخص آخر وکان لدیه علم من الکتاب وهو «آصف بن برخیا»: إننی آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۵۶ قادر علی إحضاره عندک قبل أن تطرف عینک، فما أن فتح سلیمان عینه وإذا به یری عرش الملکة حاضراً عنده، وحینذاک توجه سلیمان بالشکر إلی اللَّه تعالی علی هذه النعم والمواهب العظیمة «۱». إن آصف بن برخیا وبسبب اطلاعه علی بعض علم الکتاب والإسم الأعظم استطاع أن یقوم بهذا العمل الخارق للعادة، فی حین أنّ الإمام علی علیه السلام لدیه علم الکتاب أجمع وکذلک الإسم الأعظم فهل یمکن قیاس قدرة آصف ابن برخیا بقدرة الإمام علی علیه السلام؟ من هذا البحث یمکننا التطرق إلی الولایة التکوینیة للأئمّة الأطهار، لأن معنی العلم التکوینی لیس هو أننا نعتقد بأن الإمام علی علیه السلام خالق السماوات والأرض «ونعوذ باللَّه» بل یعنی أنّ هؤلاء الأولیاء یتصرفون بعالم الوجود بإذن اللَّه تعالی ومشیئته ویشبه تصرفهم عمل آصف ابن برخیا. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۵۷

آیة المؤذّن وآیة الأذان

اشارة

آیة المؤذّن و آیة الأذان ۵- ۶ ومن جملة الآیات التی تتعلق بفضائل الإمام علی علیه السلام هی الآیات ۴۴ من سورة الأعراف، والآیة ۳ من سورة التوبة حیث یقول تعالی فی الآیة ۴۴ من سورة الأعراف: ۷/ ۴۴ ویقول فی الآیة ۳ من سورة التوبة: [سورة التوبة (۹): آیة ۳] رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِیَوْمٍ لا رَیْبَ فِیهِ إِنَّ اللَّهَ لا یُخْلِفُ الْمِیعادَ (۹)

أبعاد البحث

أبعاد البحث إنّ کلمة «مؤذّن» وردت فی القرآن الکریم مرّتین حیث تتحدّث عن عالم الآخرة، وقد وردت فی الآیة ۴۴ من سورة الأعراف، وفی الآیة ۷۰ من سورة یوسف وهکذا کلمة «أذان» وردت مرّة واحدة فی الآیة ۳ من سورة التوبة، وکلُّ واحدة من هاتین الآیتین ترتبط بشأن الإمام علی علیه السلام. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۵۸ «أذان» فی الإصطلاح یراد به مجموعة الأذکار الخاصّة التی تقال حینما یحین وقت الصلاة لدعوة الناس إلی الصلاة والمسجد ولکن فی اللغة یراد بها مطلق الإعلان، فتارةً یکون الإعلان مقارناً للتهدید، واخری لإعلان الحرب، وثالثة لإعلان وقت الصلاة، وبتعبیر آخر أن «الأذان» تعنی إخبار الناس بالخبر بصورة علانیة، إذن فالأذان لا یختصُّ بالإعلان عن وقت الصلاة بل یستوعب معنیً واسعاً.

تفسیر الآیة ۴۲ من سورة الأعراف

حوار أهل الجنّة وأهل النار

حوار أهل الجنّة وأهل النار ولأجل توضیح معانی ومفاهیم آیة المؤذّن نری من اللازم أن نبدأ بالآیات التی قبلها: «وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لا نُکَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِیها خالِدُونَ». جملة «لا نُکَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» جاءت کجملة

معترضة فى الآية أعلاه وتشير إلى نكتة مهمة، وهى أن جميع الأشخاص لا يستوون فى الإيمان والعمل الصالح ولا يصحّ أن يتوقع الإنسان من جميع الناس التساوى فى الإيمان والعمل الصالح، بل كلُّ شخص يُكلّف بمقدار قدرته وإدراكه ولياقته، وبدون شك أن إيمان الإمام على عليه السلام وسلمان وأبى ذرّ ليس بمستوى إيمان سائر الناس، ولذلك فالمتوقع من هؤلاء الأشخاص الأولياء غير ما يتوقع من الأشخاص العاديين، والخلاصة هى أن كلُّ إنسان مؤمن يدخل الجنّة بحسب قابليته وإيمانه وعمله الصالح. «وَ نَزَعْنا ما فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ». فهنا تتحرّك الآية الشريفة لبيان صفات المستحقين للجنّة بعد ورودهم إليها فأوّل ما يواجه المؤمن لدى دخوله الجنّة هى أن اللّه تعالى يطهر قلبه من أدران الحسد والحقد تماماً ويعود إليها الصفاء والطهر والخلوص، وكلمة «غلّ» تقال لحركة الماء الخفية تحت النباتات، وبما أن عنصر الحسد والحقد يتحرك فى قلب الإنسان بصورة خفية ومستورة فلذا قيل عنه بأنه «غلّ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ٢٥٩ سؤال: هل يعقل أنّ أهل الجنّة يعيشون الحسد والحقد ومع ذلك يدخلهم اللّه الجنّة؟ الجواب: يستفاد من بعض الروايات أن بعض الدرجات الخفيفة للحسد والحقد يمكنها أن تكون لدى المؤمن وما لم يظهرها الإنسان لا تحسب ذنباً ومعصية ولا تتنافى مع الإيمان «١»، وبهذا فإنّ اللّه تعالى يطهّر قلوب هؤلاء المؤمنين من أهل الجنّة من هذه الدرجة الضعيفة من الحسد والحقد ليعيشوا فى الجنّة بكامل السعادة والطمأنينة والراحة النفسية. «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» إنّ أهل الجنّة يسكنون فى قصور وبيوت تجرى من تحتها الأنهار، أى أن اللّه تعالى قد بنى لهم هذه القصور والبيوت على الأنهار الجارية، وهذا من جملة النعم الاخروية على أصحاب الجنّة والتى وردت فى الكثير من الآيات الشريفة. «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ» فعندما يشاهد أهل الجنّة كلُّ هذه النعم العظيمة والألطاف الإلهيّة الجليّة يتوجهون إلى ربّهم من موقع الشكر والثناء ويقولون: الحمد الذى هدانا لهذه النعم والمواهب الكثيرة ولولا عناية اللّه ورعايته ما كنّا لنهتدى إليها ولا نسلك الطريق إلى الجنّة، وأنّ رسل اللّه وأنبياءه كانوا يقولون الحقّ، أجل، فإنّ أهل الجنّة يعترفون بأن الهداية التشريعية للأنبياء والأولياء والكتب السماوية وكذلك الهداية التكوينية المنبعثة من الجوانب النفسانية والفطرية المودعة فى وجود الإنسان هى التى أدّت بهم إلى اختيار طريق الجنّة وكسب رضا اللّه تعالى ونيل ألطافه وعناياته. «وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فبعد أن يشكر أهل الجنّة اللّه تعالى على عظيم نِعمه التى لا تحصى يقال لهم أن أدخلوا الجنّة فهى التى ورثتموها بأعمالكم. «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا» فعندما يستقر أهل الجنّة فى مساكنهم وقصورهم وينظرون إلى ما حولهم بحثاً عن أصدقائهم ومعارفهم لا يجدون أفراداً منهم ويدركون أنهم صاروا من أهل النار وحرموا الورود إلى الجنّة وبذلك يخاطبون أهل النار: آيات الولاية فى القرآن، ص: ٢٦٠ «إننا قد وجدنا ما وعد ربُّنا حقّاً وقد تبيّن لنا صحّة الطريق الذى سلكناه فى الدنيا وأوصلنا هذا الطريق من خلال الإيمان والعمل الصالح إلى الجنّة وحظينا بجميع ما وعد اللّه تعالى للمؤمنين فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقّاً؟ هل تحققت وعود اللّه فى حقّكم من العقاب على ما ارتكبتم من الذنوب والجرائم؟ «قالُوا نَعَمْ» وهكذا يجيب أهل النار على هذا السؤال بالإيجاب وأن اللّه قد أنجز ما وعدهم من العذاب والعقاب الاخروى. سؤال: لماذا يسأل أهل الجنّة هذه الامور من أهل النار؟ الجواب: يحتمل أن سؤالهم كان لغرض تحصيل إطمئنان أكثر وإيمان أعلى بما وعد اللّه رغم أن أهل الجنّة يؤمنون بجميع ما وعدهم الأنبياء من امور الغيب ويعتقدون به ولكنهم عندما يرون ذلك بامّ أعينهم أو يسمعون من أهل النار تحقّق الوعيد الإلهى بحقّهم فإنّ إيمانهم سيزداد ويتعمق أكثر. الإحتمال الآخر هو أنهم يسألون أهل النار من أجل التهكم والذم والتقريع لهم كما كان أهل النار يلومون المؤمنين فى الدنيا ويذّمونهم ويسخرون منهم على اعتقاداتهم وإيمانهم بالغيب فهذه المساءلة نوع من المقابلة بالمثل. «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» كختام للمحاورة المذكورة بين أهل الجنّة وأهل النار لابدّ وأن يكون هناك من يختم هذا الحوار ولذلك ورد النداء الإلهى «أن لعنة اللّه على الظالمين» وتنتهى بذلك المساءلة ويسدل الستار على هذه المحاورة.

من هو المؤذّن؟

من هـو المـؤذّن؟ سؤال: من هو المؤذّن فى الآيـة ۴۴ من سورة الأعراف؟ ومن هو هـذا الشـخص الـذى يختم الحوار المـذكور بالنداء الإلهى والـذى توحى الآيـة أن له سـلطة على الجنّة والنار والقيامـة؟ ومن هو هـذا الشـخص الـذى يسـمعه جميع الناس فى ذلك اليوم ويختم بكلامه عمليـة المحاورة بين أهل الجنّة وأهل النار؟ الجواب: هناك روايات متعـددة مـذكورة فى مصادر الشيعة وأهل السـنّة تؤكـد على أن آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۶۱ المؤذّن هو الإمـام على عليه السـلام، وعلى سبيـل المثال نشير إلى نماذج منها: ۱- أورد الحـاكم الحسـكانى الحنفى من أهل السـنّة فى «شواهـد التنزيل» عن محمّـد ابن الحنفيـة عن الإمام على عليه السـلام أنه قال: «أَنا ذلِكَ الْمُؤذِّنُ». وروى الحـاكم بسـنده عن أبى صالـح عن ابن عبّاس رضـى اللَّه عنهما أنّه قال: قال على رضـى الله عنه: فى كتاب اللَّه أسـماء لى لا يعرفها الناس منها المؤذن «۱». ۲- وكـذلك نقـل الحافظ أبو بكر ابن مردويه فى كتاب «المناقب» أن المؤذّن هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام «۲». ۳- ونقل الآلوسى أحد المفسّرين المعروفين من أهل السنّة فى تفسير «روح المعانى» عن ابن عبّاس أنه قال: «الْمُؤَذِّنُ عَلِىٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ» «۳». ۴- وذكر الشيخ سليمان القندوزى مؤلف كتاب «ينابيع المودّة» فى كتابه هذا أن المراد بالمؤذّن هو علىّ بن أبى طالب «۴». ۵- ونقل هذا المعنى مير محمّد صالح الكشفى الترمذى فى «المناقب» «۵».

هل أنّ مقام المؤذّن يعدّ فضيلة؟

هل أنّ مقام المؤذّن يعـدّ فضـيلة؟ سؤال: لقـد ذهـب بعض المثقفين والكتّاب الإسـلاميين الـذين تورطوا فى شـراك التعصّب المـذهبى عندما يصل إلى هذه الآية الشريفة والروايات المذكورة فيها ينكر كون مقام المؤذّن فضيلة للإمام على عليه السلام ويقول: «على فرض أن يكون المؤذن هو الإمـام على عليه السـلام، ولكن هـذا آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۶۲ المعنى لا يعـدّ افتخاراً له، لأنه لابـدّ أن يكون هنـاك مؤذن يوصل النـداء الإلهى للناس فى المحشـر، ولا يختلف الحال فيمن يكون هو المؤذن». الجواب: والجواب على هـذا الكلام واضح لأن هذا المؤذّن إنما يعلن شيئاً بأمر اللَّه تعالى فهو رسول من اللَّه لإلقاء هذا الكلام على أهل المحشر أى الناطق الرسمى عن اللَّه وهى وظيفة خطيرة وثقيلة، وعليه فإنّ هذا المقام يدلُّ على أهمية ومكانة هذا الشخص بحيث يبين للناس الرسالة الإلهية بصورة جيّـدة فى يوم القيامـة، ومع الإلتفات إلى محتوى هـذه الرسالـة وأنها تشـمل لعنـة اللَّه على الظالمين فلابدّ أن لا يكون هذا المؤذّن من الأفراد الملوثين بالظلم فى الدنيا، وإلّا فلا يوجد أحد يلعن نفسه، ولهذا فإنّ مقام المؤذّن فى ذلك اليوم لا يعدُّ مقاماً عادياً يسـتطيع أىُّ شخص أن يقوم به، وعليه فـإنّ هـذا المقـام يعـدّ فضـيلة كبيرة لمن يناله. لماذا يغمض بعض مفسّـرى أهل السـنّة أبصارهم عن إدراك الحقـائق ويمرون على المضامين القرآنيـة مرور الكرام بهـدف الإحتفاظ على عقائـدهم الموروثـة وأحياناً ينكرون مضامين الوحى من أجل ذلك؟!

تفسير الآية ۳ من سورة التوبة

تفسير الآية ۳ من سورة التوبـة أما تفسير «آيـة الأذان» فى سورة التوبة والتى تعد هى الاخرى من آيات فضائل الإمام على عليه السـلام ولهـا ارتباط وثيق بآيـة «المؤذّن» السابقـة، نرى من اللازم بعض التوضيـح حول الآيات الاولى من سورة التوبـة: عنـدما فتحت مكّـة فى السـنة الثامنة للهجرة وتمّ القضاء على الشـرك وعبادة الأوثان وإزالة الأصنام من أرض الوحى ودخل العرب فى الإسلام ورأى مشركو مكّـة تعامـل النـبى صـلى الله عليه و آله معهم من موقـع المحبّـة والعفـو والصـفح، أدّى ذلـك إلى دخول النـاس فى الإسـلام زرافـات ووحـدانا، وانتهت هـذه السـنة بجميع ما وقع بها من حوادث كبيرة، وأراد رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله فى السـنة التاسـعة للهجرة أن يحـجّ حجّـة الوداع ولكنه بسـبب وجود بعض الامـور لم يرَ من المنـاسب أن يحـجّ فى تلك السـنة وذلك: الف: إنّ بعض المشـركين

وعبـدة الأوثـان كـانوا يأتون من الباديـة لزيارة بيت اللّه الحرام، وعلى الرغم من أن الكعبـة قـد تمّ تطهيرها من الأصـنام والأوثان إلّاأنّ هؤلاءـ الوثنيين كانوا آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۶۳ يأتون إلى البيت الحرام ويطوفون حوله وينشدون بعض الأشـعار والشـعارات الجاهلية حين الطواف تخليداً لذكر الأصنام. ب: ما زال بعض الناس يطوفون بالبيت عراة كما كانوا فى السابق لأنهم كانوا يعتقدون أن لباس الطائف الذى يطوف فيه حول البيت يجب عليه أن يتصدّق به إلى الفقير، ولهذا فلو أن الشـخص خلع لباسه وطاف عرياناً ثمّ بعد أن ينتهى من الطواف يرتـدى لبـاسه فلا يجب عليه التصـدّق به على الفقير، ولـذلك فمن لم يكن راغباً فى التصـدق بلباسه يقوم بخلع لبـاسه والطـواف عاريـاً، وأحيانـاً يكون الطـائف بـالبيت امرأة، فنتصور كيف يكون حـال الطواف مع وجود امرأة عريانـة بين الطـائفين وكيف تتبدل الأجواء المعنوية والروحية فى ذلك المكان المقدّس إلى أجواء شهوانية وحيوانية؟ فنظراً إلى هذه الامور انصرف رسول اللّه صـلى الله عليه و آله عن أداء الحجّ فى السنـة التاسـعة حتّى نزلت الآيات الاولى من سورة التوبة وأمر النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله أن يعلن فى مراسم الحجّ فى السـنة العاشـرة للهجرة لجميع المشركين أربعة امور: ۱- «لا يَحِجَّنَّ الْبَيْتَ مُشْـرِكٌ» فبعد السنة العاشرة للهجرة لا يحقُّ لأى مشـرك أن يحجّ البيت ولا يحقُّ له دخول المسـجد الحرام، هذا البيت الذى بناه بطل التوحيد ومحطم الأصـنام فلا يكون مكاناً للأصـنام بعد الآن، ولا ينبغى للمشـركين والوثنيين أن يطوفوا حول بيت اللّه إلّا أن يتركوا عقائدهم الخرافية جانباً. ۲- «وَلا يَطُوفَنَّ بِـالْبَيْتِ عُرْيـانٌ» فبعـد الآن لا يحقُّ لأى شـخص أن يطوف بالكعبـة عرياناً ويلوّث تلك الأجواء المعنويـة والروحيـة بهـذا العمل الشنيع. ۳- «وَلا يَدْخُلَ الْبَيْتَ الّا مُؤمِنٌ» ففى السابق كان الـدخول إلى داخل الكعبة مباحاً للجميع (خلافاً لهذا الزمان حيث لا ينال هذه السعادة إلّابعض الأشخاص القليلين) فكان المسلمون والمشركون يدخلون داخل الكعبة باستمرار وبدون أى مانع ولكن بعد إبلاغ هذا النداء لا يحقُّ لمشـرك أن يدخل الكعبة. ۴- «وَمَنْ كانَتْ لَهُ مُـدَّةٌ فَهُوَ إلى مُـدَّتِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُدَّةٌ فَمُدَّتُهُ ارْبَعَةُ اشْـهُرٍ» فالمشـركون الـذين كان لـديهم عهد وميثاق مع رسول اللّه على ترك الحرب والقتال ولم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۴ يذكروا مدّة محدودة لعهدهم هذا، فلهم فرصة أربعة أشـهر لينضـموا إلى الإسـلام، وبعد انتهاء هذه المدّة لا يبقى عهد وميثاق بينهم وبين النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وأما من كان له عهـد مع رسول اللّه صـلى الله عليه و آله لمـدّة معيّنـة ولم تنتهِ هـذه المدّة ولم يرتكب ما يخالف العهد ولم يتحرّك على مستوى معونـة أعداء الإسـلام فإن عهده محترم إلى نهاية المدّة «۱». وهكـذا وجد النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله نفسه مأموراً بإبلاغ هـذه التعليمات والأوامر الإلهيـة فى أيّام الحـجّ من السـنة العاشـرة للهجرة وإخبار المشـركين بها، فاختار النبى لهذه المهمـة أبابكر ليقرأ الآيات الاولى من سورة التوبة على المشـركين فى أيّام الحجّ، وتوجه أبوبكر نحو مكّة لأداء هذه المهمة ولكن لم يمض سوى القليـل حتّى هبط جبرئيل الأمين على رسول اللّه صـلى الله عليه و آله وقال له: «إنه لن يؤديها عنك إلّاأنت أو رجل منك» فـدعى النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله الإمـام على عليه السـلام وقال له: «إلحقه فردّ علىَّ أبابكر وبلّغها أنت» ففعل ذلك الإمام على عليه السـلام وأخذها من أبى بكر وأبلغها عامة المشـركين فى أيّام الحجّ «۲». ويقول الطبرسـى فى هذا المجال: اجمع المفسّرون ونقلة الأخبـار انّه لمّـا نزلت براءة رفعها رسول اللّه صـلى الله عليه و آله إلى أبى بكر، ثمّ أخـذها منه ودفعها إلى علىّ بن أبى طالب «۳». وقد أوضـحنا بالتفصيـل مـا ذكره «صـاحب مجمع البيـان» والمقـدار المشترك بين جميع الروايـات هو مـا ذكرنـا وقـد أورد صاحب كتاب «احقاق الحقّ» هذا المعنى من أربعين كتاب من كتب أهل السنّة. «۴» آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۵

الإختلاف فى الجزئيات

الإختلاف فى الجزئيات وطبعاً الروايات المـذكورة تختلف بعض الشـىء فى جزئياتها وتفاصـيلها، ونشـير إلى بعض منها: لقـد ورد فى بعض الروايات أن النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله أركب علياً على ناقته المعروفة ب «العضـباء» فوصل على إلى أبى بكر فى مسـجد الشـجرة على مقربـة من مكّـة وأحـد المواقيت المعروفـة لحـجّ التمتع والعمرة وأبلغه أمر رسول اللّه، فتـألم أبوبكر من ذلـك وعـاد إلى المدينـة وقـال لرسول اللّه صـلى الله عليه و آله: «انْزَلَ فِيَّ شَـىْءٌ؟». فقـال له النبى صـلى الله عليه و آله: «لاـ إلّاأنّى امِرْت أنْ ابَلِّغُهُ أنا أو

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتى» «۱». والخلاصهٔ أنه يستفاد من هذه الروايات أن تغيير الشخص المأمور بإبلاغ هذه الآيات لم يكن من جهة النبى بل إنّ اللّه تعالى هو الذى أمره بذلك، وعلى أيّهٔ حال فإنّ هذه المهمهٔ والمسؤوليهٔ قد القيت على عاتق أميرالمؤمنين عليه السلام وبذلك تحرك الإمام نحو أداء هذه المأموريهٔ وأراح النبى من القلق الذى كان يساوره فى مورد الحجّ حيث أشرنا إليه سابقاً وبذلك تهيّأت مقدّمات سفر النبى صلى الله عليه و آله إلى مكّهٔ للإتيان بحجّهٔ الوداع.

الشرح والتفسير: الإنذار الهام للمشركين

الشرح والتفسير: الإنذار الهام للمشركين «بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» وبذلك تمّ إلغاء جميع العهود التى كانت بين المسلمين والمشركين والتى لم يكن لها مدّهٔ زمنيهٔ محددهٔ. «فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكافِرِينَ». سؤال: لماذا نقض رسول اللّه عهوده مع المشركين، وهل يشمل هذا النقض جميع معاهدات النبى؟ آيات الولايهٔ فى القرآن، ص: ۲۶۶ الجواب: يستفاد من الآيات التاليهٔ أن مسألهٔ إلغاء العهود كانت فى موارد العهود التى ليست لها مدّهٔ أو انتهت مدّتها، وكذلك العهود التى لم تنته مدتّها ولكنّ المشركين نقضوا العهد وتعاونوا مع أعداء الإسلام والمسلمين كما حصل فى حرب الأحزاب وأمثالها، وأما العهود التى لم تنته مدّتها ولم يتخلف أصحابها عن مضمون العهد ولم يساعدوا أعداء الإسلام بشىء فإنّ مثل هذه العهود باقيهٔ على قوّتها وفاعليتها إلى انتهاء المدّة المقررة كما ورد ذلك فى الآيهٔ الرابعهٔ من سورهٔ التوبهٔ لأن العهد محترم جدّاً فى نظر الإسلام حتّى لو كان مع العدو، فلو اقتضت المصلحهٔ أن يكون للمسلمين عهد وميثاق مع الكفّار فيجب أن يحترم المسلمون هذا العهد ويلتزموا به. «وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ». بالنسبهٔ إلى «الحجّ الأكبر» وردت تفاسير مختلفهٔ وأفضلها هو أن المراد من الحجّ الأكبر هو «حجّ التمتع» الذى يتضمّن فى مناسكه الوقوف فى عرفات والمشعر الحرام ومنى والهدى ورمى الجمرات وأمثال ذلك، والمراد من الحجّ الأصغر هو «عمرهٔ التمتع» «۱»، وعلى أيّهٔ حال فلابدّ من دراسهٔ هذا الإعلان الإلهى فى حجّ التمتّع للسنهٔ التاسعهٔ للهجرهٔ وماذا كان مضمونه ومحتواه؟ وتستمر الآيات الشريفهٔ بالقول: «أَنَّ اللَّهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ» ولهذا فإنّ جميع المعاهدات ملغيّهٔ بعد إعلان براءهٔ اللّه ورسوله من المشركين، وعلى هذا الأساس فإنّ أمام المشركين والكفّار طريقان لا أكثر: الأوّل هو أن يتوبوا إلى اللّه ويتركوا الشرك ويدخلوا فى الإسلام. «فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» لأنّ ذلك يؤمن لهم الأمن فى الدنيا والسعادهٔ فى الآخرهٔ من خلال العمل بتعليمات الإسلام وأداء الواجبات وترك المحرمات. الثانى: «وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» ولو أصرّوا على الشرك والحرب مع الحقّ فإنهم لا يستطيعون الخروج من دائرهٔ القدرهٔ الإلهيهٔ ومضافاً إلى أن العذاب الإلهى الأليم بانتظارهم. آيات الولايهٔ فى القرآن، ص: ۲۶۷

هل تعدّ هذه المهمهٔ فضيلهٔ؟

هل تعدّ هذه المهمهٔ فضيلهٔ؟ سؤال: طبقاً لما تقدّم آنفاً إنّ الإمام على عليه السلام أصبح مأموراً من قبل النبى صلى الله عليه و آله بإبلاغ الآيات الاولى من سورهٔ التوبهٔ إلى المشركين فى أيّام الحجّ، وقد كانت هذه المأموريهٔ بعهدهٔ أبى بكر فى البدايهٔ إلّاأن رسول اللّه أخذها منه ودفعها إلى على ابن أبى طالب عليه السلام فهل يعدُّ ذلك فضيلهٔ للإمام على عليه السلام؟ الجواب: إنّ بعض المتعصبين تحركوا على مستوى تهميش هذه الفضيلهٔ والتقليل من أهميّتها فقالوا: إنّ علّهٔ تبديل هذه المأموريهٔ هو ما كان من التقاليد الرسميهٔ والأعراف بين العرب، لأن العرب كانوا عندما يريدون إرسال رسالهٔ إلى شخص معين يقوم صاحب الرسالهٔ نفسه أو يختار واحداً من أهل بيته وأرحامه لأداء هذه الرسالهٔ وايصالها إلى الطرف الآخر، ولهذا عزل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أبابكر وأرسل على عليه السلام مكانه، وعليه فإنّ هذه المأموريهٔ المذكورهٔ لا تعدُّ فضيلهٔ للإمام على عليه السلام «۱». ولكنّ الإنصاف أن هذا الكلام بعيد جدّاً عن الحقيقهٔ لأنه: أوّلًا: من أين ثبت أن التقاليد العربيهٔ كانت كذلك؟ وأىُّ كتاب ذكر هذه القضيهٔ؟ وهل يمكن إلغاء فضيلهٔ

مهمـة لمجرد احتمـال غير ثـابت؟ ثانيـاً: على فرض وجود مثل هـذا العرف بين العرب فى ذلك الوقت فإنّ تغيير المؤدى لهـذه الرسالة المهمـة لا ـ يرتبـط بتقاليـد العرب وأعرافهم لأن النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله كما ورد فى الروايات المـذكورة آنفاً قـد تلقى الأمر بـذلك من اللَّه تعـالى. وعلى هـذا الأساس فلا شكّ فى أن هـذه المهمـة والمأموريـة تعـدّ فضـيلة كبيرة للإمام على عليه السـلام، ومع الإلتفـات إلى هـذا المطلب فلـو أن اللَّه تعـالى أراد أن ينصب خليفـة على المسـلمين بعـد رسول اللَّه فلابـدّ أن يكون هـذا الإنسـان هو الأفضل وله فضائل أكثر، وإذا أراد الناس انتخاب شـخص لهـذا الغرض فلابـدّ أن يكون هو الأفضل بمقتضـى العقل. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۸

ارتباط آية الأذان والمؤذّن

ارتبـاط آيـة الأـذان والمؤذّن إنّ المثوبـات والعقوبـات فى الآـخرة هى فى الحقيقـة انعكـاس للأعمال الإنسان فى الـدنيا، ويتّضـح هـذا المطلب أكثر بالإلتفات إلى كيفيـة ارتباط هـذه المثوبات والعقوبات الاخرويـة بأعمال الإنسان فى حركـة الحياة الدنيوية. عندما يحشـر الإنسان المرابى فى عرصات المحشـر فى حالـة من الإضـطراب فى السـلوك وكأنه سـكران لا يقـدر على الحركة ويترنح ويسـقط بين الحين والآخر إلى الأرض كلُّ ذلك يحكى عن سـلوكه فى الحياة الدنيا حيث كان بعمله القبيح يتحرك من موقع الإخلال الإقتصادى فى المجتمع وإثـارة الأزمـات الإجتماعيـة بعمله وأكله الربـا فيزلزل أسـاس المجتمع الإسـلامى ويثير فيه الإرتبـاك والخلل، إذن فعـدم تعادله فى المشـى يوم القيامـة يحكى عن واقع دنيوى بهذا المعنى بسـبب ارتكابه لهذا الذنب الكبير، فهو فى الحقيقة إنعكاس لأعماله فى الدنيا «۱». وإذا كان الظالم فى الآخرة يواجه الظلمات ويسير كالأعمى فى عرصات المحشر فذلك بسبب أنه كان يحوّل الدنيا فى نظر المظلومين إلى ظلاـم بحيث لاـ يرون كـلّ شـىء فى حيـاتهم الدنيويـة يعبّر عن الخير والسـعادة والهنـاء، إذن فالظلمـات التى تحيق بالظـالم فى الآـخرة هى انعكـاس ونتيجـة للظلمـات التى كـان يقـدمها للمظلوم فى حيـاته الدنيويـة. وإذا قرأنا فى النصوص الدينيـة أن المؤمن يحشـر يوم القيامة ومعه نور بين يديه وفى أيمانه يقوده إلى رضوان اللَّه ومغفرته فإنما ذلك بسبب أن الكثير من الأشخاص قد اهتـدوا بنـور إيمـانه فى الـدنيا وسـلكوا طرق الحقّ والحقيقـة وابتعـدوا عن خـطّ الباطـل والإـنحراف. والخلاصـة أن جميع المثوبـات والعقوبات فى عالم الآخرة هى انعكاس لأعمال الإنسان فى الـدنيا. ومع الإلتفات إلى هذا المطلب فإذا كان الإمام على عليه السـلام هو المؤذّن للنبى فى دار الـدنيا والمبلغ رسالته إلى المشـركين فى مكّـة وفقاً لما ورد فى الآيـة الثالثـة من سورة التوبة فإنه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۶۹ سيكون فى الآخرة هو «المؤذّن» الـذى يوصل النـداء الإلهى إلى أهل النار ويخبرهم بأن اللعنـة الإلهيـة قـد شـملتهم بسـبب ظلمهم الذى ارتكبوه فى الدنيا. إذا كان الإمام على عليه السـلام فى الآخرة هو المؤذن والشـخص الذى يختم الحوار الدائر بين أهـل الجنّـة وأهـل النـار فـانّ ذلك بسـبب كون كلامه فى الـدنيا فصل الخطاب بين الحقّ والباطل وقـد أبلغ المشـركين الكلام الأخير والإنذار النهائى، فهل هذه فضيلة قليلة؟ هل هناك شخص آخر غير الإمام على من المسلمين أو من أتباع الأديان الإلهية الاخرى يتمتع بمثل هذه الفضيلة؟

الحكمة فى تغيير المأمور بإبلاغ آيات سورة البراءة

الحكمة فى تغيير المأمور بإبلاغ آيات سورة البراءة سؤال: تقدّم أن جميع المفسّـرين من الشـيعة وأهل السـنّة أتفقوا على أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أرسل فى البدايـة أبابكر لإبلاغ آيات سورة التوبة ثمّ عزله ونصب الإمام على مكانه، فهل ندم رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله على عمله الأـوّل بحيث تحرّك على مستوى تغييره وتبـديله، أو أن كلا الأمرين كان بتعليم الوحى وبأمر إلهى؟ والخلاصـة أنه ما هى الحكمة فى هذا التبديل والتغيير؟ الجواب: وجواب هذا السؤال واضح فإنّ النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله كان مدركاً لما يفعله فى كلاـ الحالين وكان هـدفه هو إعلام الناس وإخبارهم بالشـخص الأفضل وإلفات نظرهم إلى هـذه الحقيقـة ليخرجوا تصورهم

الساذج عن الأفضل الموهوم ولیهدیهم ویرشدهم إلی الأفضل الحقیقی والواقعی، ولهذا الغرض قام فی البدایة بتسلیم هذه المأموریة إلی أبی بکر ثمّ عزله ونصب علیّاً مکانه لیفهم الناس بأن الإمام علی علیه السلام أفضل من أبی بکر ومن جمیع المسلمین. ولم تکن هذه أوّل مرّة یقوم النبی صلی الله علیه و آله بهذا العمل بل سبق ذلک موارد اخری من هذا القبیل کلُّها تصب فی هذا الهدف المهم. مثلًا نری أن النبی صلی الله علیه و آله فی واقعة خیبر قد أعطی الرایة إلی أبی بکر لیقود جیش الإسلام ویفتح قلعة خیبر ولکنه استمر به الحال إلی العصر وهو یسعی جاهداً أن یتغلب علی العدو ویفتح الحصن ولکنه لم یوفق بذلک، وفی الیوم الثانی سلّم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله الرایة إلی عمر بن آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۷۰ الخطّاب ولکنه فشل فی هذه المأموریة کصاحبه، وفی اللیلة الثالثة قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لأعطین الرایة غداً لرجل یحبّ اللَّه ورسوله ویحبُّه اللَّه ورسوله کرّار غیر فرّار لا یرجع حتّی یفتح اللَّه علی یدیه». قال له أصحابه: إذا کان مقصودک هو علی بن أبی طالب فإنه أرمد. فدعاه النبی صلی الله علیه و آله إلیه فلما رآه أرمداً یشکو من عینیه تفل فی عینه فانفتحت وشفی من ذلک المرض فأعطاه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله الرایة وکان الفتح علی یدیه. فلماذا أعطی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله الرایة فی البدایة إلی إثنین من أصحابه ثمّ أعطاها للإمام علی علیه السلام؟ الجواب علی هذا السؤال واضح فإنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله یرید أن یبیّن للناس عملًا أفضلیة الإمام علی علیه السلام. وهکذا فی معرکة الأحزاب عندما جاء عمرو بن عبد ود بطل المشرکین وعبر الخندق وطلب البراز فلم یبرز له أحد سوی الإمام علی علیه السلام، ولکنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله امتنع فی البدایة، وفی المرّة الثانیة طلب عمرو بن عبد ود البراز فلم یقم له إلّاعلی علیه السلام، ومرة اخری طلب منه النبی صلی الله علیه و آله أن یجلس. وفی المرّة الثالثة طلب عمرو البراز أیضاً وأخذ یرتجز ویقول: ولقد بححت من النداء فی جمعکم هل من مبارز ... إنکم تقولون بأن قتلاکم یذهبون إلی الجنّة ألیس فیکم من یشتاق إلی الجنّة؟ وفی هذه المرّة أیضاً لم یبرز له سوی علی ابن أبی طالب علیه السلام. وهنا أذن له رسول اللَّه بالبراز والتوجه إلی میدان القتال وقد کتب اللَّه النصر علی یدیه أیضاً واستطاع قتل عمرو بن عبدود العامری «۱» وهنا نری أیضاً أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قام بهذه المناورة لاثبات أفضلیة الإمام علی علیه السلام علی مستوی العمل لیثبت للمسلمین مکانته ومنزلته الإجتماعیة. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۷۱

آیة المحسنین

اشارة

آیة المحسنین ۷ [سورة الزمر (۳۹): الآیات ۳۲ الی ۳۴] إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ (۳) «سورة الزمر/ الآیات ۳۲- ۳۴»

أبعاد البحث

أبعاد البحث تحدّثت هذه الآیات من سورة الزمر عن طائفتین من الناس: الاولی أظلم الناس والثانیة أصدق الناس، ثمّ استعرضت عقوبات الظالمین ومثوبات الصادقین، والموضوع المهم الذی یجب دراسته والتأمل فیه فی هذه الآیات هو: من هو أصدق الناس والذی عبّرت عنه الآیة الشریفة بالمحسن؟

الشرح والتفسیر: أظلم الناس!

الشرح والتفسیر: أظلم الناس! «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ کَذَبَ عَلَی اللَّهِ وَ کَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ» فهنا نری نحوین من الکذب: ۱- الکذب علی اللَّه. ۲- الکذب علی رسول اللَّه، ولاشکّ أن جمیع أنواع الکذب یُعتبر آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۷۲ رذیلة أخلاقیة ومن الذنوب الکبیرة ولکن من الواضح أن الکذب علی اللَّه وعلی رسوله أقبح وأخطر أنواع الکذب وقد تترتب علیه إفرازات رهیبة ومعطیات

مشؤومة. سؤال: ما هو الكذب الذى كان المشركون ينسبونه إلى اللّه ورسوله صلى الله عليه و آله؟ الجواب: إنّ بعض أشكال الكذب للمشركين هو: ألف) إنهم كانوا يرون أن الملائكة بنات اللّه. ب) كان البعض منهم يعتقدون بأن اللّه تعالى راض عن عبادة الأوثان ويرون أن الأوثان واسطة بينهم وبين اللّه تعالى لتشفع لهم عنده. ج) بعض المشركين كانوا يعتقدون بأن للّه تعالى ولداً ويذهبون إلى أن المسيح ابن اللّه. د) أحياناً يحرّمون بعض الأشياء ويحللون اخرى وينسبون ذلك إلى اللّه تعالى كذباً وزوراً. هذه الامور وأمثالها من الأكاذيب كانوا ينسبونها إلى اللّه عزّوجلّ، وبما أنها تتزامن مع عدم التصديق بالرسالات الإلهية والأنبياء الإلهيين والتحرّك فى حياتهم الدنيوية على مستوى التصدّى للدعوة السماوية ومحاربة أهل الحقّ الذين أرسلهم اللّه تعالى لهداية البشر فإنّ عملهم هذا يفضى فى النهاية إلى تكذيب الأنبياء وإنكار دعوتهم الإلهية، ولذلك كان هؤلاء الأفراد هم أظلم الناس ليس لأنفسهم فحسب بل ظلم لجميع الناس ولجميع الرسالات السماوية والكتب الإلهية. أمّا ظلمهم لأنفسهم لأنهم أوصدوا أبواب السعادة والفلاح على أنفسهم بتكذيبهم هذا وسلكوا بأقدامهم فى خطّ الضلالة والإنحراف والباطل متجهين إلى جهنم. وأما ظلمهم للناس فذلك لأنهم عملوا على إضلالهم وقادوهم نحو وادى الشقاء والضلالة، فحالهم حال أهل البدع الذين قد تستمر بدعتهم وآثار عملهم القبيح آلاف السنين وأحياناً إلى يوم القيامة بحيث إنهم لا يستطيعون جبران ما صدر منهم وإصلاح الخلل حتّى فى صورة الندم. أما ظلمهم للآيات الإلهية والرسالات السماوية فكما ورد فى الآية الشريفة ۱۰۳ من سورة الأعراف حيث يقول اللّه تعالى: «ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۳ وطبقاً لصريح هذه الآية الشريفة فإنّ عدم قبول الآيات الإلهية وإنكار الكتب السماوية ومعجزات الأنبياء يعدّ نوعاً من الظلم لهذه الآيات الإلهية لأنّ الإنسان عندما يتحرك لمنع الشىء القابل لهداية الناس من التأثير والفاعلية، ففى الحقيقة إنه يرتكب ظلماً بحقّه، مضافاً إلى أنه ظلم الناس حقّهم فى الإستفادة منه، وعليه فإنّ الأشخاص الذين يعملون على تشويه سمعة الإسلام أو يقومون بالإساءة إلى الإسلام من خلال أعمالهم القبيحة أو يتحركون على مستوى تفسير وتأويل قوانين الإسلام حسب رأيهم وأفكارهم فكلُّ ذلك من أشكال الظلم للإسلام. والخلاصة هى أن أظلم الناس هو الشخص الذى يكذب على اللّه وعلى رسوله، وعقوبة مثل هذا الشخص شديدة جدّاً كما وردت فى الآية الشريفة: «أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ» فإنّ مصير مثل هذا الإنسان الظالم الذى ظلم نفسه ومجتمعه والآيات الإلهية هو جهنم، فهى مثوى للكافرين، فهنا نرى أن الآية الشريفة لا تصرّح ببيان عاقبة أظلم الناس بل طرحت المسألة على شكل سؤال واستفهام، وهذا بنفسه تعبير دقيق ويحتاج إلى التأمل حيث إنّ مثل هذا المصير ومثل هذه العقوبة لهؤلاء الأشخاص تكون متوقعة لدى جميع الناس. «وَ الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ». أما الطائفة الثانية فتقع فى النقطة المقابلة للطائفة الاولى فهم الذين يصدّقون بمن جاء بالنبوّة الصادقة ويصدّقون كذلك برسالتهم فهؤلاء هم المتّقون، فرغم أن الآية الشريفة لا تذكر مفردة «أتقى» ولكننا يمكننا أن نفهم بدليلين أن هاتين الفئتين هم أتقى الناس: أحدهما بقرينة المقابلة مع الطائفة السابقة وهم أظلم الناس، أى أن الآية عندما تجعلهم فى مقابل المكذّبين للّه ورسوله وفى مقابل أظلم الناس فإنّ هؤلاء المصدّقين باللّه ورسوله هم أتقى الناس حتماً، والآخر إنّ جملة «هم المتقون» تدلُّ على الحصر، وتعنى أن هؤلاء هم أهل التقوى فقط وهم المتقون الحقيقيون، وعلى هذا الأساس فإنّ المثوبات المقررة لهؤلاء المتقين فى القرآن الكريم تختص بهؤلاء الأشخاص الذين أشارت إليهم هذه الآية الشريفة مضافاً آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۴ إلى ما يناله المتقون فى الجنّة من النعم والمواهب العامّة التى ينالها جميع المؤمنين من أهل الجنّة فإنّهم يختصون بمواهب خاصّة ورد ذكرها فى الآية التى بعدها: «لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ». وهكذا نرى أن درجات ومقامات هؤلاء المتقين فى الآخرة إلى درجة من العظمة والسمو بحيث إنهم ينالون من المواهب ما لا يعدُّ ولا يحصى فكلُّ ما يريدون ويطلبون فإنهم سيحصلون عليه، وهذه النعمة لا يمكن أن يتصور فوقها شىء.

من هو «الذى جاء بالصدق» ومن «صدّق به»؟

من هو «الذى جاء بالصدق» ومن «صدّق به»؟ سؤال: ما هو المراد من جملة «الَّذِی جاءَ بِالصِّدْقِ» وجملة «الَّذِی صَدَّقَ بِهِ»؟ الجواب: إنّ المراد من الجملة الاولى هو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، والمراد من الجملة الثانية هو الإمام على عليه السلام، رغم أن الجملة الثانية تشمل جميع المؤمنين برسالة النبى صلى الله عليه و آله الذين آمنوا وصدّقوا برسالته ولكن بلاشكّ أن علىّ بن أبى طالب عليه السلام هو المصداق الأكمل والأتم لهذه العبارة. وقد ورد هذا المعنى فى الكثير من كتب الشيعة وأهل السنّة، ونكتفى بالإشارة إلى بعض منها: ۱- نقل «ابن المغازلى» وهو من أساطين علماء أهل السنّة فى كتابه المعروف ب «المناقب» عن المفسّر المعروف «المجاهد» قوله: «فِی قَوْلِهِ تَعالی: «الَّذِی جاءَ بِالصِّدْقِ»؛ رَسُولُ اللَّهِ وَ «الَّذِی صَدَّقَ به» عَلِیٌّ «۱». ۲- ونقل «ابن عساكر» هذه الرواية أيضاً «۲». ۳- وكذلك العلّامة «الكنجى» فى «كفاية الطالب» نقل هذه الرواية من بعض العلماء «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۵ ۴- وصرّح «القرطبى» بهذا المطلب فى تفسيره «۱». ۵- واختار «أبو حيّان الأندلسى» هذا التفسير أيضاً «۲». ۶- وذهب «السيوطى» فى تفسيره «الدرّ المنثور» إلى هذا الرأى «۳». ۷- وذهب «الترمذى» صاحب كتاب «المناقب المرتضوية» إلى هذا الرأى أيضاً «۴». ۸- «الآلوسى» ذهب فى تفسيره «روح المعانى» إلى اختيار هذا التفسير من بين جملة علماء أهل السنّة «۵».

الفخر الرازى المخالف الوحيد

الفخر الرازى المخالف الوحيد فعلى رغم كلّ هؤلاء المفسّرين والرواة الذين فسّروا الآية الشريفة مورد البحث بالنبى صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام فإنّ الفخرالرازى رفع لواء المعارضة والمخالفة وزعم: «أن المراد من الجملة الثانية هو أبوبكر لأنه هو الملقّب بالصدّيق». وأجابه القاضى نوراللَّه التسترى بجواب قاطع وقال: «لم يرد هذا المطلب الذى ذكره الفخر الرازى فى أى كتاب قبله، ونعلم أن الفخر الرازى لم يكن من أصحاب النبى، إذن فكلامه فى تفسير هذه الآية لا يقوم على أساس متين». وعليه فإنّ بطلان هذا الرأى لا يحتاج إلى زيادة بيان وتوضيح «۶». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۷

آية السابقون الأولون

اشارة

آية السابقون الأولون ۸ [سورة التوبة (۹): آية ۱۰۰] الم (۱) «سورة التوبة/ الآية ۱۰۰»

أبعاد البحث

أبعاد البحث بالرغم من أن الآية الشريفة أعلاه تتحدّث عن ثلاثة طوائف من المؤمنين وتبشّر السابقين من كلِّ طائفة منهم ببشارات عظيمة ولكن من بين السابقين هؤلاء يوجد سابق يقع فى الصف الأوّل، وهو أوّل شخص من السابقين، وطبقاً للروايات الكثيرة التى ستأتى لاحقاً إنّ هذا الشخص الذى حمل راية الصدق ليس هو إلّاعلىّ ابن أبى طالب عليه السلام.

الشرح والتفسير: السابقون فى الإسلام

الشرح والتفسير: السابقون فى الإسلام «وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ» فى هذه الآية الشريفة يحدّثنا القرآن عن ثلاث طوائف: الطائفة الاولى: «المهاجرون» وهم المسلمون الذين أسلموا فى مكّة المكرمة وواجهوا ضغوطاً كبيرة من المشركين وأعداء الدين، وعندما هاجر النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينة هاجروا آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۸ معه لإنقاذ أنفسهم من تلكم الضغوط وأشكال الأذى والتعذيب ولغرض تقوية الدين الجديد، فتركوا بيوتهم وأموالهم وأراضيهم وأقوامهم

وقبيلتهم والخلاصة تركوا كلّ شيء وهاجروا إلى المدينة بأيدى خالية، وهناك واجهتهم أخطار كثيرة، فمن جهة خطر المشركين فى مكّة الذين كانوا بصدد الإنتقام منهم وقتلهم، ومن جهة اخرى عدم وجود العمل المناسب وكذلك حالة الغربة وأجواء الوحدة والبعد عن القوم والوطن وأمثال ذلك من الأخطار والتبعات المترتبة على الهجرة، ولكنّ هؤلاء المسلمين الحقيقيين استقبلوا هذه الأخطار وهاجروا إلى المدينة، وقد كان البعض منهم يمر بحالة اقتصادية سيئة للغاية بحيث كانوا ينامون فى «الصفّة» إلى جانب مسجد النبى وهم المعروفون بأصحاب الصفّة حيث كانوا يقضون ليلهم ونهارهم فى ذلك المكان ولم يكن لديهم ممّا يقيم أودهم إلّاالقليل جدّاً ومع ذلك كانوا على استعداد دائم لتقديم الخدمات للإسلام متى حلّت الحاجة إليهم. الطائفة الثانية: «الأنصار» وهم المسلمون الذين دخلوا الإسلام فى المدينة واستجابوا لدعوة الرسول إلى الإسلام ودعوه ليهاجر إليهم وأبدوا استعدادهم لبذل كلِّ إمكاناتهم فى سبيل الإسلام، هؤلاء استقبلوا المهاجرين الذين هاجروا إليهم من مكّة ووضعوا بيوتهم وكلُّ ما يملكون تحت اختيارهم وتعاملوا معهم كاخوة لهم، وطبعاً هؤلاء بذلوا كلَّ جهدهم وآثروا المهاجرين على أنفسهم رغم أن الوضع المالى لبعضهم لم يكن على ما يرام. الطائفة الثالثة: «التابعون» وهم المسلمون الذين جاءوا إلى الدنيا بعد المهاجرين والأنصار وسلكوا مسلكهم وتحركوا مثلهم فى خطّ الإيمان والرسالة، وهؤلاء هم الذين يسمّون ب «التابعين» «۱» أى الذين اتبعوا الطائفتين السابقتين، وعليه فطبقاً لهذا التفسير يكون التابعون هم النسل الثانى للمسلمين ويشمل جميع المسلمين إلى يوم القيامة فى كلِّ عصر ومكان، أى أن المسلمين فى الزمان الحاضر الذين تحركوا فى خطّ نصرة الإسلام والهجرة نحو رضا اللَّه تعالى يصدق عليهم عنوان «التابعين» الذين ورد ذكرهم فى هذه الآية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۷۹ الشريفة، لأنه كما تقدّم سابقاً أنّ الهجرة لا تختصّ بالمسلمين فى أوائل البعثة بل هى ممكنة فى كلِّ زمان ومكان، وتعنى الهجرة من أجواء الذنوب إلى أجواء الطاعة، ومن دائرة الرذائل إلى دائرة الفضائل، ومن الظلمات إلى النور. سؤال: ماذا تعنى مفردة «بإحسان» التى وردت فى الآية الشريفة لوصف «التابعين»؟ الجواب: هنا يوجد احتمالان فى تفسير هذه المفردة: الأوّل: أن لا يكون إتّباع المهاجرين والأنصار بالكلام فقط بل ينبغى أن يتجسّد فى الواقع العملى فى حركة الإنسان، وبعبارة اخرى أن يتّبع المسلم المهاجرين والأنصار بشكل جيّد ودقيق. الإحتمال الثانى: أن يتّبع الإنسان المهاجرين والأنصار فى أعمالهم الحسنة لا فى جميع الأفعال والسلوكيات الاخرى، لأنه كان بين المسلمين الأوائل بعض الأشخاص الذين كانوا يتحركون فى حياتهم الفردية والإجتماعية على خلاف تعليمات النبى صلى الله عليه و آله وأحكام الإسلام. وخلافاً لما يراه أهل السنّة من عدالة وعصمة جميع صحابة النبى «۱» فنحن نعتقد أن الصحابة ليسوا معصومين جميعاً، والآية الشريفة أعلاه يمكنها أن تكون دليلًا جيّداً على آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۰ مقولة الشيعة، وعليه فإنّ التابعين يجب أن يتبعوا المهاجرين والأنصار فى الأعمال الحسنة والأفعال الصالحة لا فى جميع الأفعال والأقوال حتّى لو كانت على خلاف مسير الحقّ. «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وهكذا نرى أن اللَّه تعالى بعد أن ذكر هذه الطوائف الثلاث من السابقين فى الإسلام أثنى عليهم ومدحهم وبشّرهم بالثواب العظيم المادى والمعنوى. أمّا الثواب المعنوى فهو عبارة عن رضا اللَّه تعالى عنهم ورضوانهم عن اللَّه تعالى أيضاً، أما رضا اللَّه عنهم فواضح لأنهم تحركوا فى خطّ نصرة الإسلام والمسلمين وسلكوا طريق الهجرة والطاعة والعبودية للَّه تعالى، وهذه الامور تستوجب رضا اللَّه عنهم، والمراد من رضاهم عن اللَّه تعالى هو أن اللَّه فى عالم البرزخ ويوم القيامة يعطيهم كلَّ ما يريدون ويطلبون ويتحقّق بذلك رضاهم عنه. وأمّا المثوبات المادية لهؤلاء فهى الجنّات التى تتصف بصفتين: أحدهما أن المياه تجرى تحت أشجارها دائماً، والاخرى أن أهل الجنّة يمكثون فيها أبداً فليس هناك خوف من انتهاء النعيم بل هم مخلدون فيها، وبلا شك فإنّ رضا اللَّه عنهم ورضاهم عن اللَّه تعالى وتمتعهم بالجنّات التى تجرى من تحتها الأنهار تعدّ ثلاث مواهب عظيمة لأهل الجنّة بحيث لا يتصور فوز فوق هذا الفوز.

أوّل رجل مسلم

أوّل رجل مسلم سؤال: يستفاد من الآية ۱۰۰ من سورة التوبة أن السابقين هم ثلاث طوائف ولكنّ السؤال الذى يثار هنا هو: من هو الأسبق من هؤلاء؟ ومن هو أوّل شخص من المسلمين استجاب لدعوة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى الإيمان وآمن به؟ الجواب: هناك روايات كثيرة وردت فى ذيل هذه الآية الشريفة تقرر أن أوّل مسلم من الرجال اعتنق الإسلام هو علىّ بن أبى طالب صلى الله عليه و آله، وأوّل امرأة اعتنقت الإسلام هى السيّدة خديجة عليها السلام. وهذا الرأى متفق عليه بين جميع علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة ويعدّ من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۱ الواضحات لديهم حتّى أن بعض علماء أهل السنّة ادّعوا الإجماع على هذا الرأى ومن ذلك: ۱- يقول ابن عبدالبر العالم السنّى المعروف: اتّفقوا على أن خديجة أوّل من آمن باللّه ورسوله وصدّقته فيما جاء به، ثمّ علىٌّ بعدها «۱». ۲- ويقول أبوجعفر الإسكافى المعتزلى استاذ ابن أبى الحديد المعتزلى الذى توفى فى سنة ۲۴۰ عن أوّل من أسلم واستجاب لدعوة النبى صلى الله عليه و آله: قد روى النّاس كافة افتخار علىّ بن أبى طالب بالسّبق إلى الإسلام «۲». ۳- ويقول الحاكم النيشابورى فى «مستدرك الصحيحين» الذى يعدّ رديفاً لصحيح البخارى وصحيح مسلم: لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنّ علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه أوّلهم إسلاماً وإنّما اختلفوا فى بلوغه «۳». ومضافاً إلى ما تقدّم آنفاً من إدعاء الإجماع على أسبقية الإمام على عليه السلام لاعتناق الإسلام يروى العلّامة الأمينى ۲۵ رواية من الأئمّة المعصومين عليهم السلام ويذكر ۶۶ قولًا من أكابر علماء الإسلام والشعراء المتقدمين فى هذا المجال، وقد ذكر بعض علماء الشيعة ۱۰۰ حديثاً من منابع أهل السنّة فى هذا المجال، ويعتبر هذا العدد كثيراً جدّاً «۴». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۲ أجل، إنّ هذه المسألة تعتبر فى المستويات العُليا من الإتقان والإعتبار ولذلك فالشيعة يفتخرون بها، ولابدّ لنا نحن الشيعة أن نفتخر ونقدر هذه النعمة العظيمة نعمة التشيّع علينا والتى تعلّمناها من والدينا وأرشدنا إليها علماؤنا، ولابأس بالإشارة إلى بعض الروايات فى هذا الصدد: ۱- يروى أنس خادم النبى صلى الله عليه و آله أنه: نُبِّى النّبى يوم الإثنين وأسلم علىٌّ يوم الثّلثاء. (وفى رواية اخرى) بعث رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم الإثنين وصلّى علىٌّ يوم الثّلثاء «۱»». سؤال: هل أن علىّ بن أبى طالب عليه السلام لم يسجد لصنم قطّ ولم يعتقد بغير التوحيد؟ الجواب: إنّ علىّ ابن أبى طالب وبشهادة التاريخ لم يسجد حتّى لحظة واحدة أمام صنم ولم يختر ديناً غير دين التوحيد «۲»، وعليه فإنّ معنى الرواية أعلاه هى أن الإمام على عليه السلام أسلم بعد يوم واحد من البعثة المباركة ولا ينافى هذا أنه كان قد عانق الإسلام بقلبه قبل ذلك. ۲- ويقول سلمان الفارسى الصحابى المعروف بالنسبة إلى أوّل الناس إسلاماً: أوّل هذه الامّة وروداً على نبيّها الحوض أوّلها إسلاماً علىّ بن أبى طالب «۳». وكما سبق وأن ذكرنا أن المثوبات الاخروية هى إنعكاس لأعمال الإنسان فى الدنيا، وبما آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۳ أن الإمام على عليه السلام كان أوّل مسلم فى الدنيا، إذن فهو أوّل شخص يرد الحوض على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يوم القيامة. ۳- ويعترف الخليفة الثانى عمر ابن الخطّاب بهذه الحقيقة كما يروى عبداللّه بن عبّاس الصحابى المعروف وتلميذ أميرالمؤمنين عليه السلام ويقول: كنت أنا ونفر من المسلمين عند عمر بن الخطّاب وتحدّثنا عن أوّل من أسلم، فنقل لنا عمر حديثاً وقال: أمّا علىٌّ فسمعت رسول اللّه يقول: فيه ثلاث خصال لوددت أن تكون لى واحدة منهن، وكانت أحبّ إلىّ ممّا طلعت عليه الشمس كنت أنا وأبوعبيدة وجماعة من أصحابه إذ ضرب النبىّ صلى الله عليه و آله على منكب علىٍّ فقال يا على: «انْتَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إيماناً، وَأَوَّلُ الْمُسْلِمينَ إسْلاماً، وَانْتَ مِنّى بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسى». «۱» سؤال: هل أن جملة «أوّل المسلمين إسلاماً» عبارة اخرى عن «أوّل المؤمنين إيماناً» أو لها معنى آخر؟ الجواب: إنّ الإيمان يتعلق بالإعتقادات القلبية والباطنية لدى الإنسان، بينما الإسلام هو إبراز هذه الإعتقادات وإظهارها على اللسان، وعليه فإنّ الإمام على عليه السلام كما أنه أوّل من آمن بقلبه برسول اللّه، فكذلك هو أوّل شخص أبرز وأظهر ذلك الإيمان على لسانه.

قيمة الإيمان قبل البلوغ

قيمة الإيمان قبل البلوغ سؤال: هل كان علىّ ابن أبى طالب عليه السلام بالغاً عندما تشرّف بدين الإسلام؟ فلو لم يكن قد وصل سنّ

البلوغ فهل يعتبر إيمانه فى هذه السنّ فضيلة ليقال أنه أوّل المسلمين إسلاماً؟ الجواب: وفى الجواب على هذا السؤال ينبغى تقديم نقطتين: الاولى: إذا لم يكن الإنسان قد وصل إلى سنّ البلوغ ولكنه مع ذلك يعتبر صبيّاً ذكيّاً وعاقلًا ومميّزاً بين الخير والشر والحسن والقبيح، فبنظرنا أن إيمان مثل هذا الشخص مقبول، وليس فقط أنه مقبول على مستوى الإيمان، بل كما يقول الفقهاء أن عبادات هذا الصبى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۴ المميّز صحيحة وصلاته، صومه، حجّه وعمرته وسائر العبادات التى قد يأتى بها مراعياً لجميع الشروط والأركان صحيحة ومقبولة. وبتعبير فقهاء الإسلام إنّ عبادات هذا الشخص شرعيّة لا تمرينية «۱»، وعليه فعندما تكون عبادات الصبى غير البالغ صحيحة وشرعية فإيمانه مقبول بطريق أولى، والنتيجة هى أن إيمان الصبى المميّز قبل البلوغ مقبول. ومضافاً إلى ذلك فنحن نعتقد أن مثل هؤلاء الصبية المراهقين مسؤولون فى مقابل الذنوب والمعاصى ولا يمكن صرف هذه المسؤولية عنهم لمجرد عدم بلوغهم سنّ التكليف وإعطاءهم الضوء الأخضر لأرتكاب الذنوب، ولهذا فلو أنّ الصبى المميّز الذى لم يبلغ سنّ التكليف كان يعلم جيّداً أن قتل إنسان برىء هو عمل قبيح فارتكب هذا العمل وقتل بريئاً فإنه يضمن ديّته وهو مسؤول أمام اللَّه تعالى. النتيجة هى أن الشخص غير البالغ إذا كان عاقلًا ومميّزاً فإنّ إيمانه مقبول، وعليه فإنّ البلوغ ليس شرطاً لقبول الإسلام والإيمان. الثانية: لقد وصل بعض الأنبياء الإلهيين فى سنّ الطفولة إلى مقام النبوّة، فكيف لا يكون البلوغ شرطاً فى مقام النبوّة الذى هو أعلى كثيراً من قبول مجرد الإيمان، ولكنه يكون شرطاً فى قبول الإسلام؟ ونكتفى بذكر مثالين لنيل مقام النبوّة فى مرحلة الطفولة: ۱- النبى يحيى عليه السلام وصل إلى النبوّة فى سنّ الطفولة، وقد ذكر اللَّه تعالى ذلك فى الآية ۱۲ من سورة مريم وقال: «يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا». ۲- النبى عيسى عليه السلام أيضاً وصل مرتبة النبوّة فى سنّ الطفولة كما يحدّثنا القرآن الكريم فى الآية ۳۰ من سورة مريم على لسان هذا النبى ويقول: «قالَ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا». وعندما يؤكد هذا النبى الكريم على أنه عبداللَّه فمن أجل أن النصارى لا يتخذونه بعد آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۵ ذلك إبناً للَّه تعالى، وعندما يقول «جعلنى» ولم يقل «يجعلنى» فإنّما ذلك لأنه نال هذه المرتبة السامية، أى مرتبة النبوّة فى مرحلة الطفولة. وقد ورد عن بعض الأنبياء أنهم نالوا هذا المقام أيضاً فى مرتبة الطفولة «۱». والخلاصة أنه عندما لا يشترط فى النبوّة سنّ خاصّ وهى ذلك المقام الرفيع فبطريق أولى لا يشترط فى الإيمان وقبول الإسلام سنٌّ خاصّ كالبلوغ. الثالثة: إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله كان مأموراً فى أوّل البعثة ولمدّة ثلاث سنوات أن يدعو عشيرته الأقربين ويعرض الإسلام عليهم، أى بعد أن دعاهم إلى الإسلام فى هذه السنوات الثلاث بصورة خفية وسريّة «۲» وآمن أفراد قلائل به، امر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بتبليغ الرسالة بصورة علنية، ولذلك أمر النبى عليّاً عليه السلام أن يهيّئ مقدمات الضيافة لقومه وأمره أن يهيّئ طعاماً مناسباً بمعونة غيره من المسلمين ودعا رؤساء قومه وعشيرته إلى ذلك المجلس، فحضر الضيوف وتناولوا الطعام وبعد الإنتهاء من تناول الطعام قام النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وعرض دينه الجديد عليهم وأخبرهم بأنه رسول من اللَّه تعالى إليهم ثمّ قال: «أيّكم يؤازرنى على هذا الأمر ويكون أخى ووصيّى وخليفتى من بعدى» فأحجموا كلّهم ولم يستجب أحد لطلبه غير على عليه السلام وكرر النبى دعوته لهم ثلاثاً وفى كلّ مرّة لم يستجب له غير على عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه و آله لهم: «انَّ هذَا اخِى وَوَصِيّى وَخَليفَتى عَلَيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَاطيعُوهُ». «۳» وطبقاً لنظر ورأى من يعتقد بأن علىّ بن أبى طالب كان له من العمر عندما أسلم عشر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۸۶ سنوات ولهذا فإنّ إيمانه غير معتبر وليس له قيمة، فهذا يعنى أن الإمام كان له من العمر فى هذه الواقعة ثلاثة عشر سنة، فلو لم تكن قيمة لإيمان علىّ بن أبى طالب فى هذا السنّ إذن فلماذا قال فى حقّه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هذه العبارات الجذّابة واعتبره خليفة له؟! إنّ من يشك فى هذه الفضيلة فهو فى الحقيقة يشك فى اعتبار قول النبى صلى الله عليه و آله وفعله، ولو قيل أن مثل هذا الكلام يكون له اعتبار فيما لو كان الإمام له من العمر ثلاثة عشر سنة، فيجب أن نقبل هذه الحقيقة وهى أن إيمان على حتّى لو كان فى سنّ العاشرة من العمر فهو ذو قيمة واعتبار. الرابعة: ومضافاً إلى ما تقدّم لا نرى أن مسألة عدم بلوغ الإمام على عليه السلام فى هذه الواقعة حقيقة مسلّمة وقطعية، بل هناك اختلاف بين علماء الإسلام فى هذه المسألة، كما ذكر صاحب مستدرك الصحيحين مشيراً إلى هذا المطلب فى الأبحاث السابقة، ولابأس باستعراض بعض نظرات

وآراء علماء الإسلام فی هذه المسألة: الف: یقول ابن عبدالبر فی کتاب «الإستیعاب» المجلد ۲، الصفحة ۴۷۱: أوّل من أسلم بعد خدیجة علیّ بن أبی طالب وهو ابن خمس عشر سنة أو ستّ عشر سنة «۱». ب: ویذکر صاحب کتاب «اسد الغابة فی معرفة الصحابة» فی المجلد ۴، الصفحة ۱۷ ثلاث نظریات فی هذا المجال، وطبقاً لإحدی هذه النظریات أن عمر الإمام فی ذلک الوقت کان خمسة عشر سنة. ج: ویتعرض العلّامة المجلسی أیضاً إلی هذه المسألة وینقل سبعة أقوال حولها «۲». وعلی هذا الأساس فإنّ عدم بلوغ الإمام علی علیه السلام حین تشرّفه بالإسلام لا یعتبر مسألة قطعیة ومسلّمة بل هناک اختلاف فی وجهات النظر بین علماء الإسلام. والخلاصة هی أن الروایات الکثیرة والمتواترة تشهد علی أن الإمام علی علیه السلام أوّل رجل آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۸۷ اعتنق الإسلام وآمن بالرسول صلی الله علیه و آله وبذل النصرة وعلی فرض قبول عدم بلوغه فی ذلک الوقت فإن ذلک لا ـ یقلل شیئاً من هذه الفضیلة.

أوّل المؤمنین، امتیاز کبیر

أوّل المؤمنین، امتیاز کبیر ولعلّ البعض یتصور بأن «أوّل المؤمنین» لا یعدُّ امتیازاً وفضیلةً لأمیرالمؤمنین ولا یختلف الحال بین من سبق الناس إلی الإیمان وبین من التحق بالإسلام بعده، ولکنّ الإنصاف هو وجود تفاوت کبیر وبون شاسع بینهما، ولأجل توضیح هذا المطلب نستعرض قصة «سحرة فرعون»: یذکر القرآن الکریم أن فرعون أمر بأن یجمعوا له جمیع السحرة من سائر بلاد مصر لمواجهة النبی موسی علیه السلام، وفی الیوم الموعود أحضرهم جمیعاً وبذل لهم الوعود الکثیرة ومنها أن یکونوا من المقرّبین إلی البلاط الفرعونی «قال نعم و إنکم إذن لمن المقرّبین» «۱». وقد هیّأ فرعون جمیع مستلزمات النصر والغلبة فی ذلک الیوم بحیث کان مطمئناً إلی انتصاره فی مواجهة موسی وهارون وحلّ ذلک الیوم، وألقی السحرة فی البدایة عِصیّهم وحبالهم وسحروا أعین الناس وانقلبت هذه العصی والحبال إلی أفاعی وثعابین مخیفة. ثمّ إنّ موسی علیه السلام ألقی عصاه بأمر من اللَّه تعالی نحو سحر السحرة فانقلبت العصی إلی ثعبان عظیم وبدأ یلتقم حبالهم وعِصیّهم وحطّم بذلک سحرهم ومکیدتهم، فأدرک السحرة أن هذا الشخص لیس بساحر وأنه مؤیّد من قبل اللَّه تعالی ولذلک سجدوا جمیعاً وقالوا: «آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ» «۲». وکان إیمان هؤلاء السحرة الذین جمعهم فرعون لغرض مواجهة موسی، مؤثراً بشدّة فی تقویة ودعم جبهة الحقّ ویعدّ ضربة قاصمة إلی فرعون والملأ، لأن الناس عندما شاهدوا أن السحرة أنفسهم آمنوا وصدّقوا بموسی ومیّزوا بین «المعجزة» وبین «السحر» کان ذلک آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۸۸ دافعاً ومحرّکاً لهم علی الإیمان بموسی وبالرسالة السماویة، وعندما شاهد فرعون هذه الظاهرة العجیبة شرع بالحدیث مع السحرة من موقع التهدید والإرعاب وقال لهم: «لَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ أَجْمَعِینَ» «۱». ولکنّ نور الإیمان جعل من تعذیب فرعون لهؤلاء السحرة سهلًا ویسیراً ولذلک أعلنوا استعدادهم لتقبّل کلّ أشکال التعذیب والقتل علی التخلّی عن اعتقادهم وإیمانهم: «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطایانا أَنْ کُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِینَ» «۲». ویستفاد من هذه الآیات الشریفة أن «أوّل المؤمنین» یعدّ امتیازاً کبیراً للإنسان بحیث إنه یعتبر کفّارة لجمیع الذنوب السابقة، والعلّة فی ذلک واضحة، لأنه لیس کلُّ شخص مستعداً لأن یکون أوّل المؤمنین ویتقبّل الأخطار والأضرار وجمیع التبعات والتحدّیات التی یفرضها الواقع المخالف علیه، ولذلک فإنّ ثواب «أوّل المؤمنین» یمتاز عن سائر أشکال المثوبات الاخری. الإمام علی علیه السلام کان أوّل المؤمنین بین المسلمین جمیعاً ولذلک یعدُّ امتیازاً خاصّاً وفضیلة مهمّة له حیث یعبر ذلک عن شجاعته وشهامته عندما لبّی نداء النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وشخّص الحقّ من الباطل وأن هذه الدعوة هی دعوة إلهیّة، ولذلک لم یتردد لحظة فی الإستجابة لدعوة النبی وحظی بمنزلة «أوّل المؤمنین إیماناً». الإنسان الشیعی ینبغی علیه أن یتحلّی بهذه الخصلة والفضیلة أیضاً وعندما تشیع الفحشاء وتسود المفاسد فی المجتمع علیه أن یکون أوّل من یتقدّم لکسر حاجز الصمت والتصدّی لهذه المفاسد والقبائح علی المستوی الفکری والأخلاقی ویکون أوّل الآمرین بالمعروف والناهین عن المنکر، وعلی الإخوان الأعزاء الذین یشترکون فی مجالس الفرح والسرور فیما لو شاهدوا أن المجلس قد تلوّث بالذنوب والمعاصی ولا أحد

من الحاضـرین یتصـدّی للنهی عنها فلا ینبغی أن یکون حاله کحال بقیـة الناس، ففی ذلک تکمن الفضـیحة آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۲۸۹ والمشارکة فی الإثم، بل یجب علیه ترک هذا المجلس وأن یتقبّل جمیع أشکال اللوم والذمّ من الحاضـرین من طیب خاطر وفی سبیل اللَّه. إنّ الشـیعی الصادق لأمیرالمؤمنین علیه السلام لا ینبغی له أن یخاف ویستوحش من الوحدة فی مسیر الحقّ وفی حرکته فی خطّ الإمام علی، لأنه علیه السـلام یقول: «لا تَسْـتَوْحِشُوا فِی طَرِیقِ الْهُـدی لِقِلَّهِ اهْلِهِ» «۱». والخلاصـة أن مقام «أوّل المؤمنین» یحتاج إلی شـجاعة أکثر ومعرفـة أوسع وقـدرة نفسـیّة علی تحطیم القیود والتقالیـد السائـدة فی المجتمع المتخلّف وهذه امور قد اجتمعت فی الإمـام علی علیه السـلام. إنّ سـحرة فرعون بإیمـانهم بـالنبی موسـی ونیلهم لمرتبـة أوّل المؤمنین به فإنهم لیس فقط تخلّصوا من أجواء الظلم والکفر والشـرک بل أصـبحوا فی صفّ الشـهداء، أجل فإنهم فی صـباح ذلک الیوم کانوا فی صفّ الفراعنة وأنصار فرعون وفی تلک اللیلـة أمسوا فی صفّ الشـهداء «۲» لأـن فرعون جسّـد تهدیـده بقتلهم وصـلبهم فکان أن استشـهدوا جمیعاً فی تلک اللیلـة. ومن الجـدیر بالـذکر أن إیمان الأشـخاص فی المراحل البعدیة یعدّ ثمرة لإیمان الأوائل، ولهذا فإنّ القسم الأعظم من أصـحاب وأتباع النبی موسی قد أمنوا به بسبب إیمان وشهادة هؤلاء السحرة، وهذه إحدی الآثار الکثیرة لدماء الشهداء.

توصیة الآیة

معرفة الفضائل مقدّمة للعمل!

معرفـة الفضائل مقدّمـة للعمل! عنـدما نتحـدّث عن فضائل الإمام علی علیه السـلام أو سائر أئمّة أهل البیت علیهم السـلام فلا ینبغی أن نکتفی بمجرد الکلاـم والإسـتماع، بـل یجب بعـد معرفـة هـذه الفضائـل أن نتحرّک علی مسـتوی آیـات الولایـة فی القرآن، ص: ۲۹۰ الممارسـة والعمل لتجسـید هـذه الفضائل والمناقب فی حیاتنا وأفعالنا وأقوالنا، وتأسـیساً علی هذا فإذا رأینا أن الآیات الکریمة تتحدّث عن أمیرالمؤمنین علیه السـلام من موقع المدح والثناء وأنه «صادق ومصدق» فلابدّ أن یکون الشیعی کذلک أیضاً فی تأیید کلام الحقّ والصـدق وأن یبعد عن نفسه المؤثرات العاطفیّة والمزاجیّة، واللطیف أن المؤمن إذا سـمع کلام الحقّ حتّی من الشـیطان نفسه فعلیه أن یستمع له ویصدّق بکلام الحقّ کما أمر اللَّه تعالی نبیه نوح بأن یستمع لکلام الشیطان عندما نصحه حتّی لو کانت النصیحة من الشیطان نفسه «۱». وهنا نلفت نظر المؤمنین الصادقین والمصدّقین إلی حدیثین شریفین فی هذا المجال: ۱- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: لاـ تَنْظُرُوا الی کَثْرَهِ صَـلاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَکَثْرَهِ الْحَـجِّ وَالْمَعْرُوفِ وَ طَنْتَنَتِهِمْ بِاللَّیْلِ، وَلکِنِ انْظُرُوا إلی صِـدْقِ الْحَـدیثِ وَأداءِ الْامانَـهِ. «۲» والخلاصة هی أنه طبقاً لهذا الحدیث النبوی الشریف أن الملاک والمعیار فی تقییم الإنسان هو صدقه وأمانته. ۲- قال الإمام علی علیه السـلام: الْایمانُ انْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَیْثُ یَضُـرُّکَ عَلَی الْکِـذْبِ حَیْثُ یَنْفَعُکَ. «۳» فطبقاً لهذا الحدیث الشـریف فإنّ مقتضـی الإیمان هو ملازمـة الصـدق والحقّ وأن المؤمن لاـ یمکن أن یکون کاذبـاً. نسـأل اللَّه تعالی أن یجعلنا من المتحلّین بالإیمان والسائرین علی خطی أمیرالمؤمنین علیه السـلام وأن نقتبس من فضائله ومناقبه وخاصّـة فضـیلة الصـدق والتصدیق بالحقّ والحقیقة. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۹۱

آیة المحبّة

اشارة

آیة المحبّة ۹ [سورة مریم (۱۹): آیة ۹۶] أَ یَطْمَعُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُدْخَلَ جَنَّهَ نَعِیمٍ (۳۸) «سورة مریم/ الآیة ۹۶»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآية الشريفة وبشهادة كتب أهل السنّة ومصادرهم نزلت فى شأن الإمام على عليه السلام حيث تذكر الروايات الشريفة أن الإمام على عليه السلام هو المصداق الأكمل والأتم لهذه الآية الشريفة، وقد ذكرت لهذه الآية بحوث متنوّعة منها: ارتباط الإيمان والعمل الصالح بالمحبّة فى القلوب، وكذلك آراء ونظريات علماء أهل السنّة فى شأن نزول هذه الآية، ومباحث اخرى أيضاً من هذا القبيل سيأتى تفصيلها لاحقاً.

التوغّل والنفوذ فى القلوب أهم رأس مال القادة

التوغّل والنفوذ فى القلوب أهم رأس مال القادة إنّ أهم رأس مال للقادة السياسيين والإجتماعيين فى مختلف المجتمعات البشرية هو ما يتمتعون به من محبّة فى قلوب الناس، بحيث إنّ المشاريع والاطروحات الإجتماعية المهمّة لا تتحقق بدون وجود هذه العاطفة والإنجذاب نحو القائد فى عرصات المجتمع وعلى مستوى الجمهور. ولهذا فإنّ مشاركة الناس فى الامور الإجتماعية والسياسية والثقافية وحتّى العسكرية آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۲ يعدّ أمراً ضرورياً جدّاً فى عملية الإصلاح الإجتماعى أو نجاح الحكومة، ومن أجل تحصيل هذه الغاية فلابدّ من النفوذ إلى قلوب الناس وجذب مودّتهم وكسب حبّهم، وعندما نرى أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد نجح فى مدّة قصيرة أن ينشر دعوته السماوية إلى شرق العالم وغربه ويوحّد قلوب المسلمين ويزيل عنهم الأحقاد والتعصّبات القديمة ويشكّل جيشاً موحّداً وقويّاً استطاع بواسطته أن يوصل دعوته الإلهية إلى شتّى بقاع المعمورة فإنّ ذلك كان بسبب أخلاقه السامية ونفوذه العجيب فى قلوب الناس من المسلمين وغير المسلمين كما يحدّثنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة ويقول: «فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ». «۱» وهكذا بالنسبة إلى النبى إبراهيم عليه السلام عندما هاجر بأمر من اللَّه تعالى إلى مكّة وأسكن زوجته وطفله الرضيع فى أرض قاحلة لا ماء فيها ولا غذاء ومن دون زاد ومتاع إلى جانب بيت اللَّه الحرام، رفع يديه للدعاء وقال: «رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ». «۲» فكان إبراهيم عليه السلام يعلم أن النفوذ إلى القلوب هو أعظم رأس مال للإنسان ولهذا طلب من اللَّه تعالى أن يجعل محبّة أهل بيته فى قلوب الناس. الإمام الخمينى رحمه الله بدوره لم يكن لديه منذ بداية الثورة ولآخر يوم من أيامها سلاحاً مهمّاً من الأسلحة المتعارفة ليواجه بها أعوان الشاه وجيشه المسلّح، ولكنه كان يمتلك سلاحاً أقوى فاعليّة وأمضى قوّة من جميع الأسلحة المتطورة لطاغوت زمانه، وهو المحبّة فى قلوب الناس وتعاطف الجماهير مع دعوته الإلهية، والخلاصة أن عنصر النفوذ فى القلب يعدّ أهم رأس مال للقادة والمصلحين فى سائر المجتمعات البشرية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۳

الشرح والتفسير: إرتباط الإيمان والعمل الصالح بمسألة النفوذ فى القلوب

الشرح والتفسير: إرتباط الإيمان والعمل الصالح بمسألة النفوذ فى القلوب «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا». فى هذه الآية الشريفة نرى ارتباطاً بين الإيمان والعمل الصالح من جهة والنفوذ إلى قلوب الناس من جهة اخرى، حيث يقرر اللَّه تعالى فى هذه الآية الشريفة المحبّة فى قلوب الناس نتيجة الإيمان والعمل الصالح، ومعنى هذه العبارة هى أنه من الممكن أن يتسلط الإنسان بقوّة السلاح والسيف على الناس بأجسادهم وأبدانهم، ولكنه لا يستطيع إطلاقاً أن يتسلط على قلوبهم وأرواحهم ويفتح طريقاً إلى أعماق وجدانهم بالقوّة والقهر. سؤال: إذن ما هى حقيقة العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح من جهة وبين النفوذ إلى قلوب الناس والمقبولية العامة فى أوساط المجتمع من جهة اخرى؟ هل يمكننا أيضاً تحصيل هذه النعمة الكبيرة من خلال الإيمان والعمل الصالح؟ الجواب: بالإمكان تصوير هذه العلاقة الثنائية على نحوين: الأوّل: أن يكون هذا الإرتباط المعنوى والإلهى وفقاً لحكمة اللَّه تعالى التكوينية كما هو الحال فى المحبّة التى جعلها اللَّه تعالى لموسى عليه السلام فى قلب فرعون وزوجته فى حال طفولة موسى، حيث إن

فرعون أمر بأن يقتل جميع الأطفال الذكور من بنى إسرائيل فى مصر بهدف القضاء على العدو المحتمل، ولكن اللّه تعالى قد قذف فى قلبه حبّ موسى وجعله يربّى موسى فى بيته وقصره، ومن هنا أراد اللّه تعالى أن يظهر قدرته الفائقة لفرعون والفراعنة بأنهم لا يمكنهم التصدّى لإرادة اللّه ومشيئته ولا يمكن لأى قدرة أن تقف مانعاً وحائلًا دون إرادة اللّه فيما لو تعلقت بشىء من الأشياء، فمثل هذه العلاقة العاطفية والمحبّة القلبية لا تكون اكتسابية بل هى موهبة من اللّه تعالى. الثانى: العلائق العاطفية العاديّة القابلة للتحليل المنطقى، فإنّ العمل الحسن والصالح يتمتع بجاذبيّة وحتّى الأشخاص المنحرفين والفاسدين ينجذبون نحو حسن الأعمال وجمالها الأخلاقى. مثلًا «الأمانة» تعتبر من الأعمال الصالحة، والإنسان الأمين يعدّ إنساناً صالحاً ومورد آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۴ قبول الناس وحبّهم واحترامهم، فحتّى اللصوص وقطّاع الطرق يحبّون من يتمتع بهذه الفضيلة ويعتمدون عليه على مستوى الإرتباط الإجتماعى وقد يضعون أموالهم المسروقة أمانة ووديعة عنده، وعليه فإنّ العمل الصالح وكذلك الإيمان لهما جاذبية لقلوب الناس، والثمرة المترتبة على ذلك هى النفوذ إلى قلوب الناس، والشخص الذى يرغب فى أن تكون له مكانة ومحبّة فى قلوب الناس يكفى أن يكون إنساناً مؤمناً صالحاً، فإذا أدرك الناس ذلك منه فإنّ قلوبهم ستتجه نحوه ولا حاجة إلى عمل خاص فى هذا السبيل. الطهارة والعفّة هى الاخرى أحد الأعمال الصالحة ذات القيمة الأخلاقية العالية، وهذه الفضيلة إلى درجة من الأهمّية بحيث إنّ الأشخاص الذين يعيشون التلوّث فى الخطيئة يعشقونها فعندما يريدون الزواج وتشكيل اسرة يتوجهون إلى العوائل الشريفة ويخطبون النساء العفيفات ويجتنبون الزواج من الملوّثات، والملفت للنظر أن الإمام على عليه السلام وهو مورد البحث فى هذه الآية قد وصل فى معراجه المعنوى وتكامله الإنسانى إلى أعلى درجة من حيث الإيمان والعمل الصالح من جهة ونفوذه فى قلوب الناس من جهة اخرى.

شأن نزول آية المحبّة

شأن نزول آية المحبّة بالرغم من أن مفهوم الآية الشريفة مورد البحث عام وشامل لكلِّ مؤمن يعمل الأعمال الصالحة حيث ينتج هذا الإيمان والعمل الصالح المحبّة فى قلوب الناس، ولكن بلا شك أن المصداق الأكمل والأدق لهذه الآية الشريفة هو أميرالمؤمنين عليه السلام، كما ورد التصريح بذلك فى كتب أهل السنّة المختلفة رغم سعى البعض لإنكار هذه الحقيقة الواضحة. ويقول العلّامة الحلّى فى كتاب «احقاق الحقّ» «۱» فى شأن نزول الآية المذكورة أنها نزلت آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۵ فى حقّ على بن أبى طالب عليه السلام، ولكن القاضى روزبهان من علماء أهل السنّة يردّ على كلام العلّامة هذا ويقول: ليس هذه الرواية فى تفسير أهل السنّة، وإن صحت دلّت على وجوب محبّته وهو واجب بالاتّفاق «۱». والملفت للنظر أن المحققين من الشيعة ذكروا فى هامش الكتاب المذكور «احقاق الحقّ» نقلًا عن ۱۷ كتاب من كتب أهل السنّة أن روايات تتعلق بالإمام على عليه السلام فى هذا المورد، من بين هذه الكتب ستة منها من كتب التفسير، فكيف يبرر مثل هذا التناقض فى كلمات علماء أهل السنّة؟ هل أن القاضى روزبهان لم يقرأ هذه الكتب، أو أنه قرأها ولكن حجاب التعصّب والعناد منعه من قبول هذه الروايات؟ وعلى أيّة حال فالكتب المذكورة هى ما يلى: ۱- تفسير الثعلبى «۲». ۲- تفسير الكشّاف لمؤلفه الزمخشرى المفسّر المعروف لدى أهل السنّة «۳». ۳- تفسير العلّامة النيشابورى والذى ورد فى هامش تفسير الطبرى «۴». ۴- السيوطى فى الدرّ المنثور «۵». ۵- العلّامة الشوكانى فى تفسيره «۶». ۶- الآلوسى فى روح المعانى «۷». ونكتفى فى ذكر روايتين من هذه الكتب المذكورة: الف: ما أورده «روح المعانى» أن البراء بن عازب الصحابى المعروف قال: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۶ قالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه و آله لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعالى وَجْهَهُ: «قُلِ اللّهُمَّ اجْعَلْ لِى عِنْدَكَ عَهْداً وَاجْعَلْ لِى فِى صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً» فَانْزَلَ اللَّهُ سُبْحانَهُ هذِهِ الْآيَةَ. وَكانَ مُحَمَّدُ بْنُ الحنفيّة رضى الله عنه يَقُولُ: لا تَجِدُ مُؤْمِناً الّا وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيّاً كَرَّمَ اللَّهُ تَعالى وَجْهَهُ وَاهْلَ بَيْتِهِ «۱». سؤال: ما هو المراد من العهد المذكور فى هذه الرواية؟ الجواب: يحتمل أن يكون هذا العهد هو ما ورد فى آية سابقة قبل هذه الآية محل البحث، أى الآية ۸۷ من سورة مريم حيث ورد فيها: «لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً». وعليه فالمراد من العهد هو الشفاعة، فالنبى الأكرم يقول للإمام على عليه السلام: اطلب من

اللَّه تعـالى أن تنـال مقام الشـفاعة وأن يجعل محبّتك فى قلوب المؤمنين وهى المحبّـة التى وردت فى دعاء إبراهيم الخليل واسـتمرت إلى زمان نبى الإسـلام صـلى الله عليه و آله وسـتبقى إلى يوم القيامـة. ب: ويذكر العلّامة الشوكانى نقلًا عن الطبرانى عن ابن عبّاس إنه قال: نَزَلَتْ فِى عَلِيِّ بْنِ ابى طَالِبٍ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ...» قالَ مَحَبَّةً فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ «۲». وعلى أيّة حال فقد رأينا أن هـذه الآيـة الشـريفة تقرر وجود رابطـة وثيقـة بين الإيمـان والعمـل الصالـح من جهـة والمحبّـة فى قلوب الناس من جهـة اخرى، وطبقاً للروايات الواردة فإنّ المصداق الأكمل لها هو أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

التفاسير الاخرى للآية مورد البحث

التفاسـير الاخرى للآية مورد البحث ومضافاً إلى التفسـير المتقدم فهناك تفاسير اخرى للآية المذكورة ومنها: الف) إن المراد من الآية الشـريفة ليس هو أن المحبّـة توجد فى قلوب المسـلمين والمؤمنين آيات الولاية فى القرآن، ص: ۲۹۷ جميعـاً اتجاه فرد معيّن أو أفراد بالخصوص، بل المراد أن الإيمان والعمل الصالـح يورثان المحبّة فى قلوب جميع المؤمنين بالنسـبة إلى بعضـهم البعض، وبعبارة اخرى إنّ المحبّة فى قلوب المؤمنين متوجهه لجميع المؤمنين لا إلى فرد بالخصوص. ب) إنّ هذه الآية الشـريفة تشـير إلى يوم القيامة فإنّ اللَّه تعالى فى ذلك اليوم يجعل المحبّة فى قلوب المؤمنين بحيث يحبُّ بعضهم بعضاً، وعليه فهذه الآية لا تتعلق بما نحن فيه. ج) إنّ المراد من الآية الشـريفة هو الإمام على عليه السـلام فقط ولا تشـمل أى مؤمن آخر، وما ورد فى العبارة من صـيغة الجمع لا يثير مشـكلة، لأن صيغـة الجمع تأتى أحياناً لغرض الإحترام «۱». ولكن الانصاف أن جميع التفاسـير هـذه غير متنافية فيما بينها وبالإمكان الجمع فيما بينها فى المفهـوم مـن الآيـة الشـريفة والـتى تسـتوعب جميع المـؤمنين الـذين يعملـون الصالحـات رغـم أن المصـداق الأكمـل والأـتم هو أميرالمؤمنين عليه السـلام، كما هو الحال فى اختلاف الأنوار شدة وضـعفاً من قبيل: نور الشـمعة، المصـباح، القمر، الشمس، ولكن بلا شكّ أن نور الشمس هو المصداق الأكمل والأتم لمفهوم النور.

توصية الآية الشريفة

الشيعة بمثابة السراج المنير

الشـيعة بمثابـة السـراج المنير تقـدّم أن قلنـا أكثر من مرّة إنه ينبغى على الشـيعة وأتباع أميرالمؤمنين عليه السـلام السـعى لمعرفـة فضائل ومناقب الإمام على وأهل بيته الطاهرين عليهم السـلام ولكن بلا شك لا ينبغى الإكتفاء بهذا المقدار بل يجب التحرّك بعد معرفة هذه الفضائل فى خطّ العمل بها وتجسيدها على مستوى الواقع النفسى والإجتماعى والسعى فى طريق النجاة والفلاح وإرشاد الناس إلى هذا الطريـق أيضـاً، يجب على شـيعة الإمـام على عليه السـلام أن يكونوا قـدوة واسوة فى الإيمـان والعمـل الصالـح لكى آيـات الولايـة فى القرآن، ص: ۲۹۸ يهتـدى الناس بنور إيمانهم إلى خطّ الصـلاح والتقوى والإنفتاح على اللَّه، وهـذا المعنى هو الذى يبعث المحبّة لهم فى قلوب الآخرين وبالتالى يسـتوجب رضا أهل البيت عليهم السـلام عنهم وسـرورهم بمثل هؤلاء الأتباع، لا أن يتحرك الشيعة بشكل يبعث على خجل هؤلاء الأولياء من أعمالهم «۱».

مباحث اخرى

۱- نفوذ المحبّة فى قلوب الجميع

۱- نفوذ المحبّـة فى قلوب الجميع إنّ ظـاهر الآيـة الشـريفة هى أن الإيمـان والعمـل الصالـح لا يسـتوجبان فقط نفوذ المحبّـة فى قلوب

المؤمنین بالنسبة إلی ذلک الشخص بل إنّ شعلة هذه المحبّة تسری إلی قلوب غیر المؤمنین وتعمل علی تسخیرها ولهذا فإنّ أعداء الإمام علی علیه السلام أیضاً یشعرون بالمحبّة له رغم أن أهواءهم النفسانیة لا ـ تسمح لهم بإظهار هذا الحبّ ولکن قد یفلت من کلماتهم هذا الأمر. وهذا ما ورد فی کتب التاریخ مراراً من أن معاویة کان یسأل من بعض شیعة الإمام علی علیه السلام عند ملاقاتهم به عن حالات أمیرالمؤمنین وأفعاله، وبعد أن یستمع لما یذکرونه من ثناء ومدح لأمیرالمؤمنین یؤیدهم فی ذلک «۲». وأما عمرو بن العاص وهو الرجل الثانی من قادة العصیان والتمرد والإنحراف والذی یعدّ الشریک الأوّل لجرائم معاویة بل إنّ معاویة کان یأتی بالدرجة الثانیة فی المکر والحیلة والإفساد بعد عمرو بن العاص، هذا الشخص یقول فی قصیدته المعروفة باسم «الجلجلیّة» «۳» آیات الولایة فی القرآن، ص: ۲۹۹ یعترف فیها بالجرائم التی ارتکبت فی زمن معاویة وکذلک فی فضائل الإمام علی علیه السلام ویقول: مُعاوِیَةُ الْحالَ لا تَجْهَل وَعَنْ سُبُلِ الْحَقِ لا تَعْدِل وَکِدْتُ لَهُمْ انْ اقامُوا الرُّماحَ عَلَیْهَا الْمَصاحِفَ فِی الْقَسْطَل نَسیتَ مُحاوَرَةَ الْاشعَری وَنَحْنُ عَلی دُومَةِ الْجَنْدَل؟ خَلَعْتُ الْخِلافَةَ مِنْ حَیْدَرٍ کَخَلْعِ النَّعالِ مِنْ الْارْجُل وألبستها فیک بعد الأیاس کلبس الخواتیم بالأنمل وکم قد سمعنا من الْمُصْطَفی وَصَایَا مُخَصَّصَةً فِی عَلِیٍّ؟ وَفِی یَوْمِ خُمٍّ رَقی مِنْبراً یُبَلِّغُ والرَّکْبُ لَمْ یَرْجُل وَفِی کَفِّهِ کَفُّهِ مُعْلِناً یُنادِی بِامْرِ الْعَزِیزِ الْعَلِیّ وَقالَ فَمَنْ کُنْتُ مَوْلیً لَهُ فَهذا لَهُ الْیَوْمَ نِعْمَ الْوَلِیّ وَانّا وَما کانَ مِنْ فِعْلِنا لَفِی النّارِ فِی الدَّرْکِ الْاسْفَلِ «۱»

۲- مفهوم العمل الصالح فی القرآن

۲- مفهوم العمل الصالح فی القرآن إنّ العمل الصالح فی نظر الإسلام فی دائرة المفاهیم القرآنیة أمر مهم جدّاً بحیث إنّ سبعین آیة من آیات القرآن الکریم بحثت هذا المعنی والمفهوم، والعمل الصالح له مفهوم واسع وشامل لکلّ عمل یصبُّ فی دائرة رضا اللَّه تعالی، وقد ورد فی الحدیث النبوی الشریف ما یوضح سعة دائرة هذا المفهوم للعمل الصالح: الْایمانُ بِضْعَةٌ وَسَبْعُونَ (سِتُّونَ خ ل) شُعْبَةً أَعْلاها شَهادَةُ انْ لا الهَ الَّا اللَّهُ واذْناها اماطَةُ الْأذی عَنِ الطَّریقِ «۲». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۰۰ هذه الروایة الشریفة مضافاً إلی أنها تشیر إلی سعة دائرة العمل الصالح فإنها تقرر هذه الحقیقة وهی أن الإسلام یهتم بأدنی وأصغر مسائل الحیاة الفردیة والإجتماعیة للمسلمین ویوصی المسلمین بالإهتمام حتّی بالامور الجزئیة. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۰۱

آیة السابقون

اشارة

آیة السابقون ۱۰ [سورة الواقعة (۵۶): الآیات ۱۰ الی ۱۲] ثُمَّ نُکِسُوا عَلی رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ یَنْطِقُونَ (۶۵) «سورة الواقعة/ الآیات ۱۰- ۱۲

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآیات الشریفة تستعرض فضیلة اخری من فضائل الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام أیضاً والتی اعترف بها علماء السنّة بصورة واسعة، فنقرأ فی هذه الآیات الشریفة التی تتحدّث عن طوائف ثلاث من الناس یوم القیامة، تعلیمات راقیة ومطالب مهمة تتعلق بمسیرة الإنسان فی حرکة الحیاة الدنیویة، وسیأتی تفصیل البحث لاحقاً.

مضمون سورة الواقعة

مضمون سورة الواقعة إنّ سورة الواقعة کسائر سور القرآن الکریم تتضمن مفاهیم عمیقة ومواضیع مثیرة للغایة، والأصل والمحور فی

مواضيع آيات هذه السورة المباركة هو الحديث عن المعاد والحياة الاخروية، فالآيات الاولى من هذه السورة تستعرض علائم وآثار يوم القيامة حيث يبدأ هذا اليوم بانقلاب كبير فى عالم الوجود كما هو الحال فى الإنقلاب والإنفجار الذى حدث فى بداية ظهور الأرض والمجرّات والسماوات، وعليه فإنّ الدنيا بدأت بإنفجار مهيب وستنتهى أيضاً كذلك، فعندما تقوم القيامة تهتزّ الأرض بشدّة وتتحطم الجبال آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۳۰۲ العظيمة وتتلاشى فى الفضاء نتيجة اصطدامها فيما بينها فى الفضاء بحيث تتحول إلى غبار منثور، وبعد ذلك يقوم اللَّه تعالى بخلق عالم الآخرة على خرائب وأطلال عالم الدنيا ويخلق أرضاً وسماءاً جديدة، وفى ذلك اليوم تدبُّ الحياة فى الأموات ويبعثون من قبورهم مرّة ثانية ويكونون على ثلاث طوائف: ۱- «أصحاب الميمنة» وهم السعداء والمفلحون فى ذلك اليوم. ۲- «أصحاب المشئمة» «۱» وهم الأشخاص الذين يواجهون الشقاء والمصير السيىء وتقدّم إليهم صحيفة أعمالهم بيدهم الشمال. ۳- «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» وهذه الطائفة من الناس هم أسعد حظاً من الطائفة الاولى وهم الذين ينالون وسام مقام القرب من اللَّه تعالى بحيث لا يدانيهم فى هذا المقام والمنزلة أحد من المؤمنين. وبهذا التقسيم القرآنى لطوائف الناس فى ذلك اليوم تشرع الآيات الكريمة باستعراض أنواع المثوبات والعقوبات المقرّرة لأفراد هذه الطوائف الثلاث، المثوبات التى تثير الوجد والفرح فى قلوب المؤمنين، والعقوبات الرهيبة التى تثير الفزع والخوف لدى كلّ إنسان. وتتحدّث الآيات ۱۱ إلى ۲۶ عن المثوبات المقرّرة للسابقين والمقرّبين، وهى المثوبات غير القابلة للتصور أحياناً، وتتحدّث الآيات ۲۷ إلى ۴۰ عن مثوبات أصحاب اليمين، ومن الآية ۴۱ فما بعد يتحدّث القرآن الكريم عن عقوبات أصحاب الشمال بصورة مفصلة.

الشرح والتفسير: من هم السابقون؟

الشرح والتفسير: من هم السابقون؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۳ «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» وهم الذين ينبغى أن يكونوا اسوة وقدوة لجميع أفراد البشر فى حركتهم المعنوية وسيرهم التكاملى فى خطّ الإيمان والرسالة. سؤال: من هم هؤلاء السابقون الذين ينالون مقام القرب من اللَّه تعالى؟ الجواب: لقد ذكرت تفاسير مختلفة للمقصود من هذه العبارة: ۱- السابقون فى الإيمان. ۲- السابقون فى الجهاد. ۳- السابقون فى العبادة والصلاة اليومية. ۴- السابقون فى التوبة. ۵- السابقون فى طاعة اللَّه. ۶- السابقون فى دخول الجنّة. ۷- السابقون فى الهجرة. ۸- السابقون فى أعمال الخير. وهناك تفاسير اخرى أيضاً «۱». ولكننا نرى عدم وجود منافاة بين هذه التفاسير المذكورة للآية الشريفة، وعليه فلا ينبغى أن نقيّد الآية بأحد الموارد المذكورة بل نرى أن المفهوم منها يستوعب جميع ما ورد لها من هذه التفاسير، وعلى أيّة حال فالسابقون يتّسمون بفضائل جمّة ويختصّون بخصائص مهمّة ترتفع بهم فى عالم الملكوت، وأسمى مقام لهم هو مقام القرب الإلهى، وبلاشك أن اللذّة التى يعيشها هؤلاء السابقين فى هذا المقام العظيم ترتفع عن كلٍّ لذّة اخرى. «فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ» وهذا التعبير بصيغة الجمع يشمل كافة النِعم المادية والمعنوية فى الجنّة، وقد يشير أيضاً إلى أن بساتين الجنّة هى محل النعيم الحقيقى لا غير خلافاً لبساتين الدنيا التى قد تكون سبباً للتعب والشقاء، وهكذا بالنسبة إلى حال المقرّبين وتفاوت مقامهم آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۰۴ فى الآخرة بالنسبة إلى الدنيا لأنّ مقامهم الدنيوى كان مقترناً مع تحمل المسؤوليات والأتعاب والمشاكل فى حين أن مقامهم الاخروى هو التنعم الخالص بالمواهب الإلهية فى الجنّة. فهل تليق هذه المواهب والمثوبات الإلهية لغير السابقين؟ نسألك اللّهمّ بلطفك وكرمك أن تحشرنا مع هذه الطائفة وتجعلنا من المقرّبين عندك.

الإمام على عليه السلام المصداق الأتم والأكمل للسابقين

الإمام على عليه السلام المصداق الأتم والأكمل للسابقين كما تقدّم آنفاً فإنّ مفهوم الآية الشريفة شامل وعام فى دائرة السابقين ويستوعب فى مضمونه جميع الأشخاص الذين سبقوا الآخرين فى الإيمان والجهاد والصلاة والتوبة والمسير فى خطّ الطاعة والعبودية والدخول إلى الجنّة وأمثال ذلك، ولكن طبقاً لما ورد فى الروايات الشريفة أن الإمام على عليه السلام هو أسبق السابقين فى هذه

الموارد والمصداق الأتم والأکمل لهذه الآیة الشریفة، وهنا نلفت النظر إلی بعض ما ورد فی هذه الروایات: الف) ما ورد عن المفسّر والراوی المعروف ابن عبّاس المقبول لدی السنّة والشیعة أنه قال: سابِقُ هذِهِ الْامَّةِ عَلِیُّ بْنُ أبی طَالِبٍ «۱». ب) وقال ابن عبّاس أیضاً فی روایة اخری: یُوشَعُ بْنُ نُونْ سَبَقَ إلی مُوسی، وَمُؤْمِنُ آلِ یاسین سَبَقَ الی عیسی، وَعَلِیُّ بْنُ ابی طالِبٍ سَبَقَ إلی مُحَمَّدٍ «۲». ج) عندما أراد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إجراء عقد الزواج بین الإمام علی علیه السلام وابنته فاطمة الزهراء علیها السلام قال مخاطباً لإبنته: زَوَّجْتُکِ بأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِی وَعَرَفَنِی وَساعَدَنِی «۳». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۰۵ أجل، فطبقاً لهذه الروایات والروایات الاخری التی لم نذکرها هنا رعایة للاختصار فإنّ الإمام علی علیه السلام هو أسبق السابقین من جمیع المسلمین، فهل من اللائق مع وجود مثل هذا الإمام اختیار شخص آخر لخلافة النبی؟ وما أجمل ما قاله الشاعر العربی: الَیْسَ اوَّلُ مَنْ صَلّی بِقِبْلَتِهِمْ وَاعْلَمُ النّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ «۱» إذن فلماذا مع وجود علیّ بن أبی طالب علیه السلام واعترافهم بأفضلیته وأسبقیته یتم اختیار شخص آخر وترجیحه علیه؟ الروایات المذکورة آنفاً وردت فی منابع متعددة لدی أهل السنّة ونکتفی هنا بذکر ۱۰ مصادر ومنابع منها: ۱- إبن المغازلی فی المسند «۲». ۲- السبط ابن الجوزی فی التذکرة «۳». ۳- ابن کثیر الدمشقی «۴». ۴- محیی الدین الطبری فی الریاض النضرة «۵». ۵- السیوطی فی الدرّ المنثور «۶». ۶- ابن حجر فی الصواعق المحرقة «۷». ۷- العلّامة الشوکانی فی فتح القدیر «۸». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۰۶ ۸- میر محمّد صالح الترمذی فی المناقب المرتضویة «۱». ۹- الآلوسی فی روح المعانی «۲». ۱۰- القندوزی فی ینابیع المودّة «۳». ومع الإلتفات إلی کثرة هذه الروایات الواردة فی شأن الإمام علی علیه السلام فی ذیل الآیة الشریفة فهل یعقل أن اللَّه تعالی یختار شخصاً آخر للخلافة مع وجود الإمام علی علیه السلام وفضائله الکثیرة؟

تفسیر السابقین علی لسان النبی صلی الله علیه و آله

تفسیر السابقین علی لسان النبی صلی الله علیه و آله وقد ورد فی الحدیث النبوی الشریف أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قال: «السّابِقُونَ إلی ظِلِّ الْعَرْشِ طُوبی لَهُمْ». قیلَ: یا رَسُولُ اللَّهِ وَمَنْ هُمْ؟ قال: ۱- «الَّذِینَ یَقْبَلُونَ الْحَقَّ إذَا سَمِعُوهُ» إنّ السابقین یتّصفون بأنهم یذعنون للحقّ أیاً کان ومن أی شخص سمعوه حتّی لو کان من عدو أو صبی صغیر فلا یجدون فی أنفسهم حرجاً ولا تعصباً أو تکبراً علی الحقّ، فعندما یدرک الإنسان خطأه وتتضّح له آفاق الحقیقة فیجب علیه أن یتحرک من موقع الشجاعة والشهامة ویعترف بخطئه ویقبل بالحقّ ولیعلم أن ضرر الإعتراف بالخطأ أقلُّ بکثیر من ضرر العناد والإصرار علی الخطأ وعدم الإعتراف به. ۲- «وَ یَبْذَلُونَهُ إذا سَأَلُوهُ» فلا یحقُّ للسابقین کتمان الحقّ، لأن کتمان الحقّ من الذنوب الکبیرة، ولذلک لا یقولون أننا قد نتعرض للضرر من قول الحقّ أو قد یتألم والدنا أو والدتنا أو زوجتنا أو صدیقنا وجارنا من قول الحقّ، فهم یعلمون أن الواجب یحتم علیهم أن یشهدوا بما یعلمون أنه الحقّ آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۰۷ والصواب کما ذکر اللَّه تعالی ذلک فی الآیة الشریفة ۲۸۳ من سورة البقرة وقال: «وَ لا تَکْتُمُوا الشَّهادَةَ وَ مَنْ یَکْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ». ۳- «وَیَحکُمُونَ لِلنّاسِ کَحُکْمِهِمْ لِانْفُسِهِمْ» «۱». الخصوصیّة الاخری للسابقین هی أنهم یحبّون لغیرهم ما یحبّون لأنفسهم ولا یحکمون لغیرهم إلّابما یرونه صلاحاً لأنفسهم، وبعبارة اخری أنهم یرون منافعهم ومنافع الآخرین بعین واحدة، وبلاشک إنّ هذه المرتبة الأخلاقیة لا تتیسر لکلِّ شخص ولیس من الیسیر أن ینظر الإنسان لمصالح الآخرین کما یرآها لنفسه ویذعن للحقّ من دون أن تتدخل فی ذهنه عناصر الأنانیة، وبذلک ینال مرتبة السابقین. إذا عمل الإنسان المعاصر بهذه التعلیمات النبویة الثلاث فإنّ العالم سوف یتبدل إلی جنّة، ولکن مع الأسف فإنّ تعامل دعاة حقوق الإنسان مع الشعوب الاخری من موقع الإنتهازیة والریاء حوّل المجتمع البشری إلی کیانات مهزوزة وبدّل العالم إلی جهنم محرقة ولم یبق من حقوق الإنسان فی أذهان البشر سوی أوهام خاویة وتوهیمات زائفة، فعندما یسمع أبناء البشر إدعاءات هؤلاء المدّعین والمنادین لحقوق الإنسان یتبادر إلی أذهانهم مفاهیم جدیدة وهی «حفظ منافع السلطات الإستکباریة بأی قیمة وبأی شکل کان». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۰۹

آية اذُن واعية

اشارة

آية اذُن واعية ۱۱ [سورة الحاقة (۶۹): الآيات ۱۱ الى ۱۲] حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (۹۶) «سورة الحاقة/ الآيات ۱۱ و ۱۲»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هذه الآية الشريفة «آية اذن واعية» من الآيات الاخرى التى تتحدّث عن فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام، وطبقاً للروايات الواردة فى ذيل هذه الآية الشريفة فإنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد دعا اللَّه تعالى أن يكون على ابن أبى طالب من جملة الأشخاص الذين يتمتعون بالاذن الواعية وقد استجاب اللَّه تعالى له هذا الدعاء، وسيأتى شرح وتفصيل هذه الروايات وتفسير الآية مورد البحث والمفهوم من عبارة «اذن واعية» فى البحوث اللاحقة.

الشرح والتفسير: قصة الأنبياء

الشرح والتفسير: قصة الأنبياء لقد بحث القرآن الكريم قصص الأنبياء فى هذه السورة «سورة الحاقة» بل فى غيرها من السور القرآنية الكريمة من زوايا مختلفة ومتنوعة. سؤال: لماذا تطرّق القرآن الكريم لبيان تاريخ الامم والأقوام السالفة واستعرض قصص الأنبياء السابقين، فهل أن القرآن كتاب تاريخ؟ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۰ الجواب: القرآن كتاب لتهذيب الإنسان، والتاريخ البشرى له دور مهم فى تعليم وتربية الإنسان فى حركة حياته الفردية والإجتماعية، والخلاصة أن الإنسان يعيش التجربة والحوادث المتنوعة فى هذه الحياة وما أحسن أن يستفيد الإنسان من تجارب الآخرين على مستوى العبرة والسلوك العملى لا أن يتمنّى كما يقول بعض الشعراء أن يعيش ويحيى مرتين ويجعل إحدى الحياتين لممارسة التجارب والثانية للاستفادة من تلكم التجارب الماضية. يقول تبارك وتعالى فى الآية ۱۱۱ من سورة يوسف: «لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ». ويشير أيضاً فى بداية سورة الحاقة إلى قصص الأنبياء والسابقين مع أقوامهم حيث سنتعرض هنا إلى شرح وتفسير هذه الآيات المباركة: «وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ». إنّ فرعون والأقوام التى سبقته أى قوم شعيب، عاد، ثمود وأقوام اخرى وكذلك المدن المؤتفكة أى المنقلبة والمدمَّرة بسبب تلوّث أهلها بالخطيئة والذنوب الكبيرة، «المؤتفكات» جمع «مؤتفكة» وتشير إلى قصة قوم لوط عندما نزل عليهم العذاب الإلهى وأصابهم الزلزال المهيب ودمر بيوتهم ومنازلهم بحيث إنّ الرائى لها يحسبها قد انقلبت رأساً على عقب وبعد الزلزال نزل عليهم مطر من الشهب والأحجار الموسومة ودمّر ما تبقّى من آثارهم، والسبب فى نزول هذا العذاب هو ممارستهم الخطيئة والإصرار على الذنوب حيث أشارت الآية إلى هذا المعنى «بالخاطئة». «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً». إنّ الأقوام السالفة تحرّكوا فى سلوكياتهم مقابل دعوة الأنبياء من موقع العناد والإبتعاد عن الحقّ ولذلك أنزل عليهم اللَّه تعالى العذاب الشديد، والتعبير بقوله «ربّهم» إشارة إلى أنّ اللَّه تعالى أراد تهذيبهم وصلاحهم بإرساله الأنبياء إليهم ولكنّ بعض الناس أصرّوا على معتقداتهم الزائفة ولم يستجيبوا لدعوات الأنبياء وتعاليمهم الإلهية والصادرة من ولى أمرهم ومربّيهم ولذلك استحقوا العذاب والعقاب الشديد. «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۱ وتشير هذه الآية إلى قصة نوح عندما أمطرت السماء بأمر اللَّه تعالى بماء منهمر وتفجّرت الأرض بالعيون الفوّارة وجرى السيل المهيب بحيث لم يستغرق سوى مدّة قليلة حتّى عمّ الماء أرض المعمورة ولم تسلم من الطوفان حتّى الجبال ولذلك أمر اللَّه تعالى نوح ومن معه من المؤمنين بركوب السفينة لينقذوا أنفسهم من الغرق، ولكن الوثنيين والمشركين ومنهم ابن نوح الذين أصرّوا على سلوك خطّ الباطل والشرك والإنحراف غرقوا جميعاً فى هذا الطوفان، هؤلاء كانوا يسخرون يوماً

من النبی نوح علیه السـلام لصـنعه السفینهٔ بعیداً عن البحر بل اتهموه بالجنون أیضاً وعندما حدث الطوفان وأمطرت السماء ذلک المطر العجیب وجـدوا أنفسـهم فی معرض العقـاب الإلـهی وهلکوا جمیعـاً بسوء أفعـالهم. «لِنَجْعَلَها لَکُمْ تَـذْکِرَةً وَ تَعِیَها اُذُنٌ واعِیَـةٌ». فالقرآن الکریم یشیر هنا إلی أن استعراض قصص الأقوام السالفهٔ والأنبیاء الإلهیین لیس بهدف بیان وقائع تاریخیهٔ محضهٔ بل الهدف والغایهٔ من ذلـک هو کسب العبرهٔ واستیحـاء التجـارب من أحـداث التاریـخ الغابر والإسـتفادهٔ منها لممارسات الحاضـر ولا یتـدبّر فی هـذه الامور ویستفید منها إلّامن کانت له اذن واعیهٔ ونفس متذکرهٔ لتحفظ هذه الحوادث والقصص التاریخیهٔ، «وعی» بمعنی حفظ الشیء فی القلب وفی المصـطلح الجدیـد تطلق هـذه الکلمـهٔ «الوعی» علی من یتعامل مع الأحداث بذهنیهٔ متحرکهٔ وفکر جیّد، وعلیه فعبارهٔ «اذنٌ واعیهٔ» تعنی الشخصـیهٔ التی تسـتوعب الحدث وتحفظه لتستفید منه علی مستوی التطبیق والممارسهٔ ولا تترکه فی طیّات النسیان کما هو الحال فی المثال المعروف «یسـمع من هذه الاذن ویخرجه من اذنه الاخری» فالإنسان الواعی لا یتعامل مع مسـتجدات الواقع بهذه الصورهٔ بل یسمع بکلا اذنیه ویحفظ ما سمعه فی قلبه لیکون صاحب الاذن الواعیهٔ، والعین البصیرهٔ، والقلب السلیم، والعقل المتفکّر.

من هو صاحب الاذن الواعیهٔ؟

من هو صاحب الاذن الواعیـهٔ؟ بالرغم من أن الآیـهٔ الشـریفهٔ لها مفهوم واسع وشامل لجمیع الأفراد الـذین یتّسـمون بهذه السـمهٔ «الاذن الواعیهٔ» ولکن طبقاً لما ورد فی الروایات الکثیرهٔ فی تفسیر هذه الآیهٔ فإنّ آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۳۱۲ المصداق الأتم والأکمل لُلاذن الواعیهٔ هو الإمام علی علیه السـلام. وقد ورد فی بعض الروایات أنه عندما نزلت هذه الآیهٔ الشریفهٔ قال النبی الأکرم صلی الله علیه و آله مخاطباً للإمام علی علیه السـلام: «سَأَلْتُ اللَّهَ انْ یَجْعَلَها اذُنَکَ یا عَلِیٌّ». ویقول الإمام علی علیه السـلام: بعـد هذه الواقعهٔ کنت إذا سمعت شـیئاً من النبی أحفظه ولا أنساه. وقد ورد فی روایات اخری أیضاً أن النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله دعا بهذا الدعاء أوّلًا ثمّ نزلت الآیـهٔ الشـریفهٔ. أما الروایهٔ المذکورهٔ آنفاً فقد وردت فی مصادر متعددهٔ لأهل السـنّهٔ وکنموذج علی ذلک نشیر إلی بعضـها: ۱- القرطبی فی الجـامع لأحکام القرآن «۱». ۲- العلّامـهٔ المتقی الهنـدی فی منتخب کنز العمّال «۲». ۳- العلّامهٔ الآلوسـی فی روح المعانی «۳». ۴- العلّامهٔ الواحدی النیشابوری فی أسـباب النزول «۴». ۵- أبو نعیم الاصـفهانی فی حلیهٔ الأولیاء «۵». ۶- الطبری فی تفسیره «۶». ۷- الزمخشری فی الکشّاف «۷». ۸- الثعلبی فی تفسیره «۸». آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۳۱۳ ۹- العلّامهٔ الاندلسی المغربی فی البحر المحیط «۱». ۱۰- الگنجی فی کفایهٔ الطالب «۲». ورغم أن الفخر الرازی یتحرک فی مباحث الإمامـهٔ والولایهٔ من موقع التعصّب الکبیر إلّا أنه نقـل حـدیثاً طریفـاً ذیـل الآیـهٔ الشـریفهٔ، فبعـد أن ذکر دعـاء النبی للإمـام علی علیه السـلام حول نزول هـذه الآیـهٔ قـال نقلًا عن أمیرالمؤمنین: «فَمـا نَسـیتُ بَعْـِدَ ذلِکَ وَما کانَ لِی انْ انْساهُ» «۳». أی أن قلب الإمـام علی أصـبح خزانـهٔ الوحی الإلهی ومرکز الکلمات النبویّهٔ بعد دعاء النبی الأکرم صلی الله علیه و آله له.

التناقض فی کلام الشیخ روزبهان

التناقض فی کلام الشـیخ روزبهان وقـد ذکر الشـیخ روزبهان فی ردّه علی العلّامـهٔ الحلّی عندما وصل إلی هذه الآیهٔ الشـریفهٔ وقال: لمّا نزلت هذه الآیهٔ، قال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله لعلی علیه السلام سألت اللَّه تعالی أن یجعلها اذنک، قال علی: «فَما نَسیتُ بَعْدَ هذَا شَیئاً». وهـذا یـدلُّ علی علمه وحفظه وفضـیلته. وذکر الشـیخ روزبهان بعـد نقله لهـذا الحـدیث الشـریف: إنّ هذه الروایهٔ تدلُّ علی علم الإمام علی وحافظته القویهٔ وفضیلته السامیهٔ. ولکنه بعد أن ذکر الروایهٔ الشریفهٔ وما عقّب علیها من عبارات فی ذیلها فی مدح علی قال: ولکنّ هـذه الامور لا تـدلُّ علی إمامته وخلافته بعـد الرسول مباشـرهٔ «۴». والجواب علی هـذا الکلام واضـح، لأن أحـد دعائم الإمامهٔ وأرکانها هو العلم والمعرفهٔ، وبما أن الإمام هو خلیفهٔ الرسول فیجب أن یسـتوعب الشـریعهٔ وتعلیمات النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله آیات الولایهٔ فی القرآن، ص: ۳۱۴ کاملًا ویکون بالتالی حلّالًا لمشکلات الناس ومن البدیهی أن اللازم للإمامهٔ والخلافهٔ هو أن یکون

الخليفة بمستوىً كبير ومرتبة عالية من العلم والمعرفة ليكون مستحقاً للخلافة وأهلًا لقيادة الامّة إلى ساحل النجاة، ولذلك نقول إنّ عليّ ابن أبى طالب وباعترافكم أعلم وأفضل من جميع من يدعى الخلافة بعد رسول اللَّه، فأىُّ عاقل يبيح لنفسه أن يختار شخصاً آخر للخلافة مع وجود مثل هذه الشخصية العظيمة؟ وعلى هذا الأساس فكيف تدلُّ هذه الآية الشريفة على علم الإمام على عليه السلام وتقواه العظيمة ولا تدلُّ على خلافته وإمامته؟ أليس هذا من التناقض؟

ملاحظة ظريفة من الفخر الرازى

ملاحظة ظريفة من الفخر الرازى الفخر الرازى فى تفسيره لكلمة «اذنٌ واعية» يطرح هذا السؤال: لماذا وردت «اذنٌ واعية» بصورة المفرد والنكرة ولم ترد بصيغة الجمع والمعرفة؟ ثمّ يجيب على هذا السؤال بثلاث امور: ١- «للايذان بأنّ الوعاة فيهم قلّة» فإنّ اللَّه تعالى يريد بهذا التعبير إفهام المخاطبين بأن أصحاب الاذن الواعية قليلون وغير معروفين بين الناس. ٢- «لتوبيخه الناس بقلّة من يعى منهم» فأراد اللَّه تعالى بهذه العبارة توبيخ الناس وذمّهم على قلّة من يأخذ الامور من موقع الوعى والفهم السليم. ٣- «للدّلالة على أنّ الاذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن اللَّه فهى السّواد الأعظم عند اللَّه وأنّ ما سواه لا يلتفت إليهم» «۱» فصاحب الاذن الواعية يعادل جمع غفير من الناس فى واقع الأمر. ومع الإلتفات إلى هذا البيان وكذلك ما ورد فى الروايات من أن المراد بالاذن الواعية هو على بن أبى طالب عليه السلام، تكون النتيجة أنّ مصداق هذه الآية الشريفة هو أميرالمؤمنين عليه السلام وهذا المطلب يؤيد ما ورد فى شأن النزول ومن دعاء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله للإمام على عليه السلام. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۵

على مع الحقّ والحقّ مع على

على مع الحقّ والحقّ مع على ومن أجل توضيح الأبعاد المختلفة من شخصية الإمام على عليه السلام وامتيازات وخصائص خليفة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالحقّ نلفت نظر القارئ الكريم إلى ثلاث روايات وردت فى مصادر أهل السنّة: ١- ينقل الطبرانى عن امّ سلمة زوجة الرسول عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنه قال: عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لا يَفْتَرِقانِ حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ «۱». سؤال: عندما يقول النبى «على مع القرآن والقرآن مع على» فماذا يقصد بذلك؟ هل يقصد أن الإمام على كان يحمل معه القرآن دائماً، أو أن مراده هو أنه عليه السلام حافظ للقرآن، أو مراده شىء آخر؟ الجواب: إنّ مراده من هذه الجملة هو أن تفسير القرآن والعلم بآياته ومعارفه موجود لدى علىّ بن أبى طالب عليه السلام ولا يفترق عنه وكذلك العمل بمضامينه ودستوراته فإنها تتجسد فى سلوكيات أميرالمؤمنين فهو العالم والعامل بالقرآن الكريم، فالعلم فى القرآن والعمل به لا ينفكّان عن الإمام على عليه السلام، وهذا فى الحقيقة امتياز كبير وفضيلة عظيمة لم ترد فى حقّ أى واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله.

دعاء النبى صلى الله عليه و آله فى حقّ على عليه السلام

على عليه السلام أفضل القضاة!

على عليه السلام أفضل القضاة! ٣- جاء شخص إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال: عن الصادق عن أبيه عليهما السلام: إنّ ثوراً قتل حماراً على عهد النبى صلى الله عليه و آله فرفع ذلك إليه وهو فى أناس من أصحابه فيهم أبوبكر وعمر، فقال: يا أبابكر اقضِ بينهم، فقال: يا رسول اللَّه بهيمة قتلت بهيمة ما عليهما شىء. فقال صلى الله عليه و آله: يا عمر اقض بينهم. فقال مثل قول صاحبه. فقال: يا على اقض بينهم. فقال: نعم يا رسول اللَّه، إن كان الثور دخل على الحمار فى مستراحه ضمن أصحاب الثور، وإن كان الحمار دخل على الثور فى مستراحه فلا ضمان عليهم. فرفع النبى صلى الله عليه و آله يده إلى السماء فقال: الحمد للَّه الذى جعل منى من يقضى

بقضاء النبيين «۱». فقال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله تأييداً لقضاء الإمام على عليه السلام فى هذا المورد: «اقْضاكُمْ عَلِيٌّ» «۲». إن قضاء الإمام على عليه السلام فى هذه الواقعة هو المصداق لما ورد فى فقه الشيعة كقاعدة كلية وهى «عندما يكون السبب أقوى من المباشر فالسبب ضامن» وفى القصة المذكورة آنفاً كانت البقرة هى المباشرة للقتل وصاحب البقرة الذى تركها حرة ولم يربطها هو المسبب للقتل، وبما أن السبب أقوى لمكان العقل والشعور وليس للحيوان ذلك العقل والشعور ولهذا فالسبب هو الضامن «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۷ وطبقاً لما تقدّم فصاحب «الاذن الواعية» هو الإمام على عليه السلام الذى لا يفترق عن القرآن الكريم وأعلم المسلمين بأمر القضاء وأفضل الصحابة وأعرفهم بكتاب اللَّه، ومع الأخذ بنظر الإعتبار ما تقدّم فإن اللَّه تعالى إذا أراد أن ينصب شخصاً للخلافة والإمامة بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فهل يعقل أن ينصب شخصاً آخر لهذا المقام غير الإمام على عليه السلام؟ ولو قلنا بأن هذا المقام يتم باختيار الناس فهل يقرر العقلاء وأصحاب الفكر مع وجود الإمام على عليه السلام بكلٍّ هذه الفضائل والصفات السامية، انتخاب غيره لهذه المهمة؟ نرى أن من اللازم أن نتوجه مرّة اخرى إلى اللَّه تعالى ونرفع أيدينا بالشكر والثناء من صميم القلب على هذه النعمة العظيمة وهى أن وفقنا لاتباع مثل هذا الإنسان الكامل والعظيم وجعلنا من شيعة الإمام على عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ونشكر كذلك آباءنا وامهاتنا الذين عرّفونا بالإمام على عليه السلام وعملوا على تربيتنا بحبّ هذا الإنسان العظيم وولايته ونشكر أيضاً جميع المعلمين والأساتذة والعلماء على طول التاريخ على ما تحمّلوا من أتعاب ومشقّات لكى يرفعوا لواء الولاية فى هذا البلد الإسلامى العريق «ايران» ونطلب من اللَّه تعالى أيضاً: إلهنا، أرزقنا العشق والمودّة الدائمة لهذا الإمام العزيز واحيى قلوبنا وأرواحنا بهذه الولاية والمحبّة واجعل نسلنا وذريتنا إلى يوم القيامة من شيعة الإمام على عليه السلام الحقيقيين. ربّنا، اغثنا فى اللحظات الحرجة وساعات الإحتضار ومواقف المحشر والقيامة بالإمام على وأهل بيته الطاهرين. إلهنا وفّقنا إلى أن نكون فى أعمالنا وأقوالنا من أتباع أهل البيت عليهم السلام بحيث ننال بذلك رضاك والمنزلة عندك. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۱۹

آية صالح المؤمنين

اشارة

آية صالح المؤمنين ۱۲ [سورة التحريم (۶۶): آية ۴] وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً (۶۶) «سورة التحريم/ الآية ۴»

أبعاد البحث

أبعاد البحث الآية الشريفة المذكورة آنفاً هى الآية المعروفة بآية «صالح المؤمنين» وهى من جملة الآيات التى تدلُّ باعتراف الشيعة وأهل السنّة على فضيلة اخرى من فضائل الإمام على عليه السلام الكثيرة، والحديث عن دلالة هذه الآية على فضيلة أميرالمؤمنين عليه السلام وارتباطها بمسألة الولاية والإمامة سيأتى فى الأبحاث اللاحقة بالتفصيل.

شأن النزول

شأن النزول هذه الآية هى الآية الرابعة من آيات سورة التحريم، وقد وردت روايات عديدة فى أسباب نزول هذه السورة فى كتب الحديث والتفسير والتاريخ عن الشيعة والسنّة انتخبنا أشهر تلك الروايات وأنسبها وهى: كان رسول اللَّه يذهب أحياناً إلى زوجته (زينب بنت جحش) فتبقيه فى بيتها حتّى «تأتى إليه بعسل كانت قد هيّأته له صلى الله عليه و آله ولكن لمّا سمعت عائشة بذلك شقّ

عليها الأمر، ولـذا قالت: إنّها قـد اتّفقت مع «حفصة» إحدى «أزواج الرسول» على أن يسألا الرسول بمجرّد أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۰ يقترب من أى منهما بأنّه هل تناول صمغ «المغافير» «۱» وفعلًا سألت حفصة الرسول صلى الله عليه و آله هذا السؤال يوماً وردّ الرسول بـأنّه لم يتناول صـمغ «المغافير» ولكنه تناول عسـلًا عنـد زينب بنت جحش، ولهـذا أقسم بأنّه سوف لن يتناول ذلك العسل مرّة اخرى، (خوفاً من أن تكون زنابير العسل هـذا قـد تغذّت على شـجر صـمغ «المغافير») وحذّرها أن تنقل ذلك إلى أحد (لكى لا يشـيع بين النـاس أنّ الرسول قـد حرّم على نفسه طعامـاً حلالًا فيقتـدون بالرسول ويحرّمونه أو ما يشـبهه على أنفسـهم، أو خوفاً من أن تسـمع زينب وينكسـر قلبها وتتألّم لـذلك). لكنها أفشت السـرّ فتبيّن أخيراً أنّ القصة كانت مدروسة ومعدّة فتألّم الرسول صـلى الله عليه و آله لذلك كثيراً فنزلت عليه الآيات السابقة لتوضّح الأمر وتنهى من أن يتكرر ذلك مرة اخرى فى بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «۲». وجاء فى بعض الروايات أنّ الرسول ابتعد عن زوجاته لمدّة شهر بعد هذا الحادث «۳»، انتشرت على أثرها شائعة أنّ الرسول عازم على طلاق زوجاته، الأمر الذى أدّى إلى كثرة المخاوف بينهنّ «۴» وندمن بعدها على فعلتهن.

الشرح والتفسير: أصحاب وأنصار النبى صلى الله عليه و آله

الشرح والتفسير: أصحاب وأنصار النبى صلى الله عليه و آله نرى من اللازم فى تفسير الآية مورد البحث إلقاء نظرة إجمالية على الآيات السابقـة لهـا لتوضيـح المراد منها. بلا شك أن شخصـية كبيرة مثل شخصـية النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله لا تتعلق بـذاته وشخصـه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۱ كواحد من الناس بل تتعلق بجميع أفراد المجتمع الإسلامى والمجتمع البشرى أيضاً، وعليه فلو واجه مؤامرة فى بيته ومن أقرب الناس إليه فإنّ هـذه المؤامرة رغم كونها خاصّـة ومحـدودة بـدائرة صـغيرة إلّاأن ذلك لا يعنى أن نمرُّ عليها مرور الكرام ومن موقع عـدم الإهتمام فإنّ حيثيـة النبوّة وهـذا المقام العظيم لا ينبغى أن يكون «والعياذ باللَّه» العوبـة بيد هذا وذاك، فلو فُرض أن واجه النبى مثل هذه الحال فلابدّ أن يتعامل مع هذا الموقف بجديّة وقاطعيّة لئلّا يسـرى الأمر إلى موارد اخرى. الآيات الاولى من سورة التحريم فى الحقيقـة تتضـمن أمراً قاطعاً من اللَّه تعالى لنبيّه الكريم أن يتّخـذ موقفاً صارماً من هـذه الحادثـة، ومن أجل حفظ كرامـة النبى وحيثيته تقول الآيـة: «يـا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مـا أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضاتَ أَزْواجِکَ». ومعلوم أن هـذا التحريم لم يكن تحريماً شـرعياً بل كما سـيأتى توضـيحه فى الآيات اللاحقة أنه كان بمثابة قَسَم من النبى الكريم صـلى الله عليه و آله، ونعلم أن القسم على ترك بعض المباحات لا يعدُّ من الذنوب، وعليه فإنّ جملة «لِمَ تحرّم» لم ترد بعنوان عتاب وتوبيخ بل هو نوع من الشفقة واللطف، كما يقال لمن يتعب نفسه كثيراً فى خدمـة الآخرين ومن دون أن يعود عليه إلّا بالنفع القليل: لماذا تتعب نفسك كثيراً وتعمل كلّ هذه الأعمـال ولا تنتفع منها إلّاالقليل؟ «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، ثمّ إنّ اللَّه تعالى يختم الآيـة الشـريفة بالغفران والرحمـة للزوجات اللواتى سـبّبن وقوع هذه الحادثة فيما لو صدقن فى التوبة إلى اللَّه تعالى، أو هى إشارة إلى أنّ الأفضل للنبى الكريم صـلى الله عليه و آله أن لا يقسـم مثل هذا القسم بحيث يحتمل أن يتسبب فى إقدام بعض زوجاته على مستوى الجرأة والجسارة. وتضيف الآية التالية «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَکُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِکُمْ» وبهـذا جعل اللَّه تعالى كفّارة القسم ليتحرر الإنسان من قَسَـمه ولا يتورط فى الذنب فى الموارد التى يكون ترك العمل مرجوحاً «من قبيل الآيـة مورد البحث» فى هـذه الصورة يجوز حنث اليمين ولكن لأجل حفظ حرمة اليمين فالأفضل دفع كفّارة. «وَ اللَّهُ مَوْلاکُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَکِيمُ» وهو الذى بيّن لكم طريق النجاة والتخلّص من آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۲ هذه الأيمان وفتح لكم أبواب حلّ المشـكل بحكمته، ويستفاد من الروايات الشريفة أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بعد نزول هذه الآية أعتق رقبة وتحرر من القسم الذى حرّم بواسـطته ما كان حلالًا له. وتتحرّك الآية التى بعدها على مسـتوى شـرح وبيان الواقعة بتفصيل أكثر وتقول: «وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ». فهنـا تتحـدّث الآيـة الشـريفة عن حديث النبى صـلى الله عليه و آله لبعض أزواجه فى سرّ معيّن ولكنّ هذه الزوجة لم تحفظ السرّ بل أفشته وأعلنت عنه، ولكن ماذا كان هذا السـرّ ومن هى الزوجة التى تحدّث النبى معها وأطلعها على هذا السرّ فسوف يأتى فى بحث شأن النزول لاحقاً. ويتّضح من مجموع

هذه الآيات القرآنية أنّ بعض نساء النبى صلى الله عليه و آله مضافاً إلى توجيه الإساءة إليه بكلامهنّ فإنّهنّ لم يحفظنّ السرّ معه والذى يعتبر أهم العناصر فى العلاقات الزوجية بأن تكون الزوجة وفيّة لزوجها وتحفظ أسراره، ولكننا نرى خلاف ذلك فى بيت النبوّة، ومع ذلك فنلاحظ أن سلوك النبى الأكرم صلى الله عليه و آله مع كلّ هذه التعقيدات والمواقف السلبية من بعض زوجاته إلّاأنه لم يكن مستعداً للكشف عن جميع السرّ الذى أفشته زوجته ويوّبخها على ذلك بل اكتفى بالإشارة إلى بعضه فقط «عرّف بعضه وأعرض عن بعض» ولذا ورد فى الحديث الشريف عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: ما اسْتَقْصى كَريمٌ قَطُّ لَانَّ اللَّهَ يَقُولُ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَاعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ «۱». ثمّ تتوجه الآية بالخطاب إلى الزوجتين مورد البحث وتقول: «إنْ تَتُوبا إلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» فلو انتهيتما من إساءة النبى عليه السلام وتبتما إلى اللَّه فإنّ ذلك يعود عليكما بالنفع لأنّ قلوبكما قد انحرفت بهذا العمل عن خطّ الحقّ وتلوثت بالذنب. والمراد بهاتين الزوجتين كما صرّح به المفسّرين من الشيعة والسنّة: «حفصة» بنت عمر آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۳ بن الخطّاب و «عائشة» بنت أبى بكر «۱»، وبما أن مثل هذه الحالات السلبية تعتبر ظاهرة خطيرة فى بيت النبوّة فيما لو تكررت فى المستقبل فإنّ اللَّه تعالى يحذّرهما فى هذه الآية من الإستمرار فى سلوك هذا الطريق الشائن ويقول: «وَ إنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْريلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ». وهذا التعبير يشير إلى هذه الحقيقة وهى أن هذه الواقعة قد أضرّت بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله كثيراً وآلمت قلبه الطاهر إلى درجة أن اللَّه تعالى يهبُّ للدفاع عنه، ورغم أن القدرة الإلهية كافية فى عملية الدفاع عن النبى إلّاأن القرآن الكريم أضاف إليها حماية جبرئيل والمؤمنين الصالحين والملائكة فى دفاعهم عن رسول اللَّه.

من هو صالح المؤمنين؟

من هو صالح المؤمنين؟ إنّ ما يلفت النظر فى الآية المذكورة ويقع فى البحث هو أنه: ما المراد من عبارة «صالح المؤمنين»؟ هل يقصد بها شخص معيّن، أو أن هذا التعبير شامل لجميع المؤمنين الصالحين؟ بلاشك أن «صالح المؤمنين» له معنى شامل وعام بحسب الظاهر حيث يستوعب جميع المؤمنين الصالحين والمتقين رغم أن كلمة «صالح» قد وردت فى هذه الجملة بصيغة المفرد لا الجمع، ولكن بما أنها استعملت بمعنى الجنس فيستفاد منها المفهوم العام، ولكن لاشكّ أن مفهوم «صالح المؤمنين» له مصداق أتمّ وأكمل، ويستفاد من خلال الروايات المتعددة أن هذا المصداق الأكمل والفرد الأتم هو «أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام» وهذا المعنى ذكره الكثير من علماء أهل السنّة فى كتبهم ومن ذلك: ۱- العلّامة الثعلبى «۲». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۴ ۲- العلّامة الگنجى فى كفاية الطالب «۱». ۳- أبوحيان الأندلسى «۲». ۴- السبط ابن الجوزى «۳». ۵- السيوطى فى الدرّ المنثور «۴». ۶- الآلوسى فى روح المعانى «۵». ۷- الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل «۶». ۸- العلّامة البرسويى فى روح البيان «۷». ۹- ابن حجر فى الصواعق «۸». ۱۰- علاء الدين المتقى فى كنز العمّال «۹». وقد ذكر الحاكم الحسكانى الحنفى فى ذيل هذه الآية الشريفة «ثمانية عشر رواية» من طرق مختلفة تؤكد على أن المراد بكلمة «صالح المؤمنين» هو على بن أبى طالب، ونكتفى هنا بذكر ثلاث روايات منها: ۱- تقول اسماء بنت عميس إنّنى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: صالِحُ الْمُؤْمِنينَ عَلِيُّ بْنُ أَبى طالِبٍ «۱۰». ۲- وينقل ابن عبّاس عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنه قال عن أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۵ هُوَ صالِحُ الْمُؤْمِنينَ «۱». ۳- ويقول عمّار ابن ياسر إننى سمعت على بن أبى طالب عليه السلام يقول: دعانى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقال: أَلا ابَشِّرُكَ؟ قُلْتُ: بَلى يا رَسُولَ اللَّهِ وَما زِلْتَ مُبَشِّراً بِالْخَيْرِ! قالَ: قَدْ انْزَلَ اللَّهُ فيكَ قُرْآناً. قُلْتُ: وَما هُوَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: قُرِنْتَ بِجَبْرَئيلِ ثُمَّ قَرَأَ: وَجِبريلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنينَ ... «۲» وخلاصة الكلام أن الروايات الواردة فى هذا المورد كثيرة وقد ذكر المفسّر المعروف «البحرانى» فى تفسيره «البرهان» بعد أن ذكر رواية فى هذا المجال عن محمّد بن عبّاس أنه نقل ۵۲ حديثاً وروايةً حول هذا الموضوع من طرق الشيعة وأهل السنّة ثمّ نقل بعض هذه الأحاديث. والنتيجة هى أن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يعتبر أفضل ناصر ومعين لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعد اللَّه تعالى وجبرئيل الأمين، وعليه فمن يكون مؤهلًا لمقام الخلافة والإمامة بعد رسول اللَّه صلى الله

علیه و آله غیره؟ ألا تعتبر هـذه الروایات دلیلًا علی أن علی بن أبی طالب علیه السـلام أفضل أفراد الامّـة وأعلاهم شأناً بعـد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟ وإذا کان هکـذا وأراد اللَّه تعالی أن ینصب شـخصاً لمقام الخلافة والإمامة بعد النبی الأکرم فهل تسـمح الحکمة الإلهیـة بأن یختار اللَّه تعالی شـخصاً آخر غیره لهـذا المقام؟ وإذا أراد الناس والعقلاء أن یختاروا لهم شـخصاً لحیازة هـذا المقام المهم فهل یسمح العقل السلیم أن یختاروا شخصاً غیر من کان أفضل ناصر ومعین لنبی الإسلام بعد اللَّه وجبرئیل؟ أجل، فإنّ الإمام علی علیه السـلام کان یعیش النصـرة الدائمـة للنبی الأکرم صـلی الله علیه و آله فی جمیع المواقف والأحداث والمیادین وأنه الأولی بحیازة مقام الخلافة بعد النبی الأکرم صلی الله علیه و آله.

توصیة الآیة

توصیة الآیة آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۲۶ نستوحی من عبارة «صالح المؤمنین» أن الآیة الشریفة توصی الجمیع بالإیمان والصلاح والخیر، وتوصـی جمیع أتبـاع أمیرالمؤمنین أن لاـ یتوقفوا علی عتبـة «قبول الإسـلام» بـل یتحرکوا من موقع تعمیق الإیمـان باللَّه وبالیوم الآـخر وأن یمتـد هـذا الإیمان إلی أعماق وجـدانهم وقلوبهم ویتجسـد علی مسـتوی الجوارح وممارسـة الأعمال الصالحـة لیکونوا من صالح المؤمنین. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۲۷

آیة الإنذار والهدایة

اشارة

آیة الإنذار والهدایة ۱۳ [سورة الرعد (۱۳): آیة ۷] یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْـجِدٍ وَ کُلُوا وَ اشْـرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ (۳۱) «سورة الرعد/ الآیة ۷»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هـذه الآیـة الشـریفة أیضاً من الآیات المتعلّقة بولایة وإمامة أمیرالمؤمنین علیه السـلام حیث بحث فیها العلماء والمفسّـِرون أبحاثاً متنوعـة، ویسـتفاد من الروایات أنها تدلُّ مضافاً إلی ولایة أمیرالمؤمنین علیه السـلام ولایة وإمامة جمیع الأئمّة المعصومین علیهم السلام کما سیأتی تفصیل ذلک فی الأبحاث القادمة.

الشرح والتفسیر: ذرائع مختلفة

الشـرح والتفسـیر: ذرائع مختلفـة «وَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ» والظاهر من هذه الآیة الشـریفة أن الکفّار طلبوا هذه المرّة أمراً منطقیـاً لأـنّ کـلّ نبی لابـدّ له لإثبـات حقانیّته وأنه مرسل من اللَّه تعالی من معجزة یثبت فیها هـذا الإدعاء، وهنا طلب الکفّار معجزة من نبی الإسلام صلی الله علیه و آله، ویجیبهم اللَّه تعالی علی طلبهم المعقول هذا بقوله: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ». آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۲۸

تناسب صدر الآیة وذیلها

تناسب صدر الآیة وذیلها سؤال: هل هناک تناسب وانسجام بین صدر الآیة الشریفة وذیلها؟ وهل أن الجواب علی طلب المشرکین من النبی بأن یأتیهم بآیة ومعجزة هو «إنّما أنت منذر ...»؟ الجواب: لأجل العثور علی الترابط بین صدر الآیة وذیلها لابدّ من مراجعة الآیات

الاخرى التى تتحدّث عن طلب الكفّار للمعجزة من النبى الكريم صلى الله عليه و آله. ويحدّثنا القرآن الكريم فى الآيات ۹۰- ۹۳ من سورة الإسراء على لسان المشركين: «وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ» هنا يقول الكفّار بإننا لن نؤمن لما تقول حتّى تأتينا بمعجزة، ثمّ طلبوا منه سبع معاجز كما نريد ونشتهى، أى أن المعجزات التى تأتى بها من دون أن تكون مطابقة لميلنا ورغبتنا فلا فائدة فيها، بل لابدّ أن تكون المعجزة حسب رغبتنا وميلنا «۱». ويستفاد من ظاهر الآية أنهم ذكروا سبع معاجز فى دائرة طلبهم وتوقعهم من النبى، والظاهر أن هذا الطلب صدر من أشخاص متعددين كلُّ واحد منهم طلب معجزة معيّنة: ۱- «حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» فأوّل معجزة طلبوها من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو أن يفجر لهم فى أرض الحجاز وصحراءها المحرقة عيناً تفيض بالماء الزلال وتفور بالمياة العذبة ليشرب منها الناس ودوابهم ويسقون مزارعهم. ۲- «أَوْ تَكُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً» وهذه المعجزة أيضاً لها بعد فى إحياء الأراضى الميّتة وعمران المنطقة من خلال إيجاد بساتين مليئة بأشجار العنب والنخيل وتجرى من خلالها المياه. ۳- «أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً» وهنا نرى طلباً غير معقول وهو أنهم أرادوا من النبى أن يدعو اللَّه تعالى لإنزال العذاب عليهم على شكل مطر من الأحجار السماوية لهلاكهم، وهذا الطلب إذا تحقّق فإنهم سيؤمنون ويذعنون لدعوة النبى. ۴- «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» وهكذا نرى إنّ الإنسان عندما يصل به العناد واللجاجة إلى أعلى المراتب لا يلتفت إلى ما يقول، فهؤلاء لم يقولوا: إذهب بنا إلى اللَّه آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۲۹ والملائكة بل طلبوا من النبى صلى الله عليه و آله أن يأتى إليهم باللَّه والملائكة ويحضرهم عندهم. ۵- «أَوْ يَكُونَ لَکَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» والطلب الخامس لإثبات النبوّة أنهم أرادوا أن يبنى النبى لنفسه قصراً مجللًا بالذهب والزخارف والنقوش، لأن سكّان مكّة كانوا فقراء غالباً فلو أنک كنت تملك مثل هذا القصر العظيم والجذّاب فهذا يدلُّ على أنک مرسل من اللَّه تعالى. ۶- «أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ» والذريعة السادسة هى أنهم طلبوا من النبى لإثبات صدق دعواه أن يطير فى السماء أمام أعينهم ليذعنوا للحقّ ويؤمنوا بدعوته. ۷- «وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ» وتمادى بعض الكفّار فى عنادهم ولجاجتهم وطلبوا من النبى مضافاً إلى طيرانه فى السماء أمام أعينهم عليه أن يأتيهم بكتاب من اللَّه إليهم ليقرؤوه. وكما ترون أن هذه المعاجز السبعة المذكورة فى الآية الشريفة تتعلّق بعضها بعمران وإحياء الأرض، وبعض آخر تتضمن الهلاک والموت لهؤلاء المعاندين والمغرورين، والقسم الثالث يتضمن أعمال غير معقولة وغير منطقية، والقسم الرابع لا يتعدّى أن يكون مجرد ذريعة واهية وليس طلباً حقيقياً. لو كان الأنبياء يتحرّكون فى تعاملهم مع أقوامهم من موقع القبول لكلِّ مقترحاتهم والإتيان بالمعجزات كما يرغبون فإنّ بعض الجهلاء والمعاندين والمتذرّعين سيطلبون كلّ يوم معجزة من نبيّهم وسيكون الدين الإلهى ملعبة بأيديهم، ولهذا فإن اللَّه تعالى كان يعطى لكلِّ نبى من الأنبياء معجزة أو معجزات عديدة لبيان حقّانيته وإثبات رسالته ولا يهتم لمطالبات مثل هؤلاء الأشخاص اللجوجين. ومع الإلتفات إلى هذا المقدمة المطوّلة نعود إلى الآية الشريفة حيث تقول الآية «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ». وفى الجواب على هذا الطلب المعقول حسب الظاهر يمكن القول: إنّ نبى الإسلام قد أتى بالمعجزة من اللَّه تعالى بحيث عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثلها كما تصرّح الآية ۸۸ من هذه السورة: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۰ فعندما جاء النبى صلى الله عليه و آله لهم بمعجزة من اللَّه تعالى لن يتمكنوا من الإتيان بمثلها مضافاً إلى معجزات اخرى، فلا معنى لطلبهم معجزة اخرى من النبى الكريم، ولذلک أمر اللَّه تعالى أن يقول فى جوابهم: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» فمسؤوليتک هى الإنذار والتحذير وليست الإتيان بالآية والمعجزة فإننا نحن الذين نقرر شكل المعجزة وكيفيتها، ولكلِّ قومٍ شخص يهديهم إلى الحقّ. وعلى هذا الأساس يتّضح التناسب والإنسجام بين صدر الآية وذيلها.

من هو المنذر والهادى؟

اشارة

من هو المنذر والهادى؟ ولغرض توضيح معنى هاتين المفردتين يمكننا البحث فى هذا الموضوع من طريقين:

الأوّل: تفسير الآية بدون ملاحظة الروايات

الأوّل: تفسير الآية بدون ملاحظة الروايات فهل تعنى هذه الآية الشريفة أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو «المنذر» وهو «الهادى»؟ أو أنه منذر فقط والهادى شخص آخر؟ وهنا توجد ثلاث نظريات فى تفسير هاتين الكلمتين: ۱- يرى البعض أن هاتين الكلمتين تعودان كلاهما إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، فهو المنذر وهو الهادى فى نفس الوقت. ولكن الإنصاف إن هذا القول مجانب للصواب ولا ينسجم مع ظاهر الآية ولا يتناسب مع أجواء الفصاحة والبلاغة فى اللغة العربية، لأنّ هاتين الكلمتين لو كانتا تعودان على شخص واحد فمقتضى الفصاحة والبلاغة أن تقول الآية: «أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» لا أن تكون كلمة «هادٍ» فى جملة مستقلة ومنفصلة عن الجملة الاولى، وعليه فإنّ الظاهر من الآية أن تكون كلمة «هادٍ» متعلّقة بشخص آخر غير نبى الإسلام صلى الله عليه و آله حيث ينبغى استكشافه من خلال القرائن والشواهد الاخرى. ۲- وذهب آخرون إلى أن «المنذر» يعود إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بينما «الهادى» يعود إلى اللَّه تعالى، فالنبى هو المنذر للناس، واللَّه تعالى هو الهادى لكلِّ قوم إلى الصراط المستقيم وطريق الحقّ. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۱ ولكن يمكن أن يقال فى مقام الجواب أن هذه النظرية أيضاً لا تنسجم مع ظاهر الآية الشريفة لأن كلمة «هادٍ» وردت فى هذه الآية «نكرة» فى حين أن اللَّه تعالى هو أعرف المعارف وأجلى ما يكون عن الخفاء والتنكير، مضافاً إلى أن ظاهر الآية يدلُّ على وجود «هادٍ» لكلِّ قوم من الأقوام السالفة لا أن الهادى لجميع الأقوام هو شخص واحد، وعليه فإنّ هذا التفسير لا يتناسب مع أجواء الآية الشريفة. ۳- هو أن يقال بأن الهادى شخص آخر غير اللَّه تعالى وغير نبيّه الكريم، فهل يمكن أن يكون المقصود بهذه الكلمة هم العلماء من كلِّ قوم وطائفة؟ كلا، لا يمكن أن يكون المقصود هو العالم من كلِّ قوم، لأن كلمة «هادٍ» وردت نكرة كما تقدّم، والنكرة تدلُّ على الوحدة، أى أن لكلِّ قوم وطائفة هادٍ واحد من الناس، فمن هو هذا الشخص الهادى للُامّة الإسلامية؟ ومع الأخذ بنظر الإعتبار مجموع ما تقدّم من أبحاث فى تفسير هذه الآية يمكن القول فى شرح معناها والمراد منها كما يلى: «أيُّها النبى: أنت المنذر والمؤسس للرسالة الإسلامية والدين الإسلامى ولكلِّ دين هناك شخص بمثابة الحافظ والحارس لهذا الدين والذى يأخذ بعهدته هداية الناس إلى اللَّه تعالى وسوقهم إلى الحقّ». ومن جهة اخرى فإنّ اتحاد السياق يقتضى أن يكون تعيين هذا الهادى ونصبه من قبل اللَّه تعالى، كما أن المنذر وهو النبى الأكرم صلى الله عليه و آله معيّن ومنصوب من اللَّه تعالى. وعلى هذا الأساس فإنّ الهادى لا يقصد به اللَّه تعالى أو النبى أو علماء الامّة بل يجب أن يكون شخصاً آخر معيّناً ومنصوباً من قبل اللَّه تعالى. ومن جهة ثالثة فإنّ الشخص الوحيد الذى ورد فى حقّه نصٌّ صريح من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على ولايته وإمامته هو الإمام على عليه السلام ولا يوجد نصٌّ فى هذا الشأن لغيره من الصحابة، وحتّى أن علماء أهل السنّة لم يدّعوا مثل هذا الإدعاء، وعليه فلو قلنا أنّ «المنذر» هو رسول اللَّه و «الهادى والإمام» هو الإمام على عليه السلام المنصوب لهذا المقام من قبل اللَّه تعالى وبواسطة نبيّه الكريم فإنّ هذا المعنى يتناسب مع أجواء الآية الشريفة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۲

الطريق الثانى: تفسير الآية بملاحظة الروايات الشريفة

الطريق الثانى: تفسير الآية بملاحظة الروايات الشريفة وهناك روايات عديدة ناظرة إلى بيان المراد من هذه الآية الشريفة حيث نشير هنا إلى خمسة نماذج منها، ثلاثة منها من مصادر وكتب أهل السنّة ورواية واحدة من مصادر الشيعة، أما الرواية الخامسة فمذكورة فى كتب الفريقين. ۱- يقول ابن عبّاس الراوى والمفسّر المعروف: لَمّا نَزَلَتْ «أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَقالَ: أَنَا الْمُنْذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ عَلَى مِنْكَبِ عَلِيٍّ، فَقالَ: أَنْتَ الْهادِى يا عَلِىّ، بِكَ يَهْتَدِى الْمُهْتَدُونَ

مِنْ بَعْدِی «۱». هذه الروایة الشریفة مذکورة فی مصادر أهل السنّة وهی صریحة علی أن المقصود ب «الهادی» هو علی ابن أبی طالب علیه السلام. ۲- وجاء فی کتاب «شواهد التنزیل» «۲» و «الدرّ المنثور» عن أبی برزة الأسلمی أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله یَقُولُ: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» وَضَعَ یَدَهُ عَلی صَدْرِ نَفْسِهِ، ثُمَّ وَضَعَها عَلی صَدْرِ عَلِیٍّ وَیَقُولُ «لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» «۳». وهذه الروایة أیضاً مذکورة فی کتابین من الکتب المعتبرة لدی أهل السنّة، وقد رواها شخص آخر غیر ابن عبّاس ونجد أنها تصرّح بأن «الهادی» هو علی بن أبی طالب علیه السلام. ۳- وجاء فی کتاب «مستدرک الصحیحین» المعروف لدی علماء أهل السنّة، روایة فی تفسیر الآیة المذکورة عن الإمام علی علیه السلام نفسه: عَنْ عَلِیٍّ: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» قالَ عَلِیٌّ: رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله الْمُنْذِر وَأَنَا الْهادِی «۴». وطبقاً لهذه الروایة المذکورة فی کتاب آخر من کتب ومصادر أهل السنّة المعروفة أن الإمام علی علیه السلام هو الهادی. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۳۳ سؤال: من المعلوم فی علم الدرایة والحدیث أن الراوی لو روی حدیثاً یتضمن مدحه والثناء علیه فإنّ هذه الروایة لا تکون مقبولة، فکیف یمکن الإستدلال بالروایة المذکورة آنفاً علی المطلوب والحال أن الراوی هو الإمام علی علیه السلام نفسه؟ الجواب: إنّ هذا الکلام صحیح بالنسبة إلی غیر المعصومین، ولکن بالنسبة إلی المعصومین الذین لا یتصور فی حقّهم الخطأ والذنب فغیر صادق، والإمام علی علیه السلام باعتقاد جمیع الشیعة معصوم، وکذلک یری أهل السنّة أن الأحادیث والروایات الواردة عن جمیع الصحابة وأحدهما الإمام علی علیه السلام، حجّة ودلیلًا شرعیاً، وعلیه فالإشکال المذکور مردود وغیر وارد لدی کلا الفریقین. ۴- ما ورد فی مصادر الفریقین العامّة والخاصّة من حدیث الإسراء حیث رواه أهل السنّة عن ابن عبّاس «۱» ورواه علماء الشیعة عن ابن مسعود، ویروی هذان عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هذه الروایة، حیث قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: لَمّا اسْرِیَ بی الَی السَّماءِ لَمْ یَکُنْ بَیْنِی و بَیْنَ رَبّی مَلَکٌ مُقَرَّبٌ وَ لا نَبِیٌّ مُرْسَلٌ وَ لا حاجَةٌ سَأَلْتُ إِلّا أَعْطانِی خَیْراً مِنْها فَوَقَعَ فِی مَسامِعی «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ» فَقَلْتُ: إِلهی أَنَا الْمُنْذِرُ، فَمَنِ الْهادِی؟ فَقالَ: یا مُحَمَّد ذاکَ عَلِیُّ بْنُ أَبی طالِبٍ غایَةُ الْمُهْتَدِینِ، إمامُ الْمُتَّقِینَ، قائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِینَ «۲»؛ وَمَن یَهْدِی مِنْ امَّتِکَ بِرَحْمَتِی إِلَی الْجَنَّةِ «۳». هذه الروایة الجذّابة والشیقة تبیّن بجلاء تطبیق الآیة محل البحث علی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله والإمام علی علیه السلام فی السماء. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۳۴

توصیات آیة الولایة والإنذار

اشارة

توصیات آیة الولایة والإنذار هذه الآیة الشریفة لا تقتصر علی بیان بعض البحوث الإعتقادیة والتاریخیة، بل تتضمن توصیتان لجمیع المسلمین والشیعة فی عصرنا الحاضر وتفتح لهم أبواب الحیاة الکریمة والعقیدة السلیمة فی هذا الزمان وجمیع الأزمنة وبإمکانها فیما لو جسّدها الإنسان علی مستوی الممارسة والعمل أن تحلّ کثیراً من مشکلاته فی حرکة الحیاة:

۱- التعصّب هو الحجاب والمانع!

۱- التعصّب هو الحجاب والمانع! یستفاد من المقطع الأوّل لهذه الآیة الشریفة أن الإنسان لا یمکنه أن یصل بأدوات التعصّب واللجاجة إلی أی مرتبة من مراتب المعرفة والکمال الإنسانی، فلو أراد الإنسان أن یدرک الحقّ والحقیقة فینبغی علیه أن یتحرّک فی خطّ الحقّ من موقع التسلیم والإذعان لا ـ من موقع التفسیر بالرأی وتحکیم الآراء المسبقة وإتّباع الأهواء النفسیة، ولهذا نری أن الآیات القرآنیة والروایات الشریفة قد نهت بشدّة عن «الجدال بالباطل» وحذّرت من عاقبة إتّباع هذا الطریق المنحرف للوصول إلی الحقّ، حیث یقول القرآن الکریم فی الآیة الثالثة من سورة الحجّ: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّبِعُ کُلَّ شَیْطانٍ مَرِیدٍ». فالمجادلة بالباطل فی هذه الآیة الشریفة قد جعلت ردیفاً لإتباع الشیطان المرید، وهذا یعنی أن الإنسان إذا صار فی خطّ الجدل والمراء وتعامل فی حواره مع

الآخرين بلغة التعصّب والإبتعاد عن المنطق فإنه يكون قرين «الشيطان المريد». ونقرأ فى الروايات الإسلامية ما يؤكد هذا المضمون من أن أحـد الحجب والموانع المهمـة للإيمان والوصول إلى مرتبـة اليقين هو الجـدال بالباطل والمناقشـة مع الطرف المخالف بلغة الإتهام وعـدم التمسك بالبرهان المنطقى والعقلانى، فقد ورد عن النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله قوله: «ما ضَلَّ قَوْمٌ إلّا أَوْثَقُوا الْجِدالَ» «١». آيات الولايـة فى القرآن، ص: ٣٣٥ فطبقاً لهـذه الرواية الشـريفة أن العامل الوحيد للضـلالة والإبتعاد عن الحقّ هو البحث غير المنطقى والجـدال من موقع الخصومة والتعصّب المذهبى. سؤال: لماذا كانت جميع أسـباب وعوامل الضـلالة والزيغ تمتد بجذورها إلى الجدال بالباطل؟ الجواب: لأن الإنسان لو وجـد فى نفسه إذعاناً وتسـليماً للحقّ فإنّ الدعاة إلى الحقّ كثيرون فى هذه الدنيا وبإمكان الإنسان أن يجد طريق الهداية والإيمان الصـحيح بيسـر وسهولة، وقد ورد أن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام فى جوابه لهارون الرشيد عندما طلب منه الموعظـة والنصـيحة قال: «ما مِنْ شَىءٍ تَراهُ عَيْناکَ إلّاوَفِيهِ مَوْعِظَةٌ» «١». أى أن جميع مـا فى الأـرض من كائنـات ومخلوقات وظواهر طبيعيـة هى فى الحقيقة موعظة لمن فتح قلبه على اللّه والحقّ، فالسـماء بكلٍّ ما تحوى مجرّات عظيمة وشـموس منيرة ما هى إلّا موعظة، ظاهرة الزمان والمكان موعظة، الحوادث المفرحة والمرّة موعظة، أجل فكلّ هذه الامور تكون موعظة بشـرط أن يتمتع الإنسان باذنٌ واعية وعينٌ بصيرة وفؤاد حىّ. وتأسيساً على هذا فإنّ الحقّ لا يخفى على طلّاب الحقّ وعشّاق الحقيقة، ومن وقع فى وادى الضلالة والإنحراف فإنه يعانى من مشـكلة فى واقعه النفسانى قبل كلّ شـىء وبالتالى يعيش مرض الجـدال بالباطل. وقد أتّضح ممّا تقدّم أنه لا تفاوت بين المباحث والمواضيع الدينية والأخلاقية والسياسية وأمثال ذلك، فمثلًا ما نقرأه فى الصحف والإعلام حول المسائل السياسية يتـدخل فيه هـذا العنصر بالـذات، أى أن كـلُّ طرف من الأطراف المتنازعـة لا يريـد أن يـذعن ويسلّم للحقّ بل يريـد أن يحكّم رأيه ويفرض نظره على الآخرين بعيـداً عن معايير الحقِّ والإنصاف، وإلّا فإنّ تشـخيص الحقّ فى المسائل السياسـية لا يكون مشـكلًا وعسيـراً أيضاً، ولكن عنـدما تتـدخل المسألـة فى إطار التعصّب المـذهبى والمنافع الشخصـية والحزبيـة فإنّ آيات الولايـة فى القرآن، ص: ٣٣٦ الإنسان يبتعد عن أجواء الحقّ وسيختفى نور الحقّ بغشاوة سميكة من ظلمات الأهواء النفسانية. ونقرأ فى رواية اخرى عن أميرالمؤمنين ومولى المتقين أنه قال: «الْجِدَلُ فِى الدِّينِ يُفْسِدُ الْيَقِينَ» «١». لأن الإنسان عنـدما يعيش حالة الجدل الدائم مع الآخرين فتدريجياً يطرح رغباته وميوله وأفكاره الشخصـية المسـتوحاة من الأهواء النفسـية فى لباس الدين والمذهب ويتصور أن هذا الرأى ما هو إلّاقراءة سليمة للـدين وللمفاهيم القرآنيـة. والخلاصـة أنه ورد النهى الشديـد والأكيـد فى الآيات والروايات الشـريفة عن الجدل بالباطل، وأما الجدل بالحقّ والحوار المنطقى والهادف والـذى يقوم على أساس الأدلّة والبراهين العقليّـة ويكون الهـدف منه هو إيضاح الحقيقة واسـتجلاء كوامن الحقّ من دون أن تكون رغبـة لدى الطرفين فى الإسـتعلاء والغلبة والتفوق على الخصم فإنّ مثل هذا الجدال والحوار ليس فقط لا إشكال فيه بل هو مأمور به من قبل اللّه تعالى، حيث نقرأ فى الآية ١٢٥ من سورة النحل قوله: «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ».

٢- الإقتداء بالهادى

٢- الإقتداء بالهادى والتوصـية الثانية للآية الشريفة والتى تستفاد من المقطع الثانى لها هى أن المسلمين لو أرادوا الهداية إلى اللّه تعالى والسير فى خطّ التقوى والإيمان فلابـدّ أن يتّخـذوا الإمام على عليه السـلام قدوة وعلى أساس من كونه «هادياً» للمسـلمين. الإمام على عليه السـلام فى أخلاقه وسلوكياته وأقواله وكتبه المشـحونة بالمعـارف العاليـة والمفـاهيم الساميـة وكلمـاته القصار المليئة بالموعظة والحكمـة، وتاريـخ حياته الملىء بالـدروس والعبر، وآداب معاشـرته وأخلاقه الجذّابـة مع الآخرين، ومـديريته القوية والرصـينة، آيات الولايـــة فى القرآن، ص: ٣٣٧ واسـلوب تعـامله وتفـاعله مع الأحـداث والأشـخاص والأقوام من الـداخل والخـارج، وأخيراً إرشـاداته وتعليمـاته الإنسانيـة كلُّهـا يمكن أن تكون اسوة وقـدوة لجميع المسـلمين فى حركتهم الدنيويـة وسلوكهم المعنوى فى خـطّ التكـامل الأخلاقى والإلهى. ونحن الـذين نـدّعى الولايـة لهـذا الإمـام العظيم ونـدّعى أننا من أتباعه فما هو مقـدار الفاصـلة بين حياتنا وتعاملنا وأفكارنـا مع حياة ذلك الإمام وأفكاره وأخلاقه؟ لنرى طعام الإمام على عليه السـلام كم كان زهيـداً وبسـيطاً، ولباسه فى أوج اقتـداره

وحكومته كم كان رخيصاً وساذجاً، فهل أن زخارف الدنيا وتجملاتها استطاعت أن تقيّد الإمام على عليه السلام وهو فى أعلى مواقع القدرة بحبائلها وأن تؤسره بأسلاكها، بل نقرأ فى التواريخ أن تشييع الإمام ومراسم تكفينه ودفنه كانت بسيطة للغاية، ولكن مع الأسف أنّ بعض من يدّعى أنه شيعة على عليه السلام يعيش فى عالم الزخارف الدنيوية البرّاقة وقد أصبح أسيراً لاحابيلها الموهومة، بل إنّ المراسم التى تجرى لهم بعد وفاتهم من بذل الطعام ومجالس الفاتحة والعزاء مليئة بالمظاهر البرّاقة ومشحونة بعناصر الهوى والفخفخة بحيث لا نجد شبهاً بينها وبين مجالس العزاء الحقيقية بل قد تنفق فى هذه المجالس ملايين الدنانير من دون أن تكون الدوافع سليمة والغايات إلهية. وقد سمعت قبل مدّة خبراً قد يكون مفرحاً من جهة ومثيراً للقلق من جهة اخرى، وهو: «مات أحد الأشخاص فقرر أولياء الميت وأبناؤه أن ينفقوا مصارف مجلس العزاء ومراسم الفاتحة على الامور الخيرية، فجلسوا لمحاسبة نفقات مجلس العزاء هذا فتبيّن أنه قد يصل إلى خمسة ملايين تومان، فقرّر هؤلاء الأبناء أن ينفقوا هذا المبلغ على البنات من العوائل الفقيرة لكى يأمّنوا لهم جهاز العرس وأثاث البيت الزوجى بدلًا من صرفه على مجلس العزاء والفاتحة، فكان هذا المبلغ يكفى لتجهيز عشرة بنات، أى يكفى لتكوين عشر عوائل جديدة ومحتاجة». هذا الخبر هو مقلق ومثير للتشويش من جهة المبالغ الطائلة التى تصرف على مجالس العزاء هذه، ومن جهة اخرى مفرح ومثير للإرتياح والإنبساط بأن يقوم أولياء الميت وورثته بخطوة مهمة مستوحاة من العقل والوجدان ويقرّروا إنفاق ذلك المبلغ الكبير على امور خيرية وإنسانية. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۸ ما المانع من أن يقوم المسلم بإنفاق مثل هذه المبالغ الكبيرة على امور إنسانية وموارد خيرية بدلًا من بذلها لمظاهر خاوية وتشريفات زائفة؟ عزيزى القارئ: إنّ توفير مقدّمات الزواج للشباب المحتاجين ليست وظيفة وتكليف الوالدين فقط بل هو تكليف عام لجميع المسلمين كما تقول الآية الشريفة: «وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ» «۱». فهذه الوظيفة فى الحقيقة تتعلق بجميع أفراد المجتمع، ولا يقتصر الحال على مسألة الزواج بل سائر المشكلات والمعضلات التى تواجه الشباب والفتيات فى مجتمعاتنا الإسلامية حيث ينبغى أن نمدُّ لهم يد العون ونسعى فى حلّ مشاكلهم والتخفيف من آلامهم وهمومهم فى حركة الحياة من قبيل مشكلة «العطالة» التى تمثل العامل المهم لكثير من المفاسد الإجتماعية، وكذلك مشكلة «المسكن» ومشكلة «التحصيل الدراسى» وأمثال ذلك. ينبغى علينا وبالإلهام من سيرة أميرالمؤمنين عليه السلام أن نتحرر من قيود وأسر التشريفات والظواهر البرّاقة والإبتعاد عن منزلقات الزخارف الدنيوية ونعيش البساطة والطهارة والنقاء فى الحياة الفردية والإجتماعية بل يجب على الحكومة الإسلامية مضافاً إلى توفير المناخ المناسب لمثل هذه السلوكيات والقيم الأخلاقية والثقافية لجميع أفراد المجتمع أن يقوم المسؤولون أنفسهم بالعمل بهذا المبدأ المقدّس لكى يمكنهم فى حال إصلاح هذه الأزمة الإجتماعية والإدارية، إصلاح قسم مهم من الفساد الإقتصادى والتخلف الإجتماعى الذى تعانى منه البلدان الإسلامية وبالتالى يتسنّى للمسلمين التخلص من التبعية للأجنبى والإستعمار الذى لا يفكر إلّافى مصالحه الشخصية ومنافعه المادية، ونستطيع إن شاء اللَّه ببركة ذلك الإمام الهمام أن نحفظ عزّة وكرامة الامّة الإسلامية ونحلّ مشكلاتها. نسأل اللَّه تعالى أن يوفقنا لاستماع قول الحقّ ويرزقنا اذناً واعية لفهم هذه التعليمات المهمة الواردة فى دائرة المفاهيم القرآنية ثمّ يوفقنا لتجسيد هذه المفاهيم على مستوى العمل والتطبيق والإستفادة من ثمراتها الكثيرة وبركاتها العميمة إنه أرحم الراحمين ... آمين يا ربّ العالمين. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۳۹

آية خير البريّة

اشارة

آية خير البريّة ۱۴ [سورة البينة (۹۸): الآيات ۷ الى ۸] قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (۱۴) «سورة البيّنة/ الآية ۷ و ۸»

أبعاد البحث

أبعاد البحث هـذه الآيـة الشـريفة أيضاً من الآيات التى تتعلّق بموضوع الإمامة والخلافة، وتدلُّ بدقائق عباراتها الظريفة على أحقيّة مقام الإمامـة والخلافـة للإمام على عليه السـلام، ولا يوجـد فيها اختلاف على مستوى السـياق والمـدلول «خلافاً للآيات السابقة» وأما كيفية الإستدلال بهذه الآية لإثبات الولاية والإمامة فيحتاج إلى دقّة وتدبّر خاصّ كما سيأتى بيانه لاحقاً.

الشرح والتفسير: أفضل المخلوقات وشرّها

الشـرح والتفسـير: أفضل المخلوقات وشـرّها من أجل إيضاح المراد من الآية الشـريفة «آية خير البريّة» واسـتجلاء المفهوم منها نرى من الضـرورى أن نشـرع بشـرح الآيـة السادسة من سورة البيّنة: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْـرِكِينَ فِى نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها». آيـات الولايـة فى القرآن، ص: ۳۴۰ أى أن أهـل الكتاب من اليهود والنصارى الـذين لم يقبلوا بالإسـلام وكـذلك المشـركون وعبادة الأوثان يشتركون فى العاقبة و المصـير الاخروى فجميعهم يردون جهنم خالدين فيها. «أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ». وهذا هو السبب فى أنهم مخلّدون فى نار جهنم، وكأن هذه الجملة وردت فى مقام الدليل لبيان سـبب خلود هؤلاء فى نار جهنم «۱». ويستفاد من الآيات السابقة لهـذه الآيـة الشـريفة أن هؤلاء ليسوا من الكفرة العاديين بل هم طائفـة من الكفّار الـذين فهموا الرسالة الإلهية واتّضـحت لديهم الحجّة والبيّنـة وعلموا بحقّانيّـة الإسـلام والرسالـة السـماوية ولكنّهم مع ذلـك أصـرّوا على عنـادهم ولجاجتهم وانطلقوا فى عـداءهم مع الحقّ والعـدل من موقع الخصومـة والعدالـة، وعليه فإنّ هـذه الآيـة لا تشـمل كلُّ الكفّار والمشـركين وأهل الكتاب حتّى لو تحرّكوا فى خطّ الباطل والكفر من موقع الجهل والغفلة، فالخطأ الذى ينطلق من موقع الغفلة والإندفاع العفوى ليس كالخطأ الذى ينطلق من موقع التمرّد والجحود مع وعى الموقف ووضوح الرؤيـة. وبعـد أن ذكرت الآيـة الشـريفة شـرّ المخلوقـات تحرّكت الآيـة الـتى بعـدها لبيـان أفضـل المخلوقـات وقالت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ». فقـد ذكرت هـذه الآيـة الشـريفة لأفضل مخلوقات اللَّه ثلاث صفات وخصوصيات: ۱- «الَّذينَ آمَنُوا» فالخصوصـية الاولى لهؤلاء هى إيمانهم باللَّه تعالى والنبى الأكرم صـلى الله عليه و آله ويوم القيامة، وعليه فإنّ المشركين وجميع الأشخاص الذين لا يدينون بدين الإسلام خارجون عن هذه الدائرة ولا يتّصفون بهذه الصفة الكريمـة. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۳۴۱ ۲- «وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» الخصوصـية الثانيـة للأشـخاص الذين هم «خير البريّة» هو أنهم يتحرّكون فى واقعهم الإجتماعى من موقع العمل الصالـح الذى يسـتوحى مقوّماته من الإيمان والإعتقاد فى عالم القلب والروح. «العمل الصالح» «۱» يتضـمن معنىً عاماً وشاملًا، وقـد ورد فى الروايات الشـريفة أن أدنى مرتبة له هو «اماطَةُ الْأَذى عَنِ الطَّرِيقِ» وأعلى مرتبة له هو اعتنـاق دين الحقّ والشـهادة بالتوحيـد «وأعْلاهـا شَـهادَةُ انْ لا الهِ إلّااللَّه» «۲». والخلاصـة أن الصـفة الثانيـة لهؤلاء هى أنهم يعملون الأعمال الصالحة. ۳- «ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» الخصوصـية الثالثـة لهؤلاء الأشـخاص هى أنهم يتمتعون بمقام «الخشـية» من اللَّه تعالى، فمضافاً للإيمان والعمل الصالح فإنهم يعيشون حالة الخشـية والخضوع والإذعان للحقّ تعالى والتسـليم لأوامره وتعليماته. سؤال: هل أن «الخشـية» هى شـىء آخر غير الإيمان والعمل الصالـح؟ الجواب: نعم، إنّ الخشـية مرتبة أعلى من الإيمان والعمل الصالح، والظاهر أنها تعنى الإحساس بالمسؤوليـة، فتارةً يعيش الإنسان الإيمان والعمل الصالـح ولكن ذلك لا يعنى أنه يتحلّى بعنصـر الإحساس بالمسؤولية ولا يكون إيمانه وعمله الصالـح مسترفـداً من إحساسه بالمسؤولية بل بسـبب العادة والتربية وأجواء الاسـرة والمحيط الإجتماعى، وتارةً اخرى يتحرّك الإنسـان فى إيمـانه وعملـه الصالـح على أسـاس مـن أحسـاسه بالمسؤوليـة، فمثـل هـذا الإنسـان يتعامـل مع الأحـداث والأشـخاص والمواقف المختلفـة من منطلق إحساسه بالمسؤولية ويكون سـلوكه وممارساته فى حركة الحياة الفردية والإجتماعية قائمة على هذا الدافع النفسانى والوجدانى. والنتيجة هى أن «خير البريّة» هم الذين يتمتعون بثلاث صفات: الإيمان، العمل الصالح، الإحساس بالمسؤوليـة. آيات الولايـة فى القرآن، ص: ۳۴۲ وبعـد ان تنتهى الآيـة الشـريفة من تعريف «خير البريّة» وتبيين صـفاتهم وخصائصـهم تتعرض كـذلك لبيان أجرهم وثوابهم عند اللَّه وتقول: «جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ». إنّ ثواب «خير البريّة»

فى الدار الآخرة يتضمن الثواب المادى والمعنوى على السواء، لأن الإنسان مركّب من جسم وروح، فجسمه يطلب الثواب المادى، وروحه تشتاق إلى الثواب المعنوى. أما الثواب المادى لهؤلاء الصالحين فهو عبارة عن الجنّة الخالدة والبساتين اليانعة التى تجرى من تحت أشجارها الأنهار «۱» والمياة العذبة بصورة دائمة. البساتين على نحوين: ۱- البساتين التى تردُّ إليها المياه من خارجها ويتمُّ سقى أشجارها بالماء بين كلِّ حين وآخر وعلى فواصل زمنيّة معيّنة، فالمياه لا تجرى دائماً فى جداولها وسواقيها. ۲- البساتين التى تتوفر فيها المياه بصورة دائمة وتجرى فى سواقيها وبين أشجارها، وبلاشك أن مثل هذه البساتين تنعم أشجارها بطراوة خاصّة ومشهد جذّاب ولا يخشى عليها الجفاف والذبول، فبساتين الجنّة التى تقدّم وصفها فى الآية الشريفة هى من النوع الثانى، فهى خضراء يانعة دائماً. «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» فكما أن الكفّار والمشركين وأهل الكتاب الذين وقفوا من الرسالة الإلهية موقف المعاند والعدو مخلدون فى نار جهنم، وكذلك المؤمنون الذين يعيشون الإحساس بالمسؤولية ويترجمون إيمانهم وإحساسهم هذا على مستوى الممارسة والأعمال الصالحة هم مخلدون فى الجنّة أيضاً. «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» وتشير هذه الجملة إلى الثواب المعنوى لهؤلاء المؤمنين، وهو أن اللّه تعالى ينعم عليهم بالمواهب الاخروية العظيمة إلى درجة أنهم يعيشون الرضا والسرور الفائق، ومن جهة اخرى فإنّ لطف اللّه تعالى ورحمته بهؤلاء يبلغ إلى الحدّ الذى يرضى اللّه عزّوجلّ عنهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۳ فما أعظم هذا المقام الشامخ، وما أعظم هذه المرتبة السامية التى لا تتصور فوقها مرتبة فى عالم الكمال والنعمة والسعادة. والنتيجة التى نستخلصها من هذه الآيات الشريفة الثلاث أنها ذكرت خصوصيّات «شرُّ البريّة» وعقوباتهم فى الدار الآخرة، وكذلك صفات وخصوصيّات «خير البريّة» وأجرهم وثوابهم عند اللّه فى يوم القيامة.

خير البريّة فى الروايات

خير البريّة فى الروايات سؤال: هل أن المفهوم من هذه الآية الشريفة عام أو خاصّ؟ وبعبارة اخرى: هل أنّ «خير البريّة» يشمل جميع المؤمنين الذين يعملون الصالحات، أو يتحدد بفئة خاصّة منهم؟ الجواب: ومن أجل التوصل إلى جواب هذا السؤال نرى من اللازم الرجوع إلى الروايات الواردة فى شأن نزول هذه الآيات الكريمة: طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى مصادر وكتب الشيعة وأهل السنّة أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ذكر فى تفسير «خير البريّة» أنهم: علىّ وشيعته، وقد وردت هذه الروايات فى كتب مختلفة، منها: ۱- «شواهد التنزيل» لمؤلفه الحاكم الحسكانى «۱». ۲- «الصواعق المحرقة» تأليف ابن حجر الهيثمى «۲» ۳- «الدرّ المنثور» للسيوطى «۳». ۴- «نور الأبصار» لمحمّد الشبلنجى «۴». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۴ ۵- «تفسير الطبرى» «۱». ۶- «روح المعانى» للآلوسى «۲». ۷- «المناقب» للخوارزمى «۳». ۸- «فتح الغدير» للعلّامة الشوكانى «۴». وقد أورد صاحب كتاب «شواهد التنزيل» فى كتابه هذا أكثر من عشرين رواية فى ذيل آية خير البريّة، وقد اخترنا منها ثلاث روايات كنموذج لتقرير المطلوب، وهى كالتالى: الف) يقول جابر بن عبداللّه الأنصارى الصحابى المعروف: كنت جالساً مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وجماعة من أصحابه عند الكعبة، وإذا بعلىّ قد ظهر لنا من بعيد، فلمّا رآه رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لأصحابه: «قَدْ أَتاكُمْ أَخى، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقالَ وَرَبِّ هذِهِ الْبُنْيَةِ! إنَّ هذا وَشِيعَتَهُ هُمُ الفائزونَ يَوْمَ الْقيامَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: أَما وَاللَّهِ إنّهُ أَوَّلُكُمْ إيماناً باللَّهِ، وَاقْوَمُكُمْ بأمر اللَّهِ وَأَوفاكُم بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَقْضاكُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَأَقْسَمُكُمْ بِالسَّوِيَّةِ وَأَعْدَلُكُم فِى الرَّعِيَّةِ وَأَعْظَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَزِيَّةً. قالَ جابِرُ فَأَنْزَلَ اللَّه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» فَكانَ عَلِيٌّ إذا أَقْبَلَ قالَ أَصْحابُ مُحَمّدٍ: قَدْ أَتاكُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَ رَسُول اللَّهِ» «۵». ويستفاد من العبارة الواردة فى ذيل هذه الرواية الشريفة أنها كانت مشهورة بين المسلمين فى صدر الإسلام، وعليه فإنّ الرواة لها لا يقتصرون على ابن عبّاس وجابر بن عبداللّه وأبو برزة. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۵ ب) ويقول جابر فى رواية اخرى: أنه عندما نزلت آية خير البريّة، التفت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إلى على بن أبى طالب عليه السلام وقال: «هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُك، تَرِدُّ عَلَيَّ وَشِيعَتُكَ رَاضِينَ مَرْضِيِّيْنَ» «۱». ج) يقول أبو برزة الأسلمى: عندما نزلت آية خير البريّة قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لعلى بن أبى طالب: «هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ يا عَلِيّ،

وَميعادُ ما بَيْنى وَبَينكَ الْحَوْضُ» «۲». د) ويروى ابن عساكر فى شرح هذه الآية الشريفة «آية خير البريّة» عن عائشة رواية طريفة، (ورغم أن عائشة لم تكن على علاقة جيّدة مع على بن أبى طالب وقد قامت بوجهه فى حرب الجمل) قال: «وفى رواية لعائشة عن عطاء قال سألت عائشة عن على فقالت: ذاک خير البشر لا يشک فيه إلّاكافر» «۳». والنتيجة أنه طبقاً للروايات الكثيرة الواردة فى تفسير آية خير البريّة أن المراد من «خير البريّة» هو على بن أبى طالب عليه السلام. سؤال: ويطرح الآلوسى فى روح المعانى سؤالًا بهذه الصورة: إذا كان المراد من خير البريّة هو على بن أبى طالب عليه السلام فهل أنه أعلى مقاماً من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ لأنّ كلمة «خيرالبريّة» فى الآية الشريفة وردت بشكل مطلق، ومفهومها أن المصداق لها هو أفضل من جميع الناس. الجواب: لو تدبرنا فى مضمون الآية الشريفة لأتضح الجواب عن هذا السؤال، لأنه كما تقدّم أن أحد الشروط التى لابدّ أن تتوفر فى «خير البريّة» هو الإيمان، أى الإيمان باللَّه والرسول وسائر مبادئ وأحكام الإسلام، وعليه فإنّ الإمام على من جهة اعتقاده وإيمانه العميق باللَّه تعالى ورسوله الكريم هو خير البريّة، فكيف يمكن أن يكون الإمام على آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۶ وبسبب اعتقاده وإيمانه برسول اللَّه هو خير البريّة وفى نفس الوقت يكون أعلى مرتبة من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نفسه؟ ولهذا السبب ورد فى رواية جابر بن عبداللَّه الأنصارى المذكورة فى منابع أهل السنّة أنّ علىّ بن أبى طالب خير البريّة بعد رسول اللَّه. سؤال آخر: ما هى العلاقة بين الآية الشريفة وبين مسألة الإمامة والخلافة لأميرالمؤمنين عليه السلام؟ وعلى فرض أن يقبل أهل السنّة بأن على بن أبى طالب هو خير البريّة كما ورد فى رواياتهم، ولكن كيف يمكن الإستدلال بهذه الآية على إمامته وخلافته بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ الجواب: بالنسبة إلى طريقة تعيين الخليفة بعد النبى هناک اختلاف بين الشيعة وأهل السنّة، فالشيعة يرون أن الخليفة والإمام بعد رسول اللَّه يجب أن يكون منصوباً ومعيّناً من قبل اللَّه تعالى «۱»، إذن فتعيين الخليفة فى نظر الشيعة هو أمر انتصابى لا انتخابى، ولكنّ أهل السنّة يرون أن تعيين الخليفة بعد النبى هو أمر انتخابى ويجب أن يختاره الناس إماماً وزعيماً لهم، فإذا حظى بموافقة الناس وانتخابهم له صار خليفة لرسول اللَّه. وطبعاً إنّ هذا الإختلاف فى مفهوم وطريقة تعيين الخليفة لا يؤثر فى المفهوم من الآية الشريفة لأنه لو كانت الخلافة انتخابية أو انتصابية فإنّ الإمام على هو الوحيد اللائق لهذا المقام، لأنه لو كانت انتصابية كما يعتقد الشيعة فمع وجود الإمام على الذى هو خير البريّة وأفضل مخلوقات عالم الوجود فإنّ اللَّه الحكيم لا- يختار شخصاً آخر غيره لهذا المقام وإلّا لكان منافياً لمقتضيات الحكمة الإلهية، ولو كانت المسألة انتخابية فهل يعقل مع وجود أفضل الناس وأعلمهم أن يختار العقلاء شخصاً آخر لهذا المقام؟ من الواضح أن ما يعتذر به البعض من أنّ المسلمين فى ذلک الزمان لم يكونوا يعرفون الأفضل والأعلم هو عذر غير مقبول مع وجود كل هذه الروايات الكثيرة التى مرّت سابقاً ومع اشتهار مقام الإمام على عليه السلام ومناقبه وفضائله بعنوان إنه «خير البريّة». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۷ ومع الإلتفات إلى ما تقدّم يتّضح جيّداً ارتباط الآية الشريفة مع مسألة الولاية والإمامة. السؤال الثالث: إنّ الأفضل عادةً يكون شخصاً واحداً لا أكثر، وعليه كيف يكون الإمام على وشيعته هم الأفضل؟ الجواب: إنّ مقام أفضل الخلق له مراتب، فيمكن أن يكون أحد الأشخاص على رأس الهرم فى سلسلة الأفاضل، وهناک أشخاص آخرون يقعون فى المراتب التى تلى هذه المرتبة، وهناک طائفة ثالثة أدنى منها وهكذا، وعليه فإنّ الإمام على يقف على رأس الهرم فى الأفضلية ويأتى شيعته فى المراحل الدانية. والنتيجة لجميع هذه الأبحاث أن «خير البريّة» ومن يحوى الصفات الثلاثة: الإيمان، العمل الصالح والإحساس بالمسؤولية، هم على وشيعته.

توصيات آية خير البريّة

اشارة

توصيات آية خير البريّة إنّ هذه الآية الشريفة والروايات الواردة فى تفسيرها تتضمن توصيات مختلفة، منها:

۱– نظام القيم فى الإسلام

۱– نظام القيم فى الإسلام إنّ قيمة كلُّ دين أو مذهب تكمن فى منظومة القيم لذلك الدين أو المذهب، وببيان أوضح: إنّ كلُّ دين أو مدرسة فكرية وفلسفية تدور حول محور أساسى، وذلك المحور يكون بمثابة النظام القيمى والمعيار الذى ترسل فيه معالم ذلك الدين والمدرسة الفكرية، وكمثال على ذلك: الف: ذكرت الآيات الكريمة فى حديثها عن منظومة القيم الأخلاقية للمجتمع الفرعونى الطاغوتى كما ورد ذلك فى الآية ۵۱ من سورة الزخرف على لسان فرعون: «وَ نادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلا تُبْصِرُونَ». هنا نرى أن فرعون يفتخر بتسلطه على مصر واستلامه زمام الامور فى حكومة مصر، آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۸ تلك الحكومة المستبدة والديكتاتورية، وهذا السياق القرآنى يعبّر فى الحقيقة عن نظام القيم فى حكومة فرعون، وعلى هذا الأساس فالإنسان الجيّد فى نظر فرعون والفراعنة هو الحاكم والمتسلط على الناس حتّى لو كان متوغلًا فى الفساد والجريمة والظلم، أما الإنسان السافل والساقط فهو من يعيش بعيداً عن أجواء السلطة والحكومة حتّى ولو كان من الناحية الأخلاقية يتّصف بأفضل الصفات والفضائل الأخلاقية، ولهذا اعترض فرعون على موسى ودعواه النبوّة والرسالة من اللّه تعالى وقال: «فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ» «۱» (ليؤيدوا كلامه من كونه مرسل من اللّه تعالى). أى أن موسى عليه السلام وطبقاً لرؤية الفراعنة ونظامهم الأخلاقى كان يعيش بعيداً عن أجواء القدرة والثروة والحكومة إذن فلا يستحق مقام النبوّة والرسالة. والنتيجة هى أن المعيار الأخلاقى فى النظام الفرعونى هو القدرة والثروة والزينة. ب: وهناك بعض الأنظمة الأخلاقية فى بعض المجتمعات والمذاهب الاخرى تعتبر أن كثرة الأموال والأولاد والثروة هى المعيار، كما ورد فى الآية الشريفة ۳۵ من سورة سبأ: «وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ». فهؤلاء يعيشون بنظام من القيم الأخلاقية التى تدور حول محور القوى الإنسانية والإقتصادية، وطبقاً لهذه العقيدة وهذه الرؤية فإنّ الإنسان الجيّد والمحترم هو من يتمتع بأموال كثيرة وثروة طائلة وأبناء كثيرين وخاصّة إذا كان هؤلاء الأبناء ذكور كما هو حال العرب فى زمن الجاهلية حيث كانت العائلة السعيدة هى التى يتوفر فيها كثرة فى الأولاد الذكور، لأن ذلك يمنحهم القدرة على القتال والغارة وعمليّات السلب والنهب أو ينتفع الأب من معونتهم فى أعماله الشخصية والإجتماعية. والخلاصة أن مثل هذا النظام الأخلاقى يعتمد بالدرجة الاولى على مبدأ القوّة البشرية والكثرة فى الأموال والأولاد. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۴۹ وأمّا بالنسبة إلى الرؤية الإسلامية ومنظومة القيم فى دائرة المفاهيم القرآنية فإنها تختلف عمّا تقدّم من النظم والمعايير الثقافية، فكلُّ ذلك لا يعدّ فى نظر الإسلام معياراً وقيمةً ذات أهميّة على مستوى حياة الإنسان الأخلاقية والمعنوية رغم أنها قد تنفع أحياناً فى كونها وسيلة وأداة للتوصل بها إلى الأهداف المقدسة والغايات الدينية فتكون مطلوبة وإيجابية حينئذٍ. القرآن الكريم يردُّ على ما ذكرناه آنفاً من النظام القيمى للطائفة الأخيرة ويقول: «وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ» «۱». فهذه الآية الشريفة وضمن رفضها للنظام الأخلاقى الذى يستوحى مقوماته من القوّة البشرية والإقتصادية تطرح النظام الأخلاقى والمعيار القيمى فى دائرة المفاهيم الإسلامية وتذكر «الإيمان» و «العمل الصالح» كمفردات معيارية للنظام الأخلاقى فى الإسلام، لأن هذه الامور هى التى توصل الإنسان إلى معراج الكمال المعنوى وتقوده فى حركته الصاعدة نحو اللّه تعالى لا المال والأولاد والامور الدنيوية الاخرى. ويقول تبارك وتعالى فى الآية ۱۳ من سورة الحجرات ضمن اعتبار التقوى محور آخر من محاور النظام الأخلاقى فى الإسلام ويخاطب الناس كافة: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ». عندما جاء الإسلام بنظام أخلاقى جديد يقوم على الإيمان والعمل الصالح والتقوى فإنه استبدل القيم الجاهلية القديمة بهذه القيم السماوية والإنسانية وخلق بذلك تحولًا عظيماً فى هيكلية المجتمع البشرى وقدّم إلى البشرية أشخاصاً مثل «أبى ذرّ» و «سلمان» و «ميثم التمّار» بدلًا من «أبى جهل» و «أبى لهب» و «أبى سفيان». إنّ آية «خير البريّة» تقرر إنّ منظومة القيم فى الإسلام تقوم على أساس «الإيمان» و آيات الولاية

فی القرآن، ص: ۳۵۰ «العمل الصالح» و «الإحساس بالمسؤولیة» وتقرر بأن أفضل الناس هم الذین یتمیّزون بهذه السمات الأخلاقیة والدینیة الثلاث، ولکننا نری مع الأسف فی عالمنا المعاصر أن قیم الجاهلیة عادت لتحکم من جدید فالإنسان الأفضل هو الذی یمتلک دولارات أکثر أو یتمتع بقدرة اقتصادیة أعظم أو یمتلک قوّة عسکریة أکبر، ولکن کلّ هذه الامور لا تعدّ معیاراً أساسیاً فی منظومة القیم والمفاهیم الإنسانیة.

۲- تاریخ ظهور الشیعة

۲- تاریخ ظهور الشیعة یتصور البعض أو یلقّن نفسه بهذا المفهوم الزائف عن الشیعة، وهو أن الشیعة ظهرت إلی الوجود کمذهب وتیار إسلامی منذ زمن الصفویین أو بعد ذلک ولیس لهم امتداد تاریخی فی القرون السابقة. ولکن یتضح بطلان هذا التصور بمجرّد إلقاء نظرة عابرة علی ما ورد فی الروایات الإسلامیة وکتابات المؤرّخین ومن ذلک ما ورد فی الروایات الشریفة فی ذیل آیة «خیر البریّة» والتی تقدّم ذکرها وأن کلمة «الشیعة» ذکرت لأوّل مرّة علی لسان الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وأراد منها أتباع علی بن أبی طالب علیه السلام، وعلی هذا الأساس فإنّ تاریخ ظهور الشیعة یتزامن مع تاریخ ظهور الإسلام وقد سبق ظهور هذا المذهب جمیع المذاهب الإسلامیة الاخری. ومع الأخذ بنظر الإعتبار هذا الأمر یتّضح جیّداً أن بعض الأشخاص الذین یتحرکون من موقع الغفلة أو التغافل أو العناد علی مستوی اتهام الشیعة والتعریض بهم بما تقدّم، هم بعیدون عن الحقّ والصواب ومشمولون لقول الشاعر: وَإن کُنْتَ لا تَدْری فَتِلْکَ مُصِیبَةٌ وَإنْ کُنْتَ تَدْری فَالْمُصیبَةُ أَعْظَمُ أی أن بعض العلماء من الفرق الإسلامیة إذا لم یکونوا یعلمون بهذه الأحادیث والروایات وغیر مطّلعین علیها فهذه مصیبة (بحیث إنّ الإنسان الذی یدّعی العلم یجهل هذه الروایات). وإذا کانوا مطّلعین علیها ولکنهم ینکرونها ویتغافلون عنها من موقع العناد والتعصّب فمصیبتهم أعظم وأکبر. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۵۱ إلهنا أحفظنا من التورط فی منزلقات التعصّب الأعمی وأبعدنا عن آثاره المشؤومة وعواقبه الوخیمة.

(جدید ۳)

۳- ماذا تعنی کلمة الشیعة؟ سؤال: إنّ الروایات الواردة فی هذا البحث تصف شیعة الإمام علی علیه السلام کأنهم أفضل من خلق اللّه تعالی، ومع الإلتفات إلی هذا المقام السامی للشیعة، نرید أن نعرف من هم هؤلاء الشیعة؟ الجواب: وفی المقام الجواب علی هذا السؤال لابدّ من استعراض معنی کلمة «الشیعة» والبحث فیها من ثلاث جهات: ففی البدایة نبحث المعنی اللغوی لهذه الکلمة، ثمّ موارد استعمالها فی القرآن الکریم، فی الثالثة نستعرض بعض الروایات التی تتعرض لوصف الشیعة الحقیقیین. الف: الشیعة فی اللغة: إنّ هذه الکلمة «الشیعة» تعنی فی اللغة «الإنتشار مع القدرة»، فالشیء الذی یمتد وینتشر فی مناطق مختلفة مع القدرة والقوّة یطلق علیه «شیعة» والنتیجة أن الشیعة فی اللغة تطلق علی الفئة والجماعة المنتشرة والقویة فی نفس الوقت. ب: الشیعة فی القرآن: وردت هذه الکلمة فی القرآن الکریم فی أربعة موارد، أحداها ما ورد فی شأن النبی إبراهیم علیه السلام فی سورة الصافات، الآیة ۸۳ و ۸۴: «وَ إِنَّ مِنْ شِیعَتِهِ لَإِبْراهِیمَ* إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ». هذه الآیة الشریفة وصفت إبراهیم بأنه من شیعة النبی نوح علیه السلام، أی أنه استمرار لخطّ النبی نوح علیه السلام، والآیة الثانیة ترسم معالم التوفیق الذی ناله إبراهیم فی هذا المجال حیث توجه إلی خالقه وربّه بقلب سلیم «۱» من أدران الشرک وتلوثات الخطایا. آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۵۲ والآیة الاخری التی وردت فیها کلمة الشیعة هی الآیة ۱۵ من سورة القصص حیث تتعرض هذه الآیة إلی قصة موسی علیه السلام وتقول: «وَ دَخَلَ الْمَدِینَةَ عَلی حِینِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِیها رَجُلَیْنِ یَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِیعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ ...». کلمة «شیعة» فی هذه الآیة الشریفة اطلقت علی أتباع النبی موسی علیه السلام ویمکننا أن نستوحی من هذا التعبیر أن النبی موسی کان قد شکّل جماعة له قبل النبوّة

وربّاهم على طريق الحقّ والإيمان. والنتيجة هى أن كلمة شيعة فى الآيات أعلاه وردت فى حقِّ بعض الأنبياء وأتباعهم. ج: الشيعة فى الروايات: لقد وردت كلمة «شيعة» فى الروايات الشريفة بشكل واسع ومستفيض، ونكتفى هنا بذكر ثلاث نماذج منها: ۱- ما ورد فى خطاب الإمام على لأحد أصحابه ويدعى «نوف البكالى» قال: «أَتَدْرى يا نَوْفُ مَنْ شيعَتِي؟» فقال نوف: لا وَاللَّه. فشرع الإمام يبين له أوصاف الشيعة الحقيقيين ومن ذلك أنه قال: «رُهْبانٌ بِاللَّيْلِ وَاسْدٌ بِالنَّهار» «۱» فيعيشون فى الليل الشوق والمناجاة والتبتل إلى اللَّه تعالى، وفى النهار يتحركون فى دفاعهم عن الإسلام وخدمة المسلمين من موقع الإخلاص والشجاعة الفائقة ولا تأخذهم فى ذلك لومة لائم. ۲- وورد فى رواية اخرى فى أوصاف الشيعة: «إنَّما شَيعَتُنا أَصْحابُ الْاْرْبَعَةِ الأعْيُنِ؛ عَيْنانِ فِى الرَّأْسِ وَعَينانِ فِى الْقَلْبِ» «۲» أى أن الشيعى ينبغى أن يكون شخصاً قوياً، شجاعاً، واعياً، يقظاً، فاهماً وعالماً لا أن آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۳ يكون ساذجاً وسطحياً ويتعامل مع الأحداث من موقع الهويمات والأوهام الهشة والمطلقات الخاوية. ۳- وقال شخص للإمام الباقر عليه السلام: «الحمد للَّه على كثرة شيعتكم». فنظر إليه الإمام نظرة ذات مغزى وقال له: إنما تقوله عن شيعتنا: هَلْ يَعْطِفُ الْغَنىُّ عَلَى الْفَقيرِ؟ وَ يَتَجاوَزُ الْمُحْسِنُ عَنِ الْمُسِىءِ وَ يَتَواسَوْنَ؟ قُلتُ: لا. قالَ: لِيْسَ هؤُلاءِ الشِّيعَةُ، الشِّيعَةُ مَنْ يَفْعَلُ هَكَذا «۱». أجل، فإنَّ الشخص الشيعى يجب أن يكون قائم الليل يقظ وعامل فى النهار ويتعامل مع الواقع والأحداث بمنطق العقل والفهم السليم ويساعد الفقراء والمساكين ويعفو عن المسيئين ويشارك الناس فى همومهم ويواسيهم فى غمومهم. آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۵

آية الحكمة

اشارة

آية الحكمة ۱۵ [سورة البقرة (۲): آية ۲۶۹] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) الرَّحْمنِ الرَّحِيم (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ (۷) «سورة البقرة/ الآية ۲۶۹»

أبعاد البحث

أبعاد البحث بلاشك إنّ الإسلام له دور هام وأساسى فى ترويج العلم وتشويق الناس إلى سلوك طريق المعرفة أكثر من جميع الأديان الإلهية والشرائع السماوية، ولذلك فلو قيل عن الإسلام بأنه دين العلم والمعرفة فلايعدُّ هذا الكلام جزافاً، والآية مورد البحث من جملة الآيات التى عبّرت عن «الحكمة والمعرفة» بأنها «خير كثير»، أما ما هى علاقة الآية الشريفة بفضائل أميرالمؤمنين عليه السلام؟ فسيأتى فى الأبحاث اللاحقة ونسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا من جملة هؤلاء الأشخاص الذين رزقوا الحكمة وأدركوا حقائق الامور، آمين يا ربّ العالمين.

الشرح والتفسير: الحكمة هى الخير الكثير!

الشرح والتفسير: الحكمة هى الخير الكثير! «يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ» ذكروا للحكمة معانى كثيرة من قبيل: «أن الحكمة عبارة عن معرفة أسرار عالم الوجود» و «العلم بحقائق القرآن» و «الوصول إلى الحقّ على مستوى آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۶ القول والعمل» وأخيراً «الحكمة هى معرفة اللَّه» «۱» ويمكن جمع هذه المعانى كلّها بمعنى ومفهوم واسع. وبما أن القرآن الكريم تحدّث فى الآية السابقة (الآية ۲۶۸ من سورة البقرة) أن اللَّه تعالى وعد أن يبارك على الإنفاق وأن يغفر لمن ينفق فى سبيل اللَّه وحذّره من وسوسة الشيطان وتخويفه من الفقر، ففى هذه الآية الشريفة أشار إلى هذه الحقيقة القرآنية وهى أن «الحكمة» هى الأداة والوسيلة للتمييز بين

«الإلهى» و «الشيطانى» وبذلك يستطيع الإنسان أن يتخلص من وساوس الشيطان ويبعد نفسه عن الوقوع فى مصائده وفخاخه. وأما فى عبارة «من يشاء» فلا تتضمن أن اللَّه تعالى يرزق الحكمة والمعرفة بدون مبرر وبطريقة عشوائية بل إنّ مشيئة اللَّه وإرادته مقرونة دائماً مع الحكمة، أى أنه لا يعطى الحكمة لمن لا يستحق ولا يليق بها، بل يؤتى الحكمة ويروى عطش الإنسان لها فيما لو كان الإنسان قابلًا لها ومستعداً لتقبلها. «وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً». وبالرغم من أن اللَّه تعالى هو الذى يؤتى الحكمة لعباده إلّاأن هذه الآية لم تذكر الفاعل لهذا العطاء، بل اقتصرت على القول «ومن يؤتَ الحكمة» وهذا التعبير يشير إلى أن الحكمة والمعرفة بذاتها حسنة وجيّدة من أى مكان حصل عليها الإنسان فلا يختلف حالها فى الحسن باختلاف مصدرها، والملفت للنظر أن الآية الشريفة تقرر هذه الحقيقة، وهى أن كلّ من رزق العلم والمعرفة والحكمة فقد رزق الخير الكثير لا «الخير المطلق» لأنّ الخير المطلق أو السعادة المطلقة لا تكمن فى العلم والحكمة فقط بل إنّ العلم والحكمة هى أحد أدوات الخير والسعادة. «وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ» «تذّكر» يعنى حفظ العلوم والمعارف فى واقع النفس والروح و «الألباب» جمع «لُب» وبما أن لُب الشىء هو أهم جزء من أجزائه وأفضل أقسامه ولذلك اطلق على العقل كلمة «لُب» لأنه أفضل أجزاء الإنسان، فالآية الشريفة تقول: إنّ آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۷ أصحاب العقل والمعرفة هم فقط الذين يدركون هذه الحقائق، ويتذكرونها وينتفعون منها، ورغم أن جميع الناس يتمتعون بالعقل «سوى المجانين» ولكنّ اولوا الألباب لا يقال لجميع العقلاء بل المراد الأشخاص الذين يستخدمون عقولهم ويتحركون فى سلوكهم العملى من موقع الإستفادة من نور العقل وضياء الحكمة ويتدبّرون فى امورهم.

الإمام على عليه السلام صاحب الحكمة

الإمام على عليه السلام صاحب الحكمة إنّ آية الحكمة هذه تدلُّ على أن «كلُّ من رُزق الحكمة فقد رُزق الخير العميم والكثير» ولكنها ساكتة عن مصداق هذا المفهوم العام ولا تقرر من هو هذا الشخص فى الواقع الخارجى، ولكن الروايات العديدة المذكورة فى طرق الشيعة وأهل السنّة ذكرت بأن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام هو المصداق لها وهو الذى يتمتع بالحكمة الإلهية، وهنا نستعرض بعض هذه الروايات: ۱- ذكر «الحاكم الحسكانى» العالم السنّى المعروف نقلًا عن «ربيع بن خيثم» أنه ذكر على عليه السلام عنده فقال: لَمْ ارَهُمْ يَجِدُونَ عَلَيْهِ فِي حُكْمِهِ وَاللَّهُ تعالى يَقُولُ: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اوتِيَ خَيْراً كَثيراً» «۱». ۲- ويقول ابن عبّاس: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مَنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ إلى إبْراهِيمَ فِي حِلْمِهِ وَإلَى نُوحٍ فِي حِكْمَتِهِ وَالى يُوسُفَ فِي إجْتماعِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى عَلِيِّ بْن ابى طالِبٍ «۲». ونفس هذه الرواية وردت بشكل آخر عن «ابن الحمراء» حيث يقول: كنّا عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فجاء على بن أبى طالب عليه السلام فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مَنْ سَرَّهُ انْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَنُوحٍ فِي فَهْمِهِ وَإبْراهيمَ فِي خُلَّتِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى عَلِيِّ بْنِ أبى طالِبٍ «۳». آيات الولاية فى القرآن، ص: ۳۵۸ ۳- وفى رواية اخرى عن ابن عبّاس يقول: «كنت عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فسئل عن على، فقال: قُسِّمَتِ الْحِكْمَةُ عَشْرَةَ أَجْزاء، فَاعْطِيَ عَلِيٌّ تِسْعَةَ اجْزاءَ وَاعْطِيَ النّاسُ جُزْءاً وَاحِداً» «۱». هذه المضامين الواردة فى الروايات الشريفة توضح بصورة جيّدة أن الشخص الذى رُزق الحكمة والمعرفة فى الامّة الإسلامية بعد رسول اللَّه هو على بن أبى طالب عليه السلام وأنه لا يصل إليه أحد من الصحابة فى العلم والمعرفة، وبما أن أهم ركن من أركان الإمامة هو العلم والحكمة والمعرفة فإنّ أجدر الناس لهذا المقام بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هو على بن أبى طالب عليه السلام.

سعة علم الإمام على عليه السلام وحكمته

۱- المرجعية العلمية للإمام على عليه السلام

۱- المرجعية العلمية للإمام على عليه السلام يقول أنس ابن مالك خادم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: إنّ رسول اللَّه قال لعلى بن

أبی طالب علیه السلام: «انْتَ تَبیّنُ لِامَّتِی ما اخْتَلَفُوا فِیهِ بَعْدِی» «۲». وأحد وظائف الإمامة والولایة المهمة هی حفظ حریم القرآن وخزانة العلوم النبویة ونقلها بصورة صحیحة إلی العلماء والفقهاء وشرح ما أشکل علیهم من مفاهیم وأحکام آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۵۹ إلهیة، وتتّضح أهمیة هذا الدور والوظیفة للإمامة فیما لو علمنا أن الکثیر من الامم والبلدان التی حققت انتصارات علی امم اخری کبیرة ولکنها عجزت فی نفس الوقت عن التصدّی للثقافة الأجنبیة وبالتالی لم تستطع حفظ ثقافتها ودینها وغلبت أخیراً علی أمرها کما هو الحال فی هجوم المغول علی البلاد الإسلامیة وانتصارهم فی میادین القتال والحرب علی المسلمین إلّاأنهم سرعان ما غُلبوا فی مقابل القرآن والإسلام واعتنقوا بذلک الإسلام بل أصبحوا من المدافعین عنه والمروّجین له. الإمام علی علیه السلام اهتم بعد رحیل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بهذا الأمر المهم جدّاً «الثقافة الإسلامیة» وشرع بجمع القرآن وأقسم علی أن لا یرتدی رداءه ویخرج من البیت قبل إتمام هذه المهمة إلّا أن یکون خروجه للصلاة «۱»، ثمّ شرع بتعلیم وتفسیر القرآن الکریم فی ناسخه ومنسوخه، ومحکمه ومتشابهه، وظاهره وباطنه، إلی أولاده وتلامیذه کالإمام الحسن والحسین علیهما السلام وابن عبّاس وابن مسعود وأمثالهم کما تعلّمها من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ولیکون ذلک حصناً ثقافیاً للُامّة الإسلامیة أمام الغزو الثقافی والعقائدی الذی قد یتعرض له علماء الإسلام فی ظلّ الفتوحات الکثیرة واختلاط الحضارات والثقافات السائدة بین الأقوام البشریة حینذاک ولیأمن حاجة المسلمین الفقهیة والحقوقیة من هذه المعارف الإلهیة ویبیّن الاصول العقائدیة والأحکام الفقهیة وغیرها من المسائل الثقافیة بأفضل وجه وأحسن صورة للمسلمین.

۲- الإمام علی علیه السلام باب مدینة العلم

۲- الإمام علی علیه السلام باب مدینة العلم وقد ورد فی صحیح الترمذی أن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قال: «انَا دارُ الْحِکْمَةِ وَعَلِیٌّ بابُها» «۲». ومن المسلّم أن کلَّ من أراد الدخول فی الدار فعلیه أن یردها من بابها کما ورد فی الآیة الشریفة ۱۸۹ من سورة البقرة «وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها» وعلیه فکلُّ من أراد العلم آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۶۰ والمعرفة والوصول إلی خزائن الحکمة لدی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله فعلیه أن یبدأ مساره من الإمام علی علیه السلام فهو مفتاح هذه الخزائن ویطلب منه العلم والمعرفة.

۳- الإمام علی علیه السلام وتفسیر القرآن

۴- الإمام علی علیه السلام واضع علم النحو

۴- الإمام علی علیه السلام واضع علم النحو لقد أمر الإمام علی علیه السلام لغرض صیانة القرآن من التحریف اللغوی والأدبی أبا الأسود الدؤلی أن یکتب قواعد علم النحو کما علّمه اصوله ومبادئه، ثمّ إنّ أبا الأسود الدؤلی وبالإستفادة من علم النحو هذا عمل علی إعراب القرآن الکریم «۳».

۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام

۵- الإمام علی علیه السلام وعلم الکلام یقول ابن أبی الحدید فی مقدمة شرح نهج البلاغة: إنّ علم الکلام هو أشرف العلوم وقد اقتبسه العلماء من الإمام علی علیه السلام «۴». ویقول الأربلی فی کشف الغمّة إنّ أئمّة الکلام یعنی الأشاعرة، المعتزلة، الشیعة والخوارج، آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۶۱ کلُّهم ینتسبون إلی ذلک الإمام «۱».

۶- الإمام علی علیه السلام وعلم الفقه

۶- الإمـام علی علیه السـلام وعلم الفقه مضافاً إلی فقهاء الإمامیـة الـذین أخـذوا فقههم من الإمام علی علیه السـلام نری أن أحمـد ابن حنبل أخـذ فقهه من الشافعی، والشافعی أخـذ فقهه من محمّـد بن الحسن ومالک، ومحمّد بن الحسن تعلم الفقه من أبی حنیفة، وتعلّم کـلٌّ من مالـک وأبو حنیفـة الفقه علی یـد الإمـام الصادق علیه السـلام، وفقه الإمام الصادق علیه السـلام ینتهی إلی جـدّه علی بن أبی طالب علیه السلام «۲».

۷- الإمام علی علیه السلام وعلم الباطن

۷- الإمام علی علیه السـلام وعلم الباطن یقول الدکتور أبو الوفاء الغنیمی التفتازانی استاذ جامعة القاهرة وشیخ الطریقة فی مقدّمته علی کتاب «وسائل الشیعة»: «إنّ المشایخ وأصحاب الطریقة کالرفاعی، البدوی، الدسوقی، الگیلانی وهم من أجلّة علماء أهل السنّة یصلون بطریقتهم إلی أئمّة أهل البیت علیهم السـلام ومنهم إلی الإمام علی علیه السـلام ومنهم إلی النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله لأنّ النبی صلی الله علیـه و آله قـال: «انـا مدینـة العلم وعلیّ بابهـا» «۳» وهـذه الحقیقـة لـدی العرفاء والتی تسـمّی بعلم المکاشـفة وعلم الباطن لم یملکها أحد سوی الإمام علی علیه السـلام «۴»، وهناک شواهد کثیرة فی أکثر کتب أهل السـنّة علی اختصاص الإمام علی علیه السلام بهذا العلم، وکمثال علی ذلک نری أن عمر بن الخطّاب عندما أراد استـلام الحجر قال: اقبّلک وإنّی لأعلم أنک حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولکن کـان رسول اللَّه یـبک حفیاً، ولولا أننی رأیت رسول اللَّه یقبلک ما قبلتک. فقال له الإمام علی علیه السـلام: بلی، واللَّه إنه لیضـرّ وینفع، قال: وبِمَ قلت ذلک یا أباالحسن؟ قال: بکتاب اللَّه تعالی. قال: أشـهد أنک لـذو علم بکتاب اللَّه تعالی، فأین ذلک من الکتاب؟ قال: قول اللَّه عزّوجلّ: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْـهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِـهِمْ أ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَـهِدْنا» ... فلمّـا أقروا له بالربوبیـة کتب أسـماءهم فی رقّ آیات الولایـة فی القرآن، ص: ۳۶۲ وأودعه هـذا الحجر ثمّ قـال له: اشـهد لمن وافاک بالموافاة یوم القیامة ... فقال عمر: لا عشتُ فی امّة لست فیها یا أباالحسن (بتلخیص).

۸- الإمام علی علیه السلام وخلافة النبی صلی الله علیه و آله

۸- الإمام علی علیه السـلام وخلافـة النبی صـلی الله علیه و آله لقـد اتّضـحت من خلال الأبحاث السابقة للقاریء الکریم هذه الحقیقة، وهی: أن الشخص الذی یعترف الجمیع (الموافقون والمخالفون والأصدقاء والأعداء) أنه أعلم الناس وأفضلهم بعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هو اللائق لمقام الخلافـة والإمامـة بعد النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله لا غیر، ولهذا ورد أن النبی الأکرم صـلی الله علیه و آله ذکر فی خطبته الغرّاء فی غـدیر خمّ هـذین المطلبین (المرجعیّـة العلمیّـة والخلافة) وقال: «مَعاشِـرَ النّاسِ! هذا اخِی وَوَصِـیّی وَواعِی عِلْمِی وَخَلیفَتِی» «۱». والتأمّل والتفکّر بهذه الخصوصیات الأربع المذکورة فی هذا الحدیث الشریف تبیّن حقائق کثیرة لطلّاب الحقیقة: ۱- «أخی»: فلو أن الإنسـان أراد إظهـار احترامه وتقـدیره لمن یکبره فی السنّ فـإنه یعبّر عنه بکلمـة «أبی» وعنـدما یریـد إظهـار المحبّة والعاطفـة بالنسـبة إلی من هو أصـغر منه سـنّاً فیقول عنه «ابنی» وعندما یرید إظهار العلاقة والمحبّة لمن یکون ردیفه فی السنّ فإنه یعبّر عنه بـأنه «أخی» لأـن الاـخوة المعنویـة تعنی الإرتبـاط الروحی القریب بین شخصـین علی أسـاس المساواة، وعلیه فإنّ عبارة «أخی» فی الحدیث الشـریف تتضـمن حقیقة کبیرة، وهی أن الإمام علی علیه السـلام فی واقعه وشخصـیته یساوی النبی صلی الله علیه و آله أو أن شخصـیته تقـترب إلی حـدٍّ کـبیر إلی شخصـیة الرسول الأـکرم صـلی الله علیه و آله، وبعبـارة اخری إنّ کلمـة «أخی» تتضـمن المفهوم والمعنی الذی ورد فی آیة المباهلة «أنفسنـا وأنفسـکم». ۲- «وصـیّی»: طبقاً لعقیـدة أهل السـنّة فإنّ الأنبیاء لا یورثون، وعلیه فإنّ الإمام علی علیه السـلام لاـ یکون وصـیّاً لرسول اللَّه صـلی الله علیه و آله فی مجـال الأـموال والـثروة، ونعلم أن النبی لم یخلف من ذریته عند

وفاته سوی فاطمة الزهراء علیها السلام ولذلک لا معنی لأن یکون الإمام علی علیه السلام آیات الولایة فی القرآن، ص: ۳۶۳ وصیّاً علی أبنائه وذریته، وعلی هذا الأساس فإنّ الإمام علی علیه السلام وصی رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی المسائل المتعلقة بالدین، أجل إنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله ولغرض تکمیل واستمرار الدعوة السماویة والدین الإلهی جعل من الإمام علی علیه السلام وصیّاً له علی هذا الأمر. ۳- «واعی علمی»: «وعی» علی وزن «سعی» ویراد بها کما ذکر أهل اللغة: حفظ الشیء فی القلب، أی أن یتفکر الإنسان فی شیء معین ویحفظه فی قلبه ویجعله نبراساً له ومصباحاً یضیء طریق حیاته، وعلیه فإن الإمام علی علیه السلام قد وعی جمیع العلوم النبویة والمعارف الإلهیة وجعلها تحت اختیار المسلمین لیستضیئوا بنورها ویسلکوا فی خطّ الهدی والعقیدة والرسالة بضوءها. فهل یصحّ مع وجود مثل هذه الشخصیة الممتازة أن نقلد امور الخلافة وزمام تدبیر الامّة بید شخص آخر؟ ۴- «وخلیفتی علی من آمن بی»: وفی الحقیقة إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی هذه الجملة- التی تعتبر نتیجة منطقیة للجملات الثلاث المتقدمة- لم یدع ذریعة واحدة للمخالفین، وأعلن بصریح العبارة للعالم أجمع استخلافه للإمام علی علیه السلام من بعده، فلم یکتف صلی الله علیه و آله بکلمة «خلیفتی» لئلّا یقول أهل البدع والأهواء «إن مراد النبی هو الوصایة علی الأهل والأولاد لا الخلافة علی المسلمین»، فقد بیّن النبی صلی الله علیه و آله بصریح العبارة وبأفضل بیان خلافة وإمامة الإمام علی علیه السلام وأولاده علی جمیع المسلمین إلی قیام القیامة. النتیجة: انه بالرغم من أن الضروری هو التأکید علی مرجعیّة أهل البیت علیهم السلام العلمیّة وعلی رأسهم الإمام علی علیه السلام، إلّاأنّ فصل مسألة الإمامة عن الخلافة أمر خطیر وخطأ کبیر ویترتب علیه لوازم سلبیة کثیرة لا یلتزم بها أحد. «وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمین» انتهی

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم. مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی. - من الأنشطة الواسعة للمرکز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكـة و... الأماكن الدينيّة، السـياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عـدّة مَواقِعَ اُخـَرَ ه) إنتـاج المُنتَجـات العرضـيّة، الخَطابـات و... للعرض فی القنوات القمريّة و) الإطلاق و الـدَّعم العلمیّ لنظام إجابـة الأسـئلة الشـرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظـام التلقائیّ و اليـدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصـيرة SMS ح) التعـاون الفخریّ مع عشـراتِ مراكزَ طبيعيّـة و اعتباريّـة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّـة، الجوامع، الأماكن الدينيّـة كمسـجد جَمكرانَ و... ط) إقامـة المؤتمَرات، و تنفيذ مشـروع" مـا قبلَ المدرسـة "الخـاصّ بالأطفال و الأحـداث المُشارِكين فی الجلسـة ی) إقامـة دورات تعليميّـة عموميّـة و دورات تربية المربّی (حضـوراً و افتراضـاً) طيلـة السَّنَـة المكتـب الرّئيسـیّ: إيران/أصـبهان/ شـارع"مسـجد سـيّد/ "مـا بيـنَ شـارع"پنـج رَمَضـان" ومُفترَق"وفائی/"بنايـة"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّـة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريـة القمريّـة) رقـم التسـجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّـة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقـع: www.ghaemiyeh.com البريـد الالـكترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانـترنتی: www.eslamshop.com الهـاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفـاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتـب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التِّجاريّـة و المَبيعـات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظـة هامّـة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّـة، تبرّعيّـة، غير حكوميّـة، و غير ربحيّـة، اقتُنِيَت باهتمـام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايـد و المتّسِعَ للامور الدّينيّـة و العلميّـة الحاليّـة و مشاريع التوسعة الثّقافيّـة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلـك، يرجو مِن جـانب سـماحة بقيّـة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعـالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكـلَّ توفيقـاً متزائـداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩